جامعة مؤتة

كلية الدراسات العليا

النداء بـــ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا } في القرآن الكريم

دراسة تفسيرية

إعــداد

فواز فارس الطراونة

إشـــراف

الدكتور طالب محمد الصرايرة

رسالة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة

الماجستير في الشريعة قسم أصول الدين

جامعة مؤتة، 2015م

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تُعبر
بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة مؤتة
كلية الدراسات العليا

MUTAH UNIVERSITY
College of Graduate Studies

نموذج رقم (١٤)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب فواز فارس الطراونة الموسومة بـ:

النداء بـ (يأيها الذين أمنوا) في القران الكريم دراسة تفسيرية

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في **اصول الدين.**

القسم: اصول الدين.

	التوقيع	التاريخ	
د. طالب محمد الصرايرة		29/11/2015	مشرفاً ورئيسا
أ.د. نايل ممدوح ابو زيد		29/11/2015	عضواً
أ.د. امين محمد البطوش		29/11/2015	عضواً
أ.د. وليد هويمل عوجان		29/11/2015	عضواً

عميد الدراسات العليا

د. محمد المحاسنة

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي: ٦١٧١٠
تلفون: ٠٣/٢٣٧٢٣٨٠-٩٩
فرعي 5328-5330
فاكس 375694 ٠٣/٢
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهداء

إلى أحق الناس بحسن صحبتي إلى أمي الغالية
إلى روح والدي رحمه الله الذي بذل ما في وسعه ليعلمني الخير
إلى زوجتي الغالية التي تحملت معي التعب والعناء لإنجاز هذا العمل
إلى أولادي جميعاً جعفر وإسلام وغيث وراية ومحمد
إلى كل من أحب لي الخير أو دعا لي بخير إلى كل إخوتي في الله
اهدي هذا العمل المتواضع

فـــواز فارس الطراونـة

الشكر والتقدير

أتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بعظيم الحمد وجميل الثناء على ما وفقني للدراسة في هذا التخصص وما منحني من بركة في الوقت وصبر على تحمل المشقة للبحث في هذا الموضوع المهم جداً في حياة الناس آلا وهو "النداء بـــ يا ايها الذين آمنوا في القرآن الكريم".

ومن باب الاعتراف بالفضل أتوجه بخالص الشكر وجميل العرفان لأستاذي الكبير وأخي العزيز الدكتور طالب محمد الصرايرة الذي تفضل بقبول الإشراف على رسالتي والذي وسعني بصبره وحلمه وأسدى ملحوظاته البناءة لإنجاز هذا العمل فالشكر كل الشكر للفاضل أبي قحطان.

كما أتوجه بالشكر إلى مكتبة جامعة مؤتة وكل العاملين بها على ما منحوني من مساعدة في الحصول على المصادر التي احتجت إليها في رسالتي لإتمام عملي.

كما وأتوجه بالشكر الى كل من المدارس الآتية على ما قدموه من تسهيلات لاستخدام المكتبات المدرسية من اجل إثراء هذا البحث وهي :

1- مدرسة الحسينية الثانوية للبنيين.
2- مدرسة الحسينية الثانوية للبنات .
3- مدرسة خالد بن الوليد الثانوية للبنيين.
4- مدرسة الحسينية الأساسية المختلطة الأولى.
5- مكتبة مسجد حمد بن سالم التركي- حي السالمية .

والشكر موصول لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل.

فــواز فارس الطراونة

فهرس المحتويات

الملخص

النداء بـــ يا أيها الذين آمنوا في القرآن الكريم

(دراسة تفسيرية)

فواز فارس الطراونة

جامعة مؤتة، 2015م

تَناولتْ هذه الدراسة النداءات بـــ(يا أيها الذين امنوا) في القران بدءاً من أول نداء في الآية (104) من سورة البقرة، وانتهاءاً بالآية (8) من سورة التحريم، وقد بلغت تسعين نداءاً، وبعد الاستقراء تبين أنها تشتمل على خمسة مواضيع رئيسية وقد قمت بجمع نداءات كل موضوع على حده متناولاً إياه من الناحية التفسيرية بمعناه اللغوي، وعلاقته بما قبله من الآيات، وسبب نزول النداء، وبعض القضايا الفقهية التي اشتمل عليها النداء، وآراء المفسرين حوله، وبعض اللطائف التفسيرية، والخصوصيات الشرعية على النحو الآتي:

الفصل الأول: تحدثتْ عن النداءات التي تتعلق بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وكيفية التأدب معه، والصلاة عليه، واحترام بيوته، ومناجاته، وطاعته، والإيمان به، وعدم التقدم عليه بالقول والعمل.

الفصل الثاني: تحدثتْ عن النداءات التي تتعلق بالعبادات من وضوء وصلاة وصيام وصبر، وذكر الله تعالى، وتقوى.

الفصل الثالث: قمت بجمع النداءات التي نضمت التعامل مع المال وبينت المال الحرام ونهت عن التعامل به، النفقة، والكسب الحلال الطيب، والربا، واكل أموال الناس بالباطل، والتجارة المحرمة .

الفصل الرابع: تناولتْ الحديث عن علاقة المسلمين بغيرهم في حالتي الحرب والسلم، وموالاة الكافرين، والنهي عن طاعتهم وإلقاء المودة إليهم، والجهاد في سبيله تعالى، وعلاقته بعزة الأمة وحياتها.

الفصل الخامس: تناولتْ فيه الحديث عن النداءات المتعلقة بالأخلاق من سداد في القول، والتثبت من الخبر، والنهي عن الظن، والنهي عن مخالفة القول الفعل، والنهي عن السخرية، والأمر بالفسحة في المجالس.

Abstract

Call for O ye who believe in the Koran
(Explanatory Study)

Fawaz Fares Tarawneh

Mu’tah University, 2015

This study deals with the calls for (O ye who believe!) In the holy Quran, starting from the first call in verse (104) of Surah Al – Baqarah, and ending with the verse (8) of surah Al-Tahrim. The calls have reached ninety calls. The inductive method showed that the call includes five main themes. I have picked calls of each theme separately, dealt with it from the interpretive perspective of its linguistic meaning and its relationship with previous verses: the occasion of revelation, some doctrinal issues that included in the call, the views of commentators about it, some of the explanatory subtleties and legal privacy as follows:

Chapter One: it dealt with calls related to the Prophet- May Allah honor him and grant him peace- and how to show respect for him and his beloved family. In addition to, how to show secret talk ,obedience and faithfulness towards him.

Chapter Two: it dealt with the calls related to the acts of worship: ablution, prayer, fasting ,patience, ,Allah –fearing, righteousness, and the remembrance of Allah.

chapter III: the researcher picked calls that dealt with organizing business transactions and showing ill-gotten money ,which also forbade to deal with. In addition to alimony, earning legal gain, usury, illegal gain , and Forbidden trade.

Chapter IV: the researcher dealt with the relationship between Muslims and others in the case of war and peace, and adhesion to disbelievers, and forbade their obedience and affection to them. In addition to, Jihad in the way of Allah and its relation with nation's pride and life .

Chapter V: the researcher dealt with the calls related to the morals in term of truthful saying, validity of the news, prohibition of suspicion, violation of the act say, prohibition of ridicule, and making room in the assemblies .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمـــة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى اله وصحبه أجمعين وبعد:

فأن أهمية هذا الموضوع وقعت في نفسي منطلقة من نظري إلى كيفية تعاطي المسلمين في عصر الرسول-صلى الله عليه وسلم-مع النداء الإلهي، وعموم الأوامر والنواهي التي نزل بها الوحي عليه -صلى الله عليه وسلم- وملاحظة الفرق بين تعاطينا نحن ألآن مع هذه الأوامر، والنواهي فنعلم جميعاً أن الأمر عندما كان يأتي إلى النبي -صلى الله عيه وسلم- ما إن يتلوه على أصحابه حتى يحول إلى واقع عملي ملموس بفهم ورضا وطاعة من غير تردد واعتراض أو جدل.

أما ما نلحظه اليوم من مخالفة للأوامر فإن نم عن شيء فإنما ينم عن أحد أمرين إما جاهل بأنها نداءات من الله تعالى وأنه هو المخاطب الذي يجب عليه التطبيق، وإما انه يعلم ولكنه والعياذ بالله قاصد وجاحد ومنكر.

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ؛ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ).[1]

وقد يقع من بعض المؤمنين انصراف عن تلاوة القران وسماعه وهذا من هجره، قال الإمام ابن القيم في الفوائد[2]: (هجر القرآن أنواع: أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه، والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وان قرأه وآمن به، والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه.

([1]) البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـــ)، صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام، حديث 5427.

([2]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751هـــ)، الفوائد، ط2، 1393هـــ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 182.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه، والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله:﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: 30)، وأن كان بعض الهجر أهون من بعض.

لذلك سأدرس في رسالتي إن شاء الله تعالى النداءات التسعين التي تبدأ بـــ (يا أيها الذين امنوا)، وتقسيمها إلى موضوعات رئيسية وبحث نداءات كل موضوع على حده، علماً بأن معظم هذه النداءات مدنية، مبيناً إن شاء الله واجب الإنسان المسلم تجاه أوامر الله سبحانه وتعالى .

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في طبيعة تعاطينا مع النداءات الإلهية بين معرض عن تطبيقها، وبين جاهل لهذا الخطاب الإلهي وكونه مخاطبا به، مقارنة مع الجيل الأول من الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- حيث يتلقون هذا الخطاب الإلهي بالسمع والطاعة وسرعة الاستجابة له؛ لفهمهم أنهم المقصودون به فيحولونه إلى واقع عملي ملموس، من حيث اشتمالها على الأوامر والنواهي التي تمثل الدين بكليته لذلك تحصلوا على -رضوان الله عليهم- على السعادة في الدارين الدنيا والآخرة.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة في محاولتها تسليط الضوء على النداءات الإلهية بـــ (يا أيها الذين امنوا)، وبيان الموضوعات الرئيسية التي تناولتها النداءات الإلهية بعناية خاصة، ووجهت المؤمنون في هذا العصر إلى ضرورة الانتباه لها وتحويل هذه النداءات إلى واقع عملي ملموس في سائر جوانب الحياة اليومية، وإخراجها بمؤلف لجمع شتاتها المتناثر في ثنايا المؤلفات ويستفيد منه طلبة العلم والمختصون بالدراسات الإسلامية بسهولة ويسر.

أهداف الدراسة:

هدف هذه الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف:

1-بيان لطبيعة النداءات الإلهية الخاصة بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، وكيفية التعاطي معها.

2-تناول النداءات الإلهية الخاصة بالعلاقة بغير المسلمين لكشف طبيعة التعامل معهم.

3-الكشف عن أهمية التعاملات المالية من حيث الحل والحرمة.

4-بيان الإشارة القرآنية إلى تخصيص بعض العبادات بنداء الهي لافتة إلى مزيد من العناية بها.

5- إبراز أهمية الأخلاق ودورها وضرورة تميز الأمة بها.

أسئلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة أن تجيب عن مجموعة من الأسئلة أهمها:

1-ما هي الموضوعات التي تناولتها النداءات الخاصة بالنبي -صلى الله عليه وسلم؟

2- كيف حددت النداءات الإلهية الخاصة بالتعامل مع غير المسلمين علاقة المسلمين بغيرهم؟

3- ما هي ابرز الجوانب التي ركزت عليها النداءات الإلهية في تعاملات المسلم المالية؟

4- إلى أي مدى اهتمت النداءات الإلهية بالعبادة؟

5- ما هي ابرز الأخلاق الإسلامية التي عالجتها النداءات الإلهية؟

الدراسات السابقة:

من خلال اطلاعي على ما تيسر لي مما كتب عن النداءات الإلهية فأنني لم أجد دراسة علمية مستقلة لبحث هذا الموضوع بشكل مستفيض من الناحية التفسيرية؛ لذلك تأتي دراستي هذه للموضوع دراسة نوعية تفسيرية تتمثل في طرحه بطريقة علمية منسجمة مع آلية البحث العلمي الذي سيظهر بوضوح من خلال فصول الدراسة المختلفة ومن هذه الدراسات:

1-الجزائري، أبو بكر جابر الجزائري (ت1426)، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، دراسة وعظية وهي ملخص دروس للشيخ في الحرم المدني.

2-الأسطل، القيم التربوية في النداء القرآني رسالة ماجستير منشورة، سماهر عمر الاسطل، 2007، جامعة غزه.

3-صالح، محمد المحمدي صالح، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ط2، دار الغد الجديد، تحقيق احمد جاد.

منهجية الدراسة:

تقوم منهجية الدراسة على إتباع المناهج البحثية الآتية:

1- المنهج الاستقرائي وذلك بجمع النداءات الإلهية للمؤمنين من خلال المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم وحصر نداءات كل موضوع على حدة.

2- المنهج التحليلي واستخراج ما له علاقة بتفسير الآيات من أمهات كتب التفسير القديمة والحديثة، واستخراج المعاني اللغوية والاصطلاحية من مصادرها المختصة.

3- المنهج الاستدلالي وذلك بذكر أقوال المفسرين وأدلتهم في المسائل المتعلقة بموضوع الدراسة.

4- المنهج الوصفي من خلال حصر تعريفات العلماء للمصطلحات والمفاهيم الواردة في الدراسة، وعرضها بأسلوب علمي منهجي.

الفصل الأول

النداءات المتعلقة بحقوق النبي -صلى الله عليه وسلم-، وفيه ثلاثة مباحث:

1.1 مُناجاته، دُعاؤه، الصّلاة عليه، وفيه ثلاثة مطالب:

1.1.1: مناجاته وعدم رفع الصوت بحضرته -صلى الله عليه وسلم-:

أولاً: مناجاته -صلى الله عليه وسلم-:

أراد الله سبحانه وتعالى إشعار المؤمنين بعظمة النبي -صلى الله عليه وسلم- وأهمية وقته الذي جعله ملكاً عاماً، وليس لأحد أن يستحوذ عليه، كما أراد سبحانه وتعالى أن يبين للنبي -صلى الله عليه وسلم- المحب المخلص من المنافق من جلسائه.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (المجادلة: 12).

نزلت هذه الآية في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يأتون النبي -صلى الله عليه وسلم- فيكثرون من مناجاته، ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذلك من طول جلوسهم ومناجاتهم، فأنزل الله -تبارك وتعالى- هذه الآية، وأمر بالصدقة عند المناجاة، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً، وأما الأغنياء فبخلوا، واشتد ذلك على أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- فنزلت الرخصة[1]، المناجاة في اللغة هي: مصدر ناجى، والنجوى: السر، وانتجاه: خصه بمناجاة أي اعطاة سره[2]، أي يا معشر المؤمنين إذا أردتم مناجاة الرسول-صلى الله عليه وسلم- فتصدقوا قبل مناجاتكم إياه، وفي هذا الأمر تعظيم الرسول -صلى الله عليه وسلم- وانتفاع للفقراء، والنهي عن الإفراط في السؤال من غير ضرورة، وهو

([1]) الواحدي: علي بن احمد بن محمد بن علي أبو الحسن النيسابوري (ت468هـ)، أسباب نزول القران، تحقيق رضوان جامع رضوان، الطبعة الأولى 1996، مكتبة الإيمان المنصورة، ص262.

([2]) ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا، (ت 395هـ) معجم مقاييس اللغة، ط1، 1991، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج5، ص399.

منسوخ بقوله تعالى: { أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ } (المجادلة: 13) أخفتم الفقر من تقديم الصدقة أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر { فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ } (المجادلة: 13) بأن رخص لكم أن لا تفعلوه، وفيه إشعار بأن إشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لمّا رأى منهم ما قام مقام توبتهم، فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة، { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ } (المجادلة: 13) في سائر الأوامر، فإن القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك { وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (المجادلة: 13) ظاهراً وباطناً.[1]

وروى الترمذي عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: لما نزلت آية النجوى، قال لي النبي -صلى الله عليه وسلم-: ما ترى دينار؟ قلت: لا يطيقونه، قال: فنصف دينار، قلت: لا يطيقونه، قال: فكم، قلت: شعيرة، قال: إنك لزهيد، قال: فنزلت { أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ } (المجادلة: 13)، قال: فبيّ خفف الله عن هذه الأمة - قال الترمذي: ومعنى قوله: شعيرة، يعني وزن شعيرة من ذهب[2]، قال القرطبي[3]:(الظاهر أن النسخ إنما وقع بعد فعل الصدقة، وأن أول من تصدق في ذلك علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وناجى النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعن علي بن أبي طالب أنه قال : في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولم يعمل بها أحد بعدي، وهي { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً } ،(المجادلة: 12)، كان لي دينار فبعته، فكنت إذا ناجيت الرسول

([1]) انظر: البيضاوي، عبدا لله بن عمر بن محمد (ت791هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، الناشر دار الرشيد، بيروت-لبنان، ج3، ص 383.

([2]) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت 279هـ)، سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة المجادلة، ط2، دار الفجر للتراث، 1434هـ، ص860. قال الترمذي هذا حديث حسن غريب.

([3]) القرطبي، محمد بن احمد الأنصاري القرطبي، (ت 627هـ)، الجامع لأحكام القران، تحقيق أحمد عبد العليم، 1965، ج17، ص302.

تصدقت بدرهم حتى نفد، فنسخت بالآية الأخرى { أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ }[1]، (قال ابن عباس: نسخها الله بالآية التي بعدها. وقال ابن عمر: لقد كانت لعلي رضي الله عنه ثلاثة لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى).[2]

وكان النهي حفظاً لقلب الرسول عما يكدره، فهو منصرف لمناجاة ربه -عز وجل- فمنهم من يناجيه، ولا قصد له إلا الترفع بمناجاته فشق ذلك عليه، وأمر الله بالتصدق لمن أراد المناجاة؛ لتكون إمارة في الاجتهاد في طلب الآخرة، والانصراف عن الدنيا، ولتكون الصدقة برهان على صدق الإيمان، وليخفف عنه من المناجاة.[3]

فهذا فيه تخفيف على الرسول لكثرة المناجين، وامتحان لقلوبهم؛ لذلك الذي يريد أن يناجي رسول الله، فلا بد أن يقدم قبل المناجاة صدقه؛ والسبب أنه كان هناك أناس يجلسون إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ويتناجون معه خصوصا؛ ليزدادوا بذلك شرفاً، وكأنهم موضع سره، وأن يخصهم بكلام دون غيرهم، فأراد الله -سبحانه وتعالى- أن يخفف من هذه الظاهرة على رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

إن مكانة الرسول كبيرة في نفوس المسلمين فهو الذي يأخذ بأيديهم إلى طريق الله ويخرجهم من الظلمات إلى النور، وينجيهم بأتباعه من نار جهنم ليدخلهم في رحمة الله في جنة الرضوان، فهو الهادي إلى سواء السبيل، ويعلمهم القرآن أدبا آخر في علاقتهم برسول الله، فيبدو أنه كان هناك تزاحم على الخلوة برسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليحدثه كل فرد في شأن يخصه، ويأخذ فيه توجيهه ورأيه، أو ليستمتع بالانفراد به مع عدم التقدير لمهام رسول الله -صلى الله

(1) الحاكم، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري أبو عبد الله، (ت405هـ)، المستدرك على الصحيحين، ط2، دار الكتب العلمية، 1422هـ، بيروت-لبنان، هـ ج2، ص481، حديث رقم 3794، قال على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(2) انظر ألبقاعي: ابراهيم بن عمر برهان الدين (ت 890هـ) ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الناشر دار الكتاب الإسلامي، 1984، ج 19، ص379

(3) انظر الألوسي: محمود بن عبد الله الحسيني (ت 1270 هـ)، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ج27، ص30.

عليه وسلم– الجماعية، وعدم الشعور بقيمة وقته، وبجدية الخلوة به، وإنها لا تكــون إلا لأمر ذي بــال، فشاء الله أن يشعرهم بهذه المعاني عندما اوجب مبلغ من المــال للذي يريد أن يخلو برسول الله –صــلى الله عليه وسلم– ويقتطع من وقته الذي هو من حق الجماعة، في صورة صدقة يقدمها قبل أن يطلب المناجاة والخلوة.

ومن القيم التربوية في هذه الآية؛ أنّه يستطيع المربون غرس تعظيم مكــان الرسول -صلى الله عليه وسلم- في نفوس الأبناء وتربيتهم على حب الرسول وآله وأصحابه، فهو الحبيب الرحيم بأمته، والذي ضحى بالكثير لأجل تبليــغ دعــوة الله وإنقاذ الناس من النار، وإخراجهم من الظلمات إلى النــور، فمكانتــه فــي قلــوب المؤمنين أكبر من كل شيء؛ ولهذا فإنهم يعظمون سنته بتطبيق ما جاء فيها، وعــدم الاعتراض عليها، ومكانته أكبر من مكانة الآباء والأمهات والأزواج والأولاد ومــن كل الناس. [1]

لذلك إذا جمع العبد المؤمن تجاه رسوله -صلى الله عليه وسلم-المحبة ثــم توجها وكملها أو أسسها وبناها على قاعدة التعظيم له؛ فإنه يكون قد نال حظاً عظيماً وشرفاً كبيراً، وأتى على أمر من الأمور التي هي مــن أصــول إيمانــه، وقواعــد إسلامه، ومنطلقات التزامه، ولذلك ينبغي لنا أن نفرح وأن نسعد أننا من أتباع النبي -صلى الله عليه وسلم-، والله جل وعلا قد نادانا وذكرنا في سياق آياته إلى أهميــة تعظيم وتوقير وتعزير رسوله -صلى الله عليه وسلم- فقال جل وعلا: { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (الأعراف:157) فالمعظم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- في زمرة المفلحــين بــإذن الله -جــل وعلا-.

كذلك يعلمهم القرآن أدباً آخر في علاقتهم برسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيبدو أنه كان هناك تزاحم على الخلوة برسول الله ليحدثه كل فرد في شأن يخصه؛ ويأخذ فيه توجيهه ورأيه؛ أو ليستمتع بالانفراد به مع عدم التقدير لمهامه لجماعيــة؛

([1]) انظر الأسطل، سماهر عمر، القيم التربوية في النداء القرآني، رسالة ماجستير، جامعة غزه 1428هــ ، ص79، 80.

وعدم الشعور بقيمة وقته، وبجدية الخلوة به، وأنها لا تكون إلا لأمر ذي بال، فشاء الله أن يشعرهم بهذه المعاني بتقرير صدقة من مال الذي يريد أن يخلو ويقتطع مـــن وقته الذي هو من حق الجماعة .

ثانياً: النهي عن رفع الصوت بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم:

أدباً آخر أراد الله لنا أن نتعلمه في التعامل مع نبينا -صلى الله عليه وســـلم- وهو عدم رفع الصوت بحضرته، وإيذائه، وأن لا يكون الحديث معه كحديث الناس بعضهم لبعض لما فيه من الجهر المشعر بالجفاء والغلظة، توقيرًا لـــه، وإجـــلالاً، وإظهارًا لميزته على سائر الناس.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.(الحجرات: 2)

نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس بن شماس(1)، كان في أذنه وقـــر ،وكـــان جهوري الصوت، وكان إذا كلم إنسان جهر بصوته؛ فربما كان يكلم رســـول الله -صلى الله عليه وسلم- فتأذى بصوته؛ فانزل الله هذه الآية. (2)

نهى الله -عز وجل- عن رفع الصوت بحضرة الرسول؛ لأن رفع الصوت فيه اعتبار، وعظمة للمتحدث، وهذا لا يجوز أن يكون الصوت مرتفع، والمستمع هـــو رسول الله، ويرد هنا سؤال، لماذا أعاد النداء في هذه الآية مع أن الآية التي قبلهـــا بدأت بنداء قال تعالى: ﴿يَـــا أَيُّهَـــا الَّـــذِينَ آَمَنُـــوا لَـــا تُقَـــدِّمُوا بَـــيْنَ يَـــدَيِ اللَّـــهِ وَرَسُولِهِ﴾(الحجرات:1).

الجواب: لتنبيه المنادى؛ أنه هو المقصود في الآية الأولى والثانيـــة، وجـــاء النهي عن الفعل -رفع الصوت- لأمرين أساسيين: أولهما؛ لما في الفعل مـــن قلـــة

---

(1) ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي الأنصاري صحابي جليل خطيب رسول الله شهد أحد وما بعدها، توفي (12هـــ). انظر الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي (ت 1976م)، دار العلم للملايين، ط15، 20023، الأعلام ج2، ص 98.

(2) الواحدي، أسباب نزول القران الكريم، ص247.

احترام، ثانيهما؛ لأن المتحدث في حضرة النبي لا ينبغي له أن يكثر من الكلام فيما لا فائدة ترجى منه. [1]

وتنص الآية على توقير الرسول -صلى الله عليه وسلم- فلا يكلم إلا جواباً أو سؤالاً في أمر ضروري لا يمكن تأخيره، و كان من يكلمه ربما رفع صوته رفعاً لا يليق بمقامه ولا يناسب شخصه -عليه السلام-، وكان من جملة أحواله أن يوحى إليه بالأمور العظيمة، وكان رفع الصوت إذ ذاك من المشوشات في حسن التلقي للوحي لما فيه من قلة احترام؛ لذلك نهى عن رفع الصوت بحضرته-صلى الله عليه وسلم. [2]

أي أنه إذا تكلم وتكلمتم، فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم الحد الذي يبلغه بصوته؛ لكي تكون ميزته عليكم واضحة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات :2)، فإذا كلمتموه، وهو صامت فإياكم، والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت، بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم، ولا تقولوا له يا محمد، يا أحمد كنداء بعضكم لبعض، بل خاطبوه بمقام النبوة، يا نبي الله؛ لكي تكون مخاطبة المهيب المعظم صاحب القدر الجلي، فتوجيه هذا النداء للمؤمنين ليندرج تحته المنافقين، وتكون العقوبة اشد وأغلظ. [3]

يقول ابن عاشور[4]- رحمه الله-:(والمعنى لا ترفعوا أصواتكم في مجلسه، وبحضرته إذا كلم بعضكم بعضاً)، وقد تحصل من هذا معنى الأمر بتخفيض

([1]) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 18، ص355.

([2]) انظر: الزمخشري: محمود بن عمر (ت 528هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ط3، سنة الطبع 1987، دار النشر دار الريان للتراث، مصر، مصر الجديدة ج4، ص352، 353.

([3]) الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، ج4، ص354.

([4]) انظر: ابن عاشور: محمد بن محمد الطّاهر بن عاشور (ت1394 هـ)، الموافق (1973م، التحرير والتنوير، ج 25، الدار التونسية للنشر، 1984، ص220، 221.

الأصوات عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ ليس المراد أن يكونوا سكوتاً عنده.

وهذا النهي مخصوص بغير المواضع التي يؤمر بالجهر فيها، كالأذان، وتكبيرة يوم العيد، وما أذن فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- إذناً خاصاً كقوله للعباس يوم انهزم المسلمون في حُنين "نادي بأصحاب السمرة"[1]

فهذا نداء للمسلمين أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي فعدم التأدب معه -صلى الله عليه وسلم- يؤدي إلى حبوط العمل، والحبوط في اللغة : مرض يصيب الماشية بسبب التخبط في الأكل ولا تُخرج ما فيها فتنتفخ حتى يُظن أنها سمينة[2] ويقول ابن منظور[3]: وذلك بسبب أكلها نبات الذرق[4] وحبوط العمل بطلانه. [5]

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(الكهف: 105) يقول الشعراوي[6] -رحمه الله-:(حبطت: بَطُلت وذهب نفعُها، ونقول: إن المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ جاءتْ على سبيل الاحتقار وعدم الاعتبار، فالمراد لا وزنَ لهم عندنا أي: لا اعتبارَ لهم، وهذه نستعملها الآن في نفس هذا المعنى نقول: فلان لا وزنَ له عندي. أي: لا قيمة له، وبالبحث في هذه الآية وتدبرها تجد أن القرآن الكريم يقول: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ﴾ ولم يَقُل: عليهم، إذن: الميزان موجود، ولكنه ليس في صالحهم، فالمعنى: لا نقيم لهم ميزاناً لهم، بل نقيم لهم ميزاناً عليهم)، والمعنى على هذا: أنهم لا يعتد بهم ولا يكون

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص221.

([2]) انظر ابن منظور، لسان العرب ، ج4، ص 17.

([3]) ابن منظور، لسان العرب ، ج4، ص 17.

([4]) الذرق هو: الحندقوق، وهو نبات يخرج في فصل الربيع في معظم البلاد العربية وله استخدامات دوائية، ينظر ابن منظور، ج4، ص 17، وينظر رويحة، الدكتور أمين رويحة، التداوي بالأعشاب، ط7، 1410هـ، دار القلم، بيروت-لبنان، ص 135.

([5]) انظر الشعراوي، تفسير القران، ج 23، ص 14435.

([6]) الشعراوي، تفسير القران ، ج23، ص14436 .

لهم عند الله قدر ولا منزلة، وحبط العمل على أضرب أحداها: أن تكــون الأعمـــال دنيوية فلا تغني عنه يوم القيامة، والثاني: أن تكون الأعمال أخروية فلم يقصد بهـــا وجه الله، وعلى كلا الحالتين فهي باطله).

وفي الآية الأُخرى مزيد تأكيد على الثواب الذي أعــدّه الله لأُولئــك الــذين يمتثلون أمر الله ويراعون الآداب عند رسول الله فتقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُــمْ مَغْفِــرَةٌ وَأَجْــرٌ عَظِــيمٌ﴾ (الحجرات:3).

كلمة يغضون مشتقة من غضّ -على وزن حظّ- ومعناها تقليــل النظــر أو خفات الصوت ويقابل هذه الكلمة الإمعان بالنظر والجهر بالصوت. (1)

وكلمة امتحن مشتقة من الامتحان، والأصل في اســتعمالها إذابــة الــذهب وتطهيره من غير الخالص، كما أنّها تستعمل في بسط الجلد المعدّ للدّبغ، ثمّ استعملت بعدئذ في مطلق الاختبار، ونتيجة ذلك خلوص القلب وبسطه لقبول التقوى. (2)

وممّا يسترعي الانتباه أنّ الآية السابقة ورد فيها التعبير بالنبي، إلاّ أنّ هــذه الآية ورد التعبير فيها عنه برسول الله، وكلتا الآيتين تشيران إلى أنّ النّبــي لــيس عنده شيءٌ من نفسه، بل هو رسول الله ونبيّه، فإساءة الأدب إليه إساءة الأدب إلــى الله ورعاية الأدب إليه رعاية لله.

ونكّرت كلمة مغفرة للتعظيم والأهمية، أي أنّ الله يجعل نصيبهم المغفرة الكبرى والتامة، وبعد تطهيرهم من الذنب يرزقهم الأجر العظيم، لأنّه لا بدّ من التطهير من الذنب أولاً، ثمّ الانتفاع من الأجر العظيم من قِبل الله.

ومن القيم التربوية في هذه الآية، إن الله عز وجل ذم الذين يرفعون أصواتهم بدون حاجة إلى ذلك، وأمر بخفض الصوت، ونفّر مــن رفع الصوت حيث شــبهه بصوت الحمار فقال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾(لقمان:19)، والشاهد إن غض الصوت عموماً من الأدب ، فكيف إذا

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص58.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص32.

كان المخاطب رسول الله، وبعد وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يجب على المسلمين ألا يرفعوا أصواتهم عند قبره، أو عند سماع محدث يحدث بحديثه؛ لأن كلامه ميتا ككلامه حياً، ويستفاد من هذا في تربية الأبناء على عدم رفع أصواتهم على معلميهم ومن هم أكبر منهم سنا ومن يقوم مقامهم، وفي هذا درس للمسلمين جميعا صغاراً وكباراً أن يوقروا أهل العلم والفضل فيهم، وكبار السن فلا يرفعون أصواتهم عليهم، ولا ينادونهم بأسمائهم بل يوقرونهم فينادونهم بكنيتهم. (1)

2.1.1 آداب تلبية دعوة النبي صلى الله عليه وسلم:

إن للدعوة آداباً لابد للمدعو أن يتحلى بها، كيف إذا كان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 53)

قال الواحدي(2):(عن أنس -رضي الله عنه-قال: لما تزوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زينب -رضي الله عنها- دخل القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، فأخذ كأنه يتهيأ لقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام، قام من قام من القوم، وقعد بقية القوم، وإن النبي -صلى الله عليه وسلم- ليدخل، فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقوا، فأخبرت النبي -صلى الله عليه وسلم- فجاء حتى دخل فذهبت ادخل، فالقي الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله هذه الآية). (3)

---

(1) انظر الأسطل، القيم التربوية في النداء القرآني، ص81.

(2) الواحدي، أسباب نزول القران، 1996م، ص 232.

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (يا آيها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي)، ص778، حديث رقم 4791.

قال الرازي[1] -رحمه الله-:(فيها تقديم وتأخير، تقديره لا تدخلوا إلى طعام إلا أن يؤذن لكم، وهذا لا يمنع من الدخول في غير وقت الطعام، ولكن بعد حصول الإذن فالشرط هنا للإذن، وليس للطعام، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾، وهي تفيد الوجوب، وفيه لطيفة وهي: أن من اعتاد دخول مكان من غير إذن، ثم قلت له لا تدخل إلا بإذن تأذى، وانقطع فقال: لا تفعلوا، بل كونوا طائعين إذا قيل لكم لا تدخلوا فلا تدخلوا، وإذا قيل لكم ادخلوا فادخلوا، ولا يشترط في الإذن التصريح به؛ بل إذا حصل العلم بالرضا جاز الدخول، ولهذا ذكر الإذن من غير بيان الفاعل، فالآذن إن كان الله أو النبي أو العقل المؤيد بالدليل جاز.

وهذه الآية خاصة بقوم كانوا يتحينون الطعام في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين إدراكه بطول المكث قبل وقت الطعام وكان هذا يؤذي النبي -صلى الله عليه وسلم- فلو لم يكن النهي لهؤلاء المتحينون للطعام خصوصا لما جاز لأحد ان يدخل إلا بأذن خاص وهو الإذن إلى الطعام فقط، وجاء الاستثناء في الاية كأنه قال لا تدخلوا إلا وقت الإذن ولا تدخلوا إلا غير ناظرين أناه. [2]

وأناه: من أنى الشيء إدا قرب أوانه، أو بلغ إناه من شدة الحر، وإستأنيت الشيء انتظرته[3]، والآني الذي قد انتهى حره من الإيناء بمعنى التأخير، ونظيره قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾(الرحمن: 44) أي: إن حرها بلغ إلى حيث لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت.[4]

ونلحظ في الآية أمرين عظيمين أولهما: آداب تلبية الدعوة، وثانيهما: مشروعية الحجاب، وقوله تعالى: ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ

([1]) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، التفسير الكبير، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، طهران، ج25، ص224.

([2]) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص554.

([3]) الأصفهاني، المفردات في غريب القران، ج1، ص 37.

([4]) انظر البيضاوي،عبد الله بن عمر بن علي القاضي ناصر الدين،(ت685 هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، الناشر دار الرشيد، بيروت-لبنان، ج22، ص 93.

﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ لحديث بعضكم البعض، أو لحديث أهل بيته بالتسمع له، ثم يقر الله في نهاية الآية إذا أردتم ان تسألوا أزواجه شيئا فسألوهن من وراء حجاب أي: ستار ذلك ادفع لخواطر الشيطان عنكم وعنهن. (1)

وهـــذه الآيـــة فيها دلالة على تشريع الحجاب بالنهي عن دخول بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا لطعام دعاهم إليه؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان له مجلس يجلس فيه فمن كان له حاجة يأتيه هناك، وليس ذكر الدعوة تقييداً لإباحـــة بيوت النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يدخلها إلا المدعو إلى طعام، ولكنـــه مثـــال للدعوة، وتخصيص بالذكر كما جرى في القصة التي هي سبب النزول، فيلحق بـــه كل دعوة تكون من النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكل إذن منه بالدخول إلى بيتـــه بغير قصد أن يطعم معه كما كان يقع ذلك كثيراً. (2)

ومن القيم التربوية في هذا النداء أن للرسول مكانة كبيـــرة عنـــد المـــسلمين فعليهم أن يوقروه، ويحترموا مشاعره من غير أن يفصح عنها، ولا يثقلون عليه في الزيارة؛ فإن ذلك يؤذيه؛ لأنه بشر يحتاج إلى الراحة، ويحتاج أن يرعـــى مـــصالح أهله، ويجلـــس إليهم فلا يدخل عليه أحد إلا بدعـــوة إلى طعام، إذا حـــان وقته فهو -صلى الله عليه وسلم- يتأذى كذلك ممن ينظر إلى أهله، أو يحـــدثهم مـــن غيـــر حاجة. (3)

إن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، وإجلاله، وتوقيره، شعبة عظيمة مـــن شعب الإيمان، بل إن منزلتها ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة، ذلك لأنه ليس كـــل محب معظماً، ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعوه إلـــى تكريمـــه ولا يدعوه إلى تعظيمه، والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم، والـــسيد قـــد يحب مماليكه، ولكنه لا يعظمهم، والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم.

---

(1) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج20، ص81.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص 81 .

(3) انظر الأسطل، القيم التربوية في النداء القرآني ، ص92.

3.1.1 كيفية الصلاة والسلام على النبي -صلى الله عليه وسلم-:

أثنى الله -جل وعلا- على نبيه، وأمر عباده بالدعاء والاستغفار له -صلى الله عليه وسلم- إظهاراً لمزيته على الخلق؛ ولعظمته فقد اصطفاه الله تعالى لإقامة شرعه في الأرض، وتعريف الناس بربهم، وتحريرهم من عبادة العباد إلى عبادة الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: 56).

فالصلاة على النبي هنا: بمعنى الدعاء والتعظيم له -صلى الله عليه وسلم- والثناء عليه. [1]

أمرنا الله -جل جلاله- بتعظيمه، والدعاء له -صلى الله عليه وسلم- وظاهر سوق الآية لإيجاب التأسي بالنبي، فيناسب اتحاد المعنى مع اللفظ، ومعنى ذلك أن المراد بالتعظيم المأمور به ما يكون بهذا اللفظ ونحوه، مما يدل أن هذا التعظيم من الله -عز وجل- إنما هو لقصور المؤمنين عن أداء حقه -عليه الصلاة والسلام-. [2]

حيث جاء في سبب نزولها كما أخرج البخاري[3]: (قال رجل: يا رسول الله أمّا السلام عليك فقد علمناه، فكيف الصلاة عليك قال:(قل اللهم صلي على محمد، وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، انك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، والمؤمنين، هي من الله ثناء عليه، واستغفار من الملائكة، ودعاء من المؤمنين له صلى الله عليه وسلم.

قال الطبري[4]: (يباركون على النبي، وقد يحتمل أن يقال: إن معنى ذلك: أن الله يرحم النبي، وتدعو له ملائكته ويستغفرون، وذلك أن الصلاة في كلام العرب

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، ص300.

(2) انظر الألوسي، روح المعاني، ج21، ص70.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب صفة الصلاة على النبي، حديث رقم 6357.

(4) انظر الطبري، محمد بن جرير الطبري(ت923م)، جامع البيان، دار المعارف، مصر، ج23 ، ص320.

من غير الله إنما هي دعاء)، يقول تعالى: يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبي الله محمد -صلى الله عليه وسلم- (وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) يقول: وحيوه تحية الإسلام.

يقول العلامة النبهاني[1] (ومن فوائد الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-: امتثال أمر الله بالصلاة عليه، وموافقته سبحانه وتعالى في الصلاة عليه، وموافقة الملائكة في الصلاة عليه، وحصول عشر صلوات من الله تعالى، وأن يرفع له عشر درجات، ويكتب له عشر حسنات، ويمحى عنه عشر سيئات، وترجى إجابة دعوته وأنها سبب لشفاعته صلى الله عليه وسلم، وأنها سبب لغفران الذنوب وستر العيوب وأنها سبب لكفاية العبد ما أهمه، وأنها سبب لقرب العبد منه -صلى الله عليه وسلم.

فبعث النبي صلى الله عليه وسلم بالخير لأمته بشيراً ونذيراً، وكان حريصاً على هداية قومه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(التوبة: 128) فكان بيننا صلى الله عليه وسلم يتألم ويحزن أن يُفلت أحداً من يده، ويخرج عن ساحة الإيمان، وكان يكلف نفسه في أمر الدعوة فوق ما يطيق، وفوق ما طلب منه حتى خاطبه ربه -عز وجل- بقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف: 6)، ومعلوم أن سيدنا رسول الله لم يطلب منه إلا البلاغ والبيان؛ لأن الهداية من الله -سبحانه وتعالى-، قال سبحانه: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (الشعراء: 4)؛ لذلك كان من حقه علينا أن نصلي عليه ونسلم كما أمرنا الله- سبحانه وتعالى- عندما بدأ بالصلاة على النبي بنفسه، وثنى بملائكة قدسه، وثلث بمؤمني جنه وإنسه. [2]

إذن فالصلاة من الله الثناء، ومن الملائكة الاستغفار والدعاء، ومن المؤمن عبادة ورجاء، ففي هذا يخبر المولى جلّ وعلا بما يناله الرسول الكريم من جاه

([1]) النبهاني، يوسف بن إسماعيل بن يوسف (ت 1350هـ)، أفضل الصلوات على سيد السادات، ط دار قباء 1351هـ، ص 54، 55.

([2]) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج19، ص12142.

عظيم، ومنزلة سامية، ومكانه رفيعة عند الله تعالى، وما له مـن الـسيادة والمقـام المحمود في الملأ الأعلى، وما خصه الله به من الثناء العطر الذكر الحسن. (1)

ووردت صيغ كثيرة تبين كيفية الصلاة على النبي-صلى الله عليـه وسـلم-ذكرتها معظم كتب التفسير، وكتب السنن كما علمهـا رسـول الله لأصـحابه، ثـم توارثتها الأجيال اللاحقة، وستتوارثها إلى يوم القيامة إن شاء الله، سنذكر هنا ثلاثة منها:

من رواية أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قلنا: يا رسول الله هـذا السلام عليك فكيف نصلي، قال: قولوا: (اللهم صلي على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم، وآل إبراهيم). (2)

من رواية مالك بن انس (اللهمَّ صلِّ على محمَّد وأزواجه وذُريَّته، كما صليتَ على آل إبراهيم، وبارِك على محمَّد وأزواجه وذُريَّته، كما باركتَ على آل إبراهيم؛ إنّك حميدٌ مجيد). (3)

ومن رواية ابن أبي ليلى(4) قال: لقيني كعب بن عجرة(5)، فقال: ألا أهدي لك هدية خرج علينا -رسول الله صلى الله عليه وسلم- فقلنا: قد عرفنا كيف نـسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: (اللهم صلي على محمد، وعلى آل محمد كما

---

(1) الألوسي، روح المعاني، ج21، ص77.

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب هل يصلى على غير النبـي صـلى الله عليه وسلم، حديث رقم 6358.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب صفة الصلاة على النبي، حـديث رقم 3369.

(4) هو محمد بن عبدا لرحمن بن أبي ليلى ولد 73هـ مفتى الكوفة وقاضيها (انظر: الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، 1422هـ، ج6، ص311).

(5) كعب بن عجرة بن أمية البلوى، صحابي جليل، يكنى أبا محمد، (ت15هـ)، بالمدينـة، انظر: الزركلي الأعلام، ج5، ص 227.

صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم، إنك حميد مجيد). [1]

ومن اللطائف في هذا النداء التي خص الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم أنـه خاطبه بال التعريف، قال الله تعالى في الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (الأحزاب: 56)، ولم يقل على محمد، مع أن الظاهر ذكر الأنبياء بأسمائهم ،ولماذا لم يقل قائل على النبي بمعنى على موسى، أو عيسى، أو غيرهم، والذي يتضح أن النبي المعرف بأل هو محمد -صلى الله عليه وسلم- وليس غيره من الأنبياء؛ فكأنه مثل الشمس إذا طلعت، وهو تعريف فخامة، وكرامه، وعلو مكانة، وقدر، وتشريف، وتعظيم. [2]

إن من عظيم نعم الله تعالى علينا أن بعث فينا خاتم النبيين ليهدينا للإسلام، وجعل صفة البخل في عدم الصلاة عليه: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ). [3]

واستحب لنا رسول الله الصلاة عليه -صلى الله عليه وسلم- يوم الجمعة وقال عليه السلام: (أكثِروا عليّ من الصَّلاةَ يومَ الجمُعةِ فان صلاتكم معروضة عليّ، قالوا كيف تعرض عليك وقد أرمت قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء). [4]

والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم، والسيد قد يحب مماليكه، ولكنه لا يعظمهم، والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم، فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبته فوق رتبة المحبة.

([1]) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، (ت261هـ)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة باب التشهد الأخير، ص148، حديث رقم 405.

([2]) انظر: الرازي، غرائب أي التنزيل، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط 1، ص472، 1990.

([3]) الألباني، محمد ناصر الدين الألباني (ت 1999)، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط3، 1985، المكتب الإسلامي، دمشق، ج1، ص25. صححه الألباني.

([4]) الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ج1، ص25، صححه الألباني.

السلام: اسم من أسماء الله الحسنى، ودار السلام، الجنة. [1]

يقول الألوسي[2] -رحمه الله-: (أي قولوا السلام عليك أيها النبي، ونحوه، وهذا ما عليه أكثر العلماء، وفي معنى السلام ثلاثة أوجه أولها: السلامة من النقائص والآفات لك ومعك مصاحبة وملازمه، وثانيها: السلام مداوم على حفظك ورعايتك، ومتولي له، وكفيل به، ويكون السلام هنا اسم الله تعالى، وثالثها: الانقياد لك، وإن السلام من المسالمة، وعدم المخالفة، والمراد الدعاء بأن يصيّر الله تعالى العباد منقادين مذعنين له -صلى الله عليه وسلم-).

فكل هذه المعاني التي ذكرت تدخل في معنى السلام فيكون السلام بالسلامة من النقائص من الآفات، والعيوب؛ لأنه -صلى الله عليه وسلم- معصوم من الغلط، والزلل .

أكرم الله -عز وجل- الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- باصطفائه للرسالة الخاتمة وأرسله رحمة مهداة للعالمين فكان حبيب الله، فأكرمه الله بذكره والثناء عليه، وجعل الملائكة يدعون له، وأمر المؤمنين أن يصلوا عليه وصلاة الله على النبي ذكره بالثناء في الملأ الأعلى؛ وصلاة ملائكته دعاؤهم له عند الله، ويا لها من مرتبة عالية ،حيث تردد آيات القرآن ثناء الله على نبيه، وما من نعمة ولا تكريم بعد هذه النعمة وهذا التكريم، وأين تذهب صلاة البشر وتسليمهم بعد صلاة الله العلي وتسليمه، وصلاة الملائكة في الملأ الأعلى وتسليمهم؛ إنما يشاء الله تشريف المؤمنين بأن يقرن صلاتهم إلى صلاته وتسليمهم إلى تسليمه؛ وأن يصلهم عن هذا الطريق بالأفق العلوي الكريم، إن من أحب شيئا أكثر من ذكره، فمن أحب الله ورسوله أكثر من ذكرهما، وقد أمر الله عز وجل المؤمنين أن يصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلينا أن نعود أبناءنا أن يصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحببهم في ذلك.[3]

وتتأكد الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- في عدة مواضع:

([1]) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، ص90.

([2]) الألوسي، روح المعاني، ج21، ص79-80.

([3]) الطبري، جامع البيان، ج20، ص320.

في التشهد من كل صلاة نافلة، أو فريضة، عند ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعند بدء الدعاء وختمه، عند بدء الخطبة ،وعند الفراغ من الآذان، و يوم الجمعـــة، ويجب التنبيه إنه لا ينبغي عند كتابة لفظ الصلاة النبي -صلى الله عليــه وســلم- الإشارة بـــ (ص) أو(صلعم)(1)، بل كتابة واضحة صريحة -صلى الله عليه وسلم-.

فالصلاة على النبيّ الكريم هي عبادة مفروضة علينا كمسلمين، وهي صـــلاة تختلف عن صلاتنا المفروضة، صلاة لا تحتاج منّا أن نكون علـــى وضـــوء أو أن نتجه قبالة القبلة، هي صلاة تشريفيّة وتكريميّة للرسول الكريم، الذي حمل رسالة الله إلينا ووسيلته في هدايتنا إلى النور والطريق القويم.(2)

2.1 طاعته والإيمان به والاستجابة إليه -صلى الله عليه وسلم-،

1.2.1 طاعته -صلى الله عليه وسلم-، وفيه ثلاثة نداءات:

قرن الله سبحانه، وتعالى طاعته بطاعة نبيه -صلى الله عليه وسلم- تعليماً لنا أن من أطاع رسول الله فقد أطاع الله تعالى، ومن عصى رسوله فقد عصاه، وعطف أولى الأمر على الله ورسوله؛ ليبين أن ولي الأمر الذي يطاع من هو علـــى الحـــق ومرجعيته الكتاب والسنة.

النداء الأول: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْـــأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَـــوْمِ الْـــآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء:59).

الطاعة: من الفعل الثلاثي طاع بمعنى خضع، وانقاد، وأذعن، ومنـــه طـــوع يديك أي منقاد لك. (3)

(1) الأسطل، القيم التربوية في النداء القرآني، ص 74، 75.

(2) الجزائري، أبو بكر جابر الجزائري (ت 1426هـ)، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، مكتبة العلوم والحكم، ط3، 1415هـ، ص178.

(3) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص752.

أما في الاصطلاح: موافقة الأمر طوعاً، وهي تجوز لغير الله عندنا[1]، وقال الكفويّ[2]:(الطّاعة فعل المأمورات ولو ندبا، وترك المنهيّات ولو كراهة، فقضاء الدّين والإنفاق على الزّوجة والمحارم ونحو ذلك طاعة للّه وليس لعباده).

إن الطاعة نقيض الكراهية، وهذا يدل على أن لا طاعة بالجبر، والإكراه، والانقياد لا يكون إلا بعد إقناع فالطاعة لا تعني الاستعباد إلا لله وحده لا شريك له.[3]

يقول الشعراوي[4]-رحمه الله-: (إن حيثية الطاعة لله -عز وجل- وللرسول -صلى الله عليه وسلم- نشأت من الإيمان بالله، وبالرسول وهذه عدالة كاملة؛ لأنه سبحانه لا يكلف أحدا أن يفعل فعلاً إلا إذا كان قد آمن به سبحانه مكلِّفاً، آمن به أمراً، أما الذي لا يؤمن به فهو لا يقول له: افعل كذا، ولا تفعل كذا، إنه سبحانه يطالبه أن يؤمن به أولاً، فإذا ما آمن به يقول له: استمع إلى؛ ولذلك تجد كل تكليف يصدر بقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا﴾.

إذن فقوله: (أَطِيعُواْ الله)، يلزم منها إطاعة الرسول؛ لأنه مبلغ عن الله أوامره إلى عباده، وبعد ذلك قال: (وَأُوْلِي الأمر) هنا لم يتكرر لهم الفعل، فلم يقل: وأطيعوا أولي الأمر لنفهم أن أولي الأمر لا طاعة لهم إلا من باطن الطاعتين: طاعة الله، وطاعة الرسول.[5]

---

(1) الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف (ت 816هـ)، التعريفات، ط1، الناشر دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، 1403هـ ، ص140، وانظر الكفوي، أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت 1094هـ)، الكليات، ط3، 1419هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ص 583.

(2) فارس خلف الجوازنة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، 2014م، مرويات السمع، والطاعة لأولياء الأمور، ص9.

(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج4، ص 2356.

(4) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج4، ص 2358.

(5) الشعراوي، تفسير الشعراوي ، ج4، ص2359.

وللطاعة ثلاثة أساليب، الأسلوب الأول: أطيعوا الله والرسول؛ فأمر الطاعة واحد والمطاع هو الله والرسول قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران: 132)، والأسلوب الثاني: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء:59) فالفعل تكرر لله، والرسول، والأسلوب الثالث: أطيعوا الرسول قال تعالى:﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(النور:56) فالتكاليف التي يأمر بها الحق سبحانه، وتتأكد بحديث من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو فعله أو تقريره وهنا تكون الطاعة في الأمر لله، وللرسول، أو أن الحق قد أمر إجمالاً والرسول عين تفصيلاً؛ فقد أطعنا الله في الإجمال وأطعنا الرسول في التفصيل مثال ذلك الصلاة عندما فرضها الله وفصلها الرسول بشروطها وأركانها، وإن كان هناك أمر لم يتكلم فيه الله وتكلم الرسول فقط، فتنفيذه طاعة لله والرسول باعتبار طاعة الرسول إنما هي طاعة لله في أوامره، ويثبت ذلك بقول الحق: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(النساء: 80)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: 7). [1]

روى البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:(من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني). [2]

يقول الرازي -رحمه الله- (ذكر المفسرون وجوها عدة في أولي الأمر أحدها: أن المراد من أولي لأمر الخلفاء الراشدون، والثاني: المراد أمراء السرايا، وثالثها: المراد العلماء الذين يفتون في الأحكام الشرعية، ويعلمون الناس دينهم). [3]

---

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج4، ص 2358.

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب ألأحكام، باب قوله تعالى:(وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، حديث رقم 7137، ص1128.

(3) الرازي، التفسير الكبير، ج9، ص144.

ويضيف ابن عاشور -رحمه الله- بأن أولي الأمر هم أهل الحل والعقد في الدولة الإسلامية كالولاة والأمراء وقادة الجيوش والعلماء المجتهدين في ألازمنه المتأخرة[1]، وطاعة ولاة الأمر واجبة، وهي طاعة لله وللرسول ما دام يحتكم الى شرع الله فقد نصت على ذلك السنة النبوية في كثير من نصوصها المطهرة ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ). [2]

ومن اللطائف في هذه الآية أنها مشتملة على علم أصول الفقه، وذلك لأن الفقهاء قالوا: أن أصول الشريعة أربع: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وهذه الآية مشتملة على تقرير هذه الأصول الأربعة بهذا الترتيب، أما الكتاب والسنة فقد وقعت الإشارة إليهما بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، وأما الإجماع فقوله تعالى: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، وأما القياس، ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[3]، إذن المقصود أطيعوا الله بما أمر في كتابه العزيز، ونهى عنه وزجر، وأطيعوا الرسول، أي بإتباعه في تنفيذ أوامر الله، وتبليغ دينه إلى الناس، وإقامة حكم الله في الأرض، ثم عطف أولوا الأمر، ليدل ذلك على ان طاعتهم واجبة إذا حافظوا على أمر الله وأمر رسوله. [4]

يقول الشعراوي[5] -رحمه الله-: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله والرسول} إذن فالتنازع لابد من أن يكون في قضية داخلة في نطاق مأمورات الطاعة، ويجب أن يكون لها مردّ ينهي هذا التنازع، والذين يعرفون هذه الأحكام هم العلماء، فإن تنازع المحكوم مع الحاكم نذهب إلى العلماء؛ ليبينوا لنا حكم الله في هذه المسألة، إذن فإن أريد بـ (أولي الأمر) الحاكم، نقول له: (فَرُدُّوهُ إِلَى الله والرسول)

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص97-98.

([2]) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام، حديث رقم7142.

([3]) رضا، محمد رشيد (ت 1354 هـ)، تفسير المنار،الهيئة المصرية للكتاب، ج5، ص165.

([4]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص164.

([5]) رضا، تفسير المنار، ج5، ص165.

أي على الحاكم أن يتبع ما ثبت عن الله والرسول، والحجة في ذلك هم العلماء المشتغلون بهذا الأمر، وهم الملاحظون لتنفيذ حكم الله بما يعرفونه عن الدين، والحق -سبحانه وتعالى- حين يطلب منا ذلك، يريد أن ينهي مسألة التنازع؛ لأن التنازع يجعل حركات الحياة متضاربة)، والحق يقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: 83).

مما تقدم يتبين أن تحكيم شرع الله والتحاكم إليه مما أوجبه الله ورسوله، وأنه مقتضى العبودية لله والشهادة بالرسالة لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- وأن الإعراض عن ذلك، أو شيء منه موجب لعذاب الله وعقابه، وهذا الأمر سواء بالنسبة لما تعامل به الدولة رعيتها، أو ما ينبغي أن تدين به جماعة المسلمين في كل مكان وزمان. [1]

وفي حال الاختلاف والتنازع الخاص والعام، سواء كان بين دولة وأخرى، أو بين جماعة وجماعة، أو بين مسلم وآخر، الحكم في ذلك كله سواء، فالله سبحانه له الخلق والأمر، وهو أحكم الحاكمين، ولا إيمان لمن اعتقد أن أحكام الناس وآرائهم خير من حكم الله، ورسوله، أو تماثله وتشابهه، أو أجاز أن يحل محلها الأحكام الوضعية والأنظمة البشرية، وإن كان معتقدا بأن أحكام الله خير وأكمل وأعدل. [2]

النداء الثاني: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (الانفال :20).

لقد جاءت الآيات التي سبقت هذا النداء تستعرض أحداث غزوة بدر التي أعان الله بها المسلمين على المشركين وفرض هيبة المسلمين على عدوهم ،فأوحى الله إلى الملائكة بتثبيت المؤمنين، وقذف الرعب في نفوس المشركين، وانزل السكينة على رسوله وعلى المؤمنين، ونصرهم، ثم جاء هذا النداء يوجب طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ويأمر بعدم التولي عن النبي صلى

---

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج4، ص 2360.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج4، ص 2361.

الله عليه وسلم[1]، ومن اللطائف هنا في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ ولــم يقــل عنهما مع انه في بداية الآية قال: وأطيعوا الله ورسوله، الجواب: ليؤكد أن طاعــة الرسول هي طاعة الله تعالى والتولي عنه وعن طاعته تولي عن طاعة الله[2]، قــال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾(النــساء: 80).

نهاهم عز وجل أن يسلكوا مسلك الكافرين المشركين، في عدم سماع الآيات الحاملة للحق، والداعية إليه، والتعامي عن رؤية آيات الله الدالة على توحيده، فهــم يقولون سمعنا بآذاننا، وهم لا يسمعون بقلوبهم لأنهم لا يتدبرون، ولا يفكرون لذا هم في سماعهم كمن لم يسمع؛ إذ العبرة بالسماع الانتفاع به لا مجرد سماع صــوت[3]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾(الانفال:22).

يقول الشعراوي[4] -رحمه الله-:(أن كل جنس من الإنسان والحيوان والنبــات والجماد يسير في ناموس تكوينه ليؤدي مهمته التي أرادها له الله، ولقائل أن يقــول: بينما الحيوانات كلها مسخرة؟ ونقول: إذا كنت أيها الإنسان تأخذ وظيفة الأدنى فأنت تختار أن تكون شرًا من الدابة؛ لأن الأدنى مسخر بقانونه ويفعل الأشياء بغرائزه لا بفكره، فكأن فكر الاختيار بين البديلات غير موجود فيه، لكنك أيها الإنسان ميــزك الله بالعقل الذي يختار بين البديلات، فإن أوقفت عقلك عن العمل، وســلبت قــدرتك على القبول لما تسمع من وحي، تكون شرمن الدواب).

وشر الدواب يعني بهم المشركين، وكانوا شر الدواب لأنهم كفــروا بــربهم، وأشركوا به فعبدوا غيره، وضلوا عن سبيله ففسقوا، وظلموا، وأجرموا الأمر الــذي جعلهم حقاً شر الدواب في الأرض فهذا تنديد بالمشركين، وفي نفــس الوقــت هــو تحذير للمؤمنين من معصية الله، ورسوله، والإعراض عن كتابه، وهدي نبيه صلى

---

(1) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج2، ص209.

(2) الألوسي، روح المعاني، ج9، ص188.

(3) انظر: الجزائري، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ص124.

(4) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج8، ص4640.

الله عليه وسلم، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ **أي لجعلهم يسمعون** آيات الله وما تحمله من بشارة ونذارة. [1]

النداء الثالث: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾(محمد :33).

ورد هذا النداء في سورة محمد -صلى الله عليه وسلم- حيث خص الله نبينا بسورة كاملة في القرآن الكريم تحمل اسمه أمراً بطاعته محذراً من عصيانه ومخالفة أمره، وكما أن للطاعة ثمراتها، فإن للمعصية عواقبها الوخيمة على الفرد أوّلاً وعلى الأمة ثانياً، فإذا ما انسلخ الإنسان عن أوامر ربِّه وأوامر رسوله -صلى الله عليه وسلم- خرج عن مساره المستقيم، ودخل في متاهات الشكوك والمعاناة، وفقد المدد الإلهي، وأضحى نجماً آفلاً يتردَّى في مسارب الشيطان ومسالكه.

أمَّا عزوف الأمَّة عن شريعة الله فإنه يؤدِّي إلى تفشِّي الخلافات بين صفوفها وتفرُّقها، وبالتالي إلى انهيارها وسيطرة أعداء الحقِّ والحقيقة على أفكارها ومعتقداتها.

قال البقاعي[2]:(يا من أقروا بالإيمان بألسنتهم، أطيعوا الملك الأعظم تصديقاً لدعواكم، طاعته بشدة الاجتهاد فيها أنها خالصة، وعظّم الرسول الله -صلى الله عليه وسلم- بإفراده بفعل الطاعة، فقال تعالى: (وأطيعوا الرسول) لأن طاعته من طاعة الذي أرسله، فإذا فعلتم ذلك حققتم أنفسكم وأعمالكم كما مضى أول السورة، فتكون صحيحة ببنائها على الطاعة بتصحيح النيات وتصفيتها مع الإحسان للصورة في الظاهر ليكمل العمل صورة وروحاً).

يقول الرازي[3]: (ولا تبطلوا أعمالكم) يحتمل وجوهاً: أولاهما: دوموا على ما أنتم عليه، ولا تشركوا فتبطل أعمالكم، الوجه الثاني: قال تعالى: (ولا تبطلوا أعمالكم) بترك طاعة الرسول كما أبطل أهل الكتاب أعمالهم بتكذيب الرسول وعصيانه) الثالث: وذلك أن من يمن بالطاعة على الرسول؛ كأنه يقول: هذا فعلته

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج8، ص 4640.

(2) البقاعي، نظم الدرر، ج18، ص260.

(3) الرازي، التفسير الكبير، ج 15، ص143.

لأجلك، ولولا رضاك به لما فعلت، وهو مناف للإخلاص، والله لا يقبل إلا العمل الخالص.

إذن المعنى: أمر سبحانه عباده المؤمنين بطاعته، وطاعة رسوله، فقال: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول فيما أمرتم به من الشرائع المذكورة في كتاب الله، وسنة رسوله، ثم نهاهم أن يبطلوا أعمالهم كما أبطلت الكفار أعمالها بالإصرار على الكفر، قال الشوكاني[(1)]: ولا تبطلوا أعمالكم، قال الكلبي[(2)]: بالرياء والسمعة. وقال الحسن البصري: بالمعاصي والكبائر.

2.2.1 في وجوب الإيمان به صلى الله عليه وسلم، وفيه نداءان:

أولاً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء :136).

ثانياً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(الحديد:28).

الآية الأولى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خطاب للمسلمين. ومعنى آمنُوا: اثبتوا على الإيمان وداوموا عليه وازدادوا إيماناً به، وَالْكِتابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ المراد به جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب، ويحتمل أن يكون الخطاب لأهل الكتاب، لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض. [(3)]

([1]) الشوكاني، بدر الدين محمد بن علي بن محمد بن عبد اللّه(ت 1250هـ) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، دار المعرفة، سنة النشر: 1423هـ، ص 138.

([2]) الكلبي هو:أبو النضر محمد بن السائب الكلبي، اشتهر بالتفسير في عصره وهو من قبيلة قضاعة توفي بالكوفة (146هـ). انظر ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت 381هـ)، وفيات الأعيان عن أنباء أبناء الزمان، ط1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، 1392هـ، ج4، ص 310.

([3]) الزمخشري، الكشاف، ج1، ص575.

نزلت الآية في جماعة من أهل الكتاب أتوا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وقالوا: يا رسول اللَّه، إنا نؤمن بك، وبكتابك، وموسى، والتوراة، وعزير[1] ونكفر بما سواه من الكتب، والرسل، فقال عليه السلام بل آمنوا باللَّه، ورسوله محمد ،وكتابه القرآن، وبكل كتاب كان قبله، فقالوا: لا نفعل فنزلت. [2]

قال البقاعي[3]: (ولما أمر بالعدل على هذا الوجه أمر بالحامل على ذلك، وهو الإيمان بالشارع والمبلغ والكتاب الناهج لشرائعه المبين لسرائره الذي افتتح القصة بحقيقته وبيان فائدته فقال يا أيها الذين أقروا بالإيمان؛ ولما ناداهم بوصف الإيمان أمرهم بما لا يحصل إلا به فقال مفصلًا له ءآمنوا بالله؛ لأنه أهل لذلك لذاته المستجمع لجميع صفات الكمال كلها، ولما كان الإيمان بالله لا يصح إلا بالإيمان بالوسائط، وكان أقرب الوسائط إلى الإنسان الرسول قال ورسوله المبلغ عنه سواء كان من الملك أو البشر ثم قال والكتاب الذي نزل مفرقًا بحسب المصالح تدريجًا، لأنه المفصل لشريعتكم المتكفل بما تحتاجون إليه من الأحكام والمواعظ وجميع ما يصلحكم، وهو القرآن الواصل إليكم بواسطة أشرف الخلق (والكتاب الذي أنزل) أي أوجد إنزاله ومضى؛ ولما لم يكن إنزاله مستغرقًا للزمان الماضي بين المراد بقوله: (من قبل) من الإنجيل والزبور والتوراة وغيرها؛ لأن رسولكم بلغكم ذلك فلا يحصل الإيمان إلا بتصديقه في كل ما يقول.

ومما أورد الزمخشري[4] في تفسيره:(أن هذا الخطاب للمنافقين، كأنه قال: يا أيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا إخلاصاً. فإن قلت: كيف قيل لأهل الكتاب وَالْكِتابِ

([1]) عزير هذا هو الذي يسميه أهل الكتاب (عزرا) والظاهر أن يهود العرب هم الذين صغروا بالصيغة العربية للتحبيب وصرّفوه، وعنهم أخذ المسلمون، والتصرف في أسماء الأعلام المنقولة من لغة إلى أخرى معروف عند جميع الأمم، حتى إن اسم "يسوع " قلبته العرب فقالت "عيسى" عزرا بن سرايا بن عزريا بن حلقيا -وساق نسبه إلى العازار بن هارون -عليه السلام-. (انظر: تفسير المنار، ج5، ص 283).

([2]) الواحدي، أسباب النزول، ص127.

([3]) البقاعي، نظم الدرر، ج5، ص434.

([4]) الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 575.

الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وكانوا مؤمنين بالتوراة والإنجيل؟ قلت: كانوا مؤمنين بهما فحسب، وما كانوا مؤمنين بكل ما أنزل من الكتب، فأمروا أن يؤمنوا بالجنس كله، ولأن إيمانهم ببعض الكتب لا يصح إيمانًا به؛ لأن طريق الإيمان به هو المعجزة، ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض، فلو كان إيمانهم بما آمنوا به لأجل المعجزة لآمنوا به كله، فحين آمنوا ببعضه علم أنهم لم يعتبروا المعجزة، فلم يكن إيمانهم إيمانا. وهذا الذي أراد عز وجلّ في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(النساء:150، 151)، وقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ أي أن القرآن نزل منجما في ثلاث وعشرين سنة، بخلاف الكتب قبله، ومعنى قوله وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ الآية: ومن يكفر بشيء من ذلك فَقَدْ ضَلَّ لأن الكفر ببعضه كفر بكله)، ومرتبة الإيمان أعلى من مرتبة الإسلام، فقد قال الله **تعالى**: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾(الحجرات: 14،15)، ونفسٌ لا إيمان فيها نفسٌ مضطربة ، تتقاذفها الأهواء، والنزعات؛ لأنها قلقة، ويُحرفها أصحاب الأهواء الخفية بمآربهم التي تضر بالأمة، وتبقى تائهةً مضطربة تتخبط يمينًا وشمالاً؛ لأنها لا تسير بما يرضي الله سبحانه، وتحركها أفكار شاذة، وأيد خفية، تصور أمام أصحاب هذه النفوس أمورًا تُخوِّفهم؛ حتى يسهل توجيههم، وانقيادهم، بدون روية، أو نظرة للعواقب، ولا إدراك لما يساقون إليه من إضرارٍ بالنفس وبالمجتمع، وإرهابٍ للأمة، وقتلٍ للنفس البريئة المحرمة بغير حق، وعصيانٍ لولي الأمر، الذي قرَن الله طاعته سبحانه وتعالى، وطاعة رسوله -صلى الله عليه وسلم- بطاعة ولي الأمر.

ومن اللطائف هنا ما ذكره الإمام الرازي[1] يقول: (لماذا قدم ذكر الرسول على ذكر الكتاب في مراتب الإيمان، وفي مراتب الكفر قلب القضية؟).

---

(1) الرازي، التفسير الكبير، ج11، ص76.

الجواب: لأن في مرتبة النزول من معرفة الخالق إلى الخلق كـان الكتـاب مقدماً على الرسول، وفي مرتبة العروج من الخلق إلى الخالق كان الرسول مقـدماً على الكتاب.

ويقول أيضا: (لماذا ذكر في مراتب الإيمان أمـور ثلاثـة الإيمـان بـالله، والرسول، والكتب، وفي مراتب الكفر خمسة فأضاف الملائكة، واليوم الآخر؟) .

الجواب: لأنه إذا حصل الإيمان بالله والرسول والكتب، تـضمنه الإيمـان بالملائكة، واليوم الآخر، وفي مراتب الكفر ربما يزعم الإنـسان أنـه آمـن بـالله والرسول والكتب وأنكر الملائكة واليوم الآخر، وهذا كفر صريح. [1]

في هذه الآية بيان للتصور الإسلامي الاعتقادي، فهو إيمان بـالله ورسـوله يصل قلوب المؤمنين بـربهم، فقد أرسل رسوله يهديهم إليه، وهـو كـذلك إيمـان برسالة الرسول وتصديقه في كل ما ينقله لهم عن ربهـم، وإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله، فيربطهم بالمنهج الذي اختاره الله لحياتهم وبينه لهم في هذا الكتـاب، ووجوب الأخذ بكل ما فيه، وهو إيمان بالكتاب الذي أنزل من قبـل، لأن مـصدر الكتب كلـها واحـد، وأساسها إسلام الوجه لله، وإفـراد الله سـبحانه بالإلوهيـة، والإقرار بأن منهج الله وحده هو الذي تجب طاعته، وتنفيذه في الحيـاة، والإيمـان بالكتب كلها هو السمة التي تنفرد بها هذه الأمة المسلمة؛ لأن تـصورها لربهـا الواحد ومنهجه الواحد وطريقه الواحد؛ هو التصور الذي يستقيم مع حقيقة الإلوهيـة ووحـدة البـشرية.

الإيمان بالله ورسله أهم قيمة في هذه القيم، وهي على رأس القيم كلها، حيث تنبع منها كل القـيم الأخرى، والله -عز وجل- ينادي المؤمنين بهذه الصفة الحبيبة إلى نفوسهم ليستجيش مـشاعرهم ويهيـئهم لاستقبال الأمر الذي يأتي بعـد النـداء ليقع في القلوب بسرعة وهو بذلك يبين لهم الطريق الذي إن اتبعـوه كـانوا مـن المؤمنين حقا، ثم بعد أن يقربهم منه يؤكد هذه القيم بفعل الأمر فيأمر -عز وجـل- لمؤمنين أن يجمعوا بين الإيمان به وبرسوله الأعظم خاتم النبيـين والقـرآن الـذي نزلـه عليـه، بين الإيمان بجنس الكتب -التي نزلها على رسله من قبل بعثة خاتم

([1]) الرازي، التفسير الكبير ، ج11، ص76.

النبيين- بأن يعلموا أن الله قد بعث قبله رسلاً، وأنزل عليهم كتباً، وأنه لم يترك عباده في الزمن الماضي سدى محرومين من البينات والهدى، ولا يقتضي ذلك أن يعرفوا أعيان تلك الكتب، ولا أن تكون موجودة، ولا أن يكون الموجود منها صحيحاً غير محرف. (1)

النداء الثاني: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحديد: 28).

التقوى هي: الاسم من التقى، والمصدر الاتقاء، وهي مأخوذة من مادة وقى فهي من الوقاية، وهي ما يحمي به الإنسان نفسه، وتدل على دفع شيء عن شيء لغيره، فالوقاية ما يقي الشيء، ووقاه الله السوء وقاية أي حفظه (2). وفي الاصطلاح هي: الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهي صيانة النفس عما تستحق من عقوبة من فعل أو ترك. (3)

هذا النداء كما نعلم هو في سورة الحديد التي ابتداء الله -سبحانه وتعالى- فيها الحديث عن عظمة الخالق -جل في علاه- الذي سبح له ما في الكون من مخلوقات وجماد، فلو إنك تأملت ما حولك من مزروعات، وطيور وحيوانات، وأمعنت النظر لأدركت إنها في قبضت الخالق الحي القيوم، وهو مدبر لأمرها متكفل برزقها؛ لقلت سبحان الله لذلك قال الله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد:1)، ثم سيق النداء للذين آمنوا بعيسى -عليه السلام-، وبالإنجيل، فكأن الآيات تقول يامن آمن بعيسى، اتق الله، وآمن بالرسول الذي بشر به عيسى، فتلك دلالة تقوى الله الإيمان برسله جميعا من غير تفريق.

والغالب في القرآن أن الذين آمنوا لقب للمؤمنين بمحمد -صلى الله عليه وسلم- ولكن لما وقع (يا أيها الذين آمنوا) هنا عقب قوله تعالى: ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ (الحديد:27)، أي: من الذين اتبعوا عيسى عليه السلام، احتمل قوله يا

(1) الأسطل، القيم التربوية في النداء القرآني، ص 42.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص 401.

(3) الجرجاني، التعريفات، ص58.

أيها الذين آمنوا أن يكون مستعملاً استعماله اللقبي أعني: كونه كالعلم بالغلبة على مؤمني ملة الإسلام. واحتمل أن يكون قد استعمل استعماله اللغوي الأعم ، أي من حصل منه إيمان، وهو هنا من آمن بعيسى، والأظهر أن هذين الاحتمالين مقصودان ليأخذ خُلّص النّصارى من هذا الكلام حظهم وهو دعوتهم إلى الإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم- ليستكملوا ما سبق من إتباعهم عيسى، فيكون الخطاب موجها إلى الموجودين ممن آمنوا بعيسى، أي: يا أيها الذين آمنوا إيمانا خالصا بشريعة عيسى اتقوا الله واخشوا عقابه واتركوا العصبية والحسد وسوء النظر، وآمنوا بمحمد-صلى الله عليه وسلم-. [1]

يا أيها الذين اقروا اقراراً صحيحاً بالأنبياء السابقين، وبالنبي -صلى الله عليه وسلم- اجعلوا بينكم وبين سخط الله وقاية أي؛ خافوا عقابه، ولا تأمنوا مكره، فكونوا على حذر من مخالفة أمره تسلموا، واتبعوا الرسول الذي لا رسول غيره الآن؛ لئلا تهلكوا، وضموا إيمانكم به إلى إيمانكم بما تقدم من الأنبياء؛ لأن رسالته عامة نسخت كل ما تقدم من الأديان، فإن أجبتم أثابكم نصيبين من الأجر، وحصنكم من العذاب، كما يحصن الراكب الكفل[2]، ويجعل لكم نورا تمشون به على الصراط، ويغفر لكم ما سلف من الذنوب، فهو غفور رحيم، أي بليغ الإكرام، والمحوا للذنوب. [3]

قال الطبري[4]: وقوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾، يُعطكم ضعفين من الأجر، لإيمانكم بعيسى -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، والأنبياء قبل محمد -صلى الله عليه وسلم- ثم إيمانكم بمحمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم حين بُعث نبياً، وأصل الكفل: الكاف، والفاء واللام أصل صحيح يدل على تضمن الشيء للشيء، والكفل في اللغة: الضّعف من الأجر[5]، وذكر الالوسي[1]: {يا أيها الذين اتصفوا بالإيمان (اتقوا الله) أي اثبتوا على

([1]) ابن عاشور والتحرير والتنوير،.ج2 ص427.

([2]) الكفل: هو كساء يوضع على ظهر البعير تحصيناً للراكب من السقوط. انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص1086 .

([3]) البقاعي، نظم الدرر،ج17، ص324.

([4]) الطبري، جامع البيان، ج23، ص208 .

([5]) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5، ص 188.

تقواه عز وجل فيما نهاكم عنه واثبتوا على الإيمان برسوله الذي أرسله إليكم وهو محمد -صلى الله عليه وسلم- وفي التعبير ما لا يخفى من الدلالة على جلالة قدره، حين قال تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ بسبب ذلك الإيمان، ورد عن أبي موسى الأشعري: كفلين ضعفين بلسان الحبشة. [2]

وأضاف القرطبي -رحمه الله-: قوله تعالى: (يَجْعَل لَّكُمْ نور)، بيانا وهدى: هو القرآن، ويحتمل النور في الآية :ضياء تمشون به في الآخرة على الصراط؛ لأن أهل الكتاب خافوا أن تزول رياستهم لو آمنوا بمحمد عليه السلام. وإنما كان يفوتهم أخذ رشوة يسيرة من الضعفاء لتحريف أحكام الله؛ لأن الرياسة الحقيقية في الدين لا في غيره[3]، وبناء عليه ينبغي أن ينتبه المربون إلى أن الإيمان بالله ورسله، أساس هام لبناء الإنسان الصالح، الذي ينفع مجتمعه وأمته والناس أجمعين، ويسعى جاداً في خدمة الناس، ابتغاء مرضاة الله -عز وجل- حيث يكون هدفه، رضا الله في كل أعماله ولذلك يقوم بواجبه على الوجه الأكمل الذي يرضي الله -عز وجل- ولا يحتاج من يقف على رأسه؛ ليقوم بواجبه بل يفعله بنفس راضية مطمئنة، محتسبا أجره عند الله، وهذا ما تسعى إليه التربية؛ فأهم أهدافها أن تخرج من مؤسساتها التعليمية المواطن الصالح، الذي ينفع مجتمعه ويسعى ليأخذ مكانه ودوره اللائق في هذا العالم الذي سيطرت فيه القيم المادية على كل شئون حياته. [4]

3.2.1 في الاستجابة له -صلى الله عليه وسلم-:

أمرنا الله سبحانه وتعالى أمرا آخر في هذه الآية ألا وهو الاستجابة لله تعالى وللرسول صلى الله عليه وسلم فهو -جل جلاله- قادر على ان يقهرنا على الاستجابة ولكنه أرادها استجابة طوعية ننال عليها الأجر ونرفع بها إنسانيتنا لحمل الأمانة فقال

---

(1) الألوسي، روح المعاني، ج 27، ص 192.

(2) الألوسي، المرجع نفسه، ج27، ص192.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص240 .

(4) الأسطل، القيم التربوية في النداء القرآني، ص 41.

سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(الأنفال: 24).

الاستجابة في اللغة هي: الإجابة، وحقيقتها، تحري الجواب، والتهيئـة لـه. [1] ومنه قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يوسف 34)، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.(غافر: 60).

المعنى استجيبوا للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونـواه، ففيـه الحيـاة الأبدية والنعمة السرمدية، ويستدل بهذا الأمر بالاستجابة على أنه يجب علـى كـل مسلم إذا بلغه قول الله، أو قول رسوله في حكم من الأحكام الشرعية أن يبادر إلـى العمل به كائنا ما كان، ويدع ما خالفه من الرأي، وأقوال الرجال. [2]

بادروا إلى الاستجابة قبل أن لا تتمكنوا منها بزوال القلوب التي تعقلون بها؛ بالموت الذي كتبه الله عليكم، وقيل: معناه: إنه خاف المسلمون يوم بدر كثرة العدو، فأعلمهم الله أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدلهم بعد الخوف أمناً، ويبدل عدوهم من الأمن خوفاً، وقيل: هو من باب التمثيل لقربه -سبحانه- من العبد كقوله: ﴿وَنَحْـنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(ق: 16)، ومعناه: أنه مطلع على ضمائر القلوب لا تخفى عليه منها خافية. [3]

يا لها من صورة رهيبة مخيفة للقدرة القاهرة اللطيفة ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فيفصل بينه وبين قلبه؛ ويستحوذ على هذا القلب، ويحتجزه، ويصرفه كيـف شـاء، ويقلبه كما يريد وصاحبه لا يملك منه شيئاً، وهو قلبه الذي بين جنبيه! إنها صـورة رهيبة حقاً؛ يتمثلها القلب في النص القرآني، ولكن التعبير البشري يعجز عن تصوير إيقاعها في هذا القلب، ووصف هذا الإيقاع في الحس القرآني.

([1]) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القران، ج1، ص133. عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: عالم الكتب، القاهرة، 1429 هـ، ج1، ط1، ص 75.

([2]) الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص534 .

([3]) الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص534.

يرد هنا سؤال كيف يدعى حي إلى الحياة؟ كأن الآية توحي لنا أن ممتثل أوامر الله، وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- حي، وضده ميت.

قال الشعراوي[1] -رحمه الله-:(وهنا نقل المسألة من سماع إلى استجابة؛ لأن مهمة السماع أن تستجيب، أي استجيبوا لله تعالى تشريعا، وللرسول صلى الله عليه وسلم بلاغاً، وغاية التشريع والبلاغ واحدة، فلا بلاغ عن الرسول إلا بتشريع من الله عز وجل، بل وللرسول صلى الله عليه وسلم تفويض بأن يشرع، ورسول الله لم يشرع من نفسه، وإنما شرع بواسطة حكم من الله تعالى حيث يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(الحشر: 7).

وأضاف ايضاً: (نحن نعلم أن الحياة تأخذ مظهرين، الحس والحركة، ولا يكون ذلك إلا بعد نفخ الروح في الجسد، وهذه مسالة يتساوى فيها المؤمن والكافر، ولكن ثمرة الحياة أن يُسعد الإنسان فيها، ولا يحيا حياة شقاء وبؤس، وشرط أن تكون كل حركه للإنسان تسعده، وتسعد من حوله، وتتضافر الطاقات للمنفعة العامة ليس للتبدد، والفرقة ولا يتأتى ذلك إلا بالاستجابة لله وللرسول بامتثال ألأمر واجتناب النهي كما حدد ذلك في مصادر الشريعة). [2]

قال ابن عاشور[3]: (إعادة حرف بعد واو العطف في قوله "وللرسول" للإشارة إلى استقلال المجرور بالتعلق بفعل الاستجابة، تنبيها على أن استجابة الرسول -صلى الله عليه وسلم- أعم من استجابة الله؛ لأن الاستجابة لله لا تكون إلا بمعنى المجاز، وهو الطاعة بخلاف الاستجابة للرسول -عليه الصلاة والسلام- فإنها بالمعنى الأعم الشامل للحقيقة، وهو استجابة ندائه، وللمجاز وهو الطاعة، فأريد أمرهم بالاستجابة للرسول بالمعنيين كلما صدرت منه دعوة تقتضي أحدهما).

وأضاف محمد رشيد رضا: والاستجابة هي الإجابة بعناية واستعداد، فتكون زيادة السين والتاء للمبالغة، إلا أنه لا يعبر به فيما يسند إلى الله تعالى كقوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾(آل عمران: 195) فقوله:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ

---

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج 8، ص 464.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي ، ج8، ص 465.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج8، ص 312.

وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾(الأنفال: 24)، معناه إذا علمتم ما فرضنا عليكم من الطاعة، وشأن سماع التفقه من الهداية، وقد دعاكم الرسول بالتبليغ عن الله تعالى لما يحييكم، فأجيبوا الدعوة بعناية وهمة وعزيمة وقوة، فهو كقوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آَتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ (البقرة :63)، والمراد بالحياة هنا حياة العلم بالله تعالى، وسننه في خلقه، وأحكام شرعه والحكمة، والفضيلة، والأعمال الصالحة التي تكمل بها الفطرة الإنسانية في الدنيا، وتستعد للحياة الأبدية في الآخرة. [1]

3.1 عدم التعريض بخطابه والتقدم -صلى الله عليه وسلم-:

1.3.1عدم التعريض بخطابه -صلى الله عليه وسلم-:

سلك اليهود مسلكا خطيرا للتعريض بخطابهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومما ورد في ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(البقرة 104).

قال الواحدي[2]:(وهذا ما فعله سعد بن معاذ -رضي الله عنه- فعندما كان اليهود يخاطبون النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم (راعنا)، ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: عليكم لعنة الله لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبي صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه فقالوا، أو لستم تقولونها لنبيكم أم هي حرام علينا حلال لكم ؟

يقول الإمام الرازي[3]-رحمه الله- (منع الله من استخدام راعنا وسمح باستخدام انظرنا مع إنهما مترادفتين)، أقول هنا والله اعلم بعد الوقوف على معني الكلمتين أنه لا يوجد ترادف فيهما؛ لأن المعنى مختلف كما سنرى.

يبين الأصفهاني:(راعنا كان ذلك قولاً يقولونه للنبي-صلى الله عليه وسلم- على سبيل التهكم يقصدون به رميه بالرعونة، ويوهمون أنهم يقولون أحفظنا، لم يكن

(1) رشيد رضا، تفسير المنار، ج9، ص525.
(2) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص29.
(3) الرازي، التفسير الكبير، ج3، ص223-224.

تحريف القول غريباً على اليهود فهم من قال الله فيهم[1]: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ (النساء46).

وارعن من رعنته الشمس، إذا آلمت دماغه، يقال من ذلك: رجـــل مرعـــون. ويقال: رعن الرجل يرعن رعنا، فهو أرعن، أي أهوج[2]، من خلال هذه المعـــاني فهي لا تحوي معنى منا سباً يصلح أن يخاطب به النبي-صلى الله عليه وسلم-.

بخلاف كلمة انظرنا، وهي لغة من الفعل الثلاثي نظر، والنظر تأمل الشيء، ومعاينته، ثم يستعار، ويتسع فيه. فيقال: نظرت إلى الشيء أنظر إليه، إذا عاينتـــه. نظرته، أي انتظرته، كأنه ينظر إلى الوقت الذي يأتي فيه. وأنظره: تأنى عليه. [3]

من خلال ما تقدم نلاحظ أن الكلمتين مختلفتين معناً ولفظاً ممـــا يـــرُد قـــول الرازي بالترادف في اللفظتين.

ولكن لماذا استبدل الحق سبحانه ،وتعالى كلمة راعنا بكلمة انظرنا؟ انه عنـــد اليهود في العبرانية، كلمة راعنا معناها الرعونة ،ولذلك كانوا إذا سمعوا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: كلمة راعنا اتخذوها وسيلة للسباب). [4]

ليس غريبا على اليهود المكر والتربص بالمسلمين والغدر والخيانـــة ولـــسنا بعيدين من حادثة صحيفة (شارلي ايبدوا) [5]، الفرنسية والرسوم المـــسيئة للنبـــي

---

(1) الأصفهاني، المفردات في غريب القران، ج1، باب الراء، ص 262.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص408.

(3) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص483.

(4) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج1، ص502.

(5) شارلي إبدو، (بالفرنسية: Charlie Hebdo بمعنى«شارلي الأسبوعية») هـــي صـــحيفة سياسية هزلية أسبوعية فرنسية. يرأس تحريرها منذ 2009 إلى غايـــة 7 ينـــاير 2015 ستيفان تشاربونيير، وسبقه في هذا المنصب فرانسوا كافانا (1969–1981) وفيليب فـــال (1992–2009). تتصف المجلة بأسلوب هجائي حاد وبنزعـــة يـــسارية، وقـــد نـــشرت الصحيفة صفحتها الأولى في 3 نوفمبر 2011 رسمًا كاريكاتوريًا مسيئة لمحمد-صـــلى الله عليـــــــــــه وســـــــــــلم-انظـــــــــــر:النـــــــــــت، https://www.google.jo/webhp?sourceid=chrome-instant&ion

الكريم -صلى الله عليه وسلم-التي إن عبرت عن شيء إنما تعبر عن حقدهم الدفين وحسدهم الدائم للمسلمين وللنبي الكريم، فقد كانوا ينتظرون بالأمس ان يكون النبي الخاتم منهم ولكن إرادة الله قضت بغير ما أرادوا، ولما رأوا، أنه بفضل الله تعالى أصبح عدد المسلمين في فرنسا ستة ملايين مسلم، وأنهم عما قريب سيكون لهم شأن في رسم السياسة الفرنسية، أرادوا تشويه صورة الإسلام، وصورة نبيه في عقول الغرب والشرق، ويربطونها بالإرهاب المزعوم عندهم، ولكن سبحان الله ما دبروا أمراً وعملوا عملاً ضد الإسلام إلا زاد الله من غيظهم، بكثرة الداخلين في الدين بسبب ما أحدثوا فلله الحمد والمنة.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ ذكر شيئا آخر من جهالات اليهود، والمقصود نهي المسلمين عن مثل ذلك، فراعنا من المراعاة وهي المفاعلة من اثنين، فتكون من رعاك الله، أي أحفظنا، ولنحفظك، وارقبنا، ولنرقبك. ويجوز أن يكون من أرعنا سمعك، أي فرغ سمعك لكلامنا، وفي المخاطبة بهذا جفاء، فأمر المؤمنين أن يتخيروا من الألفاظ أحسنها، ومن المعاني أرقها؛ لأن المسلمين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: راعنا على جهة الطلب، والرغبة. (1)

وراعنا من المراعاة أي: التفت إلينا، وكان هذا بلسان اليهود سباً، أي اسمع لا سمعت، فاغتنموها وقالوا: كنا نسبه سراً فالآن نسبه جهراً، فكانوا يخاطبون بها النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: عليكم لعنة الله! لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبي -صلى الله عليه وسلم- لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها؟ فنزلت الآية، ونهوا عنها لئلا تقتدي بها اليهود في اللفظ وتقصد المعنى الفاسد فيه.(2)

2.3.1 النهي عن التقدم على النبي -صلى الله عليه وسلم- بالقول أو الفعل:

هذا النداء التي نحن بصدده هو مطلع سورة الحُجُرات تشتمل على ثمانية عشر آية، ويمكن أن نعبِّر عن هذه السورة المباركة بسورة الأخلاق والآداب؛ حيث

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج1، ص501.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القران، ج2، ص 56.

أنها اشتملت على منظومة متكاملة من أصول الأخلاق والآداب التي لو روعيت وتم الالتزام بها من قِبل المجتمع الإسلامي، لكان ذلك مُفضياً إلى أن يصل هذا المجتمع إلى مستوى الريادة كما أراد الله له ذلك، فمضامين هذه السورة تستهدف تقويم البناء الاجتماعي، وينتهي الالتزام بها الى مجتمع متماسك قـوي قـادر علـى مواجهـة التحديات، وقادر على أن يخطو نحو التكامل بخطواتٍ ثابتة، ومنتظمة، وحينئذ يكون جديرا بموقع الريادة لعموم البشرية وقادرا على أن يسير بها نحو الكمال الذي أراده الله -عز وجل- للإنسان.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.(الحجرات:1)

لما نوه سبحانه وتعالى في سورة القتال بذكر النبي-صلى الله عليه وسـلم- في بدايات الصورة ومدح أتباعه لأجله افتتح هذه السورة بلزوم التأدب معـه فـي القول، والفعل للعد من حزبه، والفوز بقربه، ومدار ذلك معالي الأخـلاق مـع الله سبحانه، ومع رسوله-صلى الله عليه وسلم-بدا النداء بالأدب مع الله لأنه هو الأصل الجامع للكل والأساس الذي لا يبنى إلا عليه ولما كان النهي عن التقدم بالقول قـال (إن الله سميع) أي لأقوالكم ولما قال: (عليم) أي بأفعالكم اثبت إن المنهي عنه هـو التقدم عليه صلى الله عليه وسلم بالقول أو الفعل. [1]

أخرج البخـاري[2] في صحيحه من رواية عبد الله بن الزبير أنه قدم ركـب من بني تميم على النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال أبو بكر امـر القعقـاع بـن معبـد[3]. وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس[1] فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافي فقال عمر ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت.

---

(1) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 18، ص351.

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب إن الذين ينادونك مـن وراء الحجـرات، حديث رقم 4847 .

(3) القعقاع بن معبد (8 هـ) بن زرارة الدارمي التميمي من سادات العرب يقال لـه تيـار الفرات، وفد على النبي مع رؤساء تميم ،كانت فيه رقه فأشار أبو بكر بتأميره. (انظـر: الزركلي، الأعلام، ج 5، ص202).

قال الزمخشري[2]: (والمعنى أن لا تقطعوا أمراً إلا بعدما يحكمان به ويأذنان به، فتكونوا إما عاملين بالوحي المنزل، وإما مقتدين به -صلى الله عليه وسلم-).

وإن الله عليم بالظواهر، والسوابق، واللواحق، وفي ذكر الأسمين الكريمين في نهاية هذه الآية ترهيب عن عدم الامتثال.

هذه آداب أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول -صلى الله عليه وسلم- من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(الحجرات:1) أي: لا تسرعوا في الأشياء بين يديه، أي: قبله، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور. [3]

فكمال الأدب مع رسول الله أن تسلم له، وأن تنقاد لأمره، وأن ترضى بحكمه، وأن تأخذ خبره بالقبول والتصديق دون أن تحمل هذا الخبر معارضة خيال جامح، أو عقل مغلق، أو تحمله شبهة أو شكاً، أو تقدم عليه آراء الرجال.

وبذلك يظهر أن المراد بقوله: ﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾ تقديم حكم ما أمام حكم الله ورسوله إما بالاستباق إلى قول قبل أن يأخذوا القول فيه من الله ورسوله أو إلى فعل قبل أن يتلقوا الأمر به من الله ورسوله لكن تذييله تعالى النهي بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يناسب تقديم القول دون تقديم الفعل ودون التقدم الشامل للقول والفعل وإلا لقيل: إن الله سميع بصير ليحاذي بالسميع القول وبالبصير الفعل كما يأتي تعالى في كثير من موارد الفعل بمثل قوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(الحديد: 4)، المعنى: أن

([1]) هو الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي الدارمي التميمي، صحابي جليل من سادات العرب في الجاهلية، شهد حنين، وفتح مكة، والطائف، سكن المدينة، وكان من المؤلفة قلوبهم وصل إلى دومة الجندل في خلافة أبي بكر (توفي 31 هـ) انظر: الزركلي، الأعلام، ج 2، ص5.

([2]) الزمخشري، الكشاف، ج4، ص350.

([3]) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص 205.

لا تحكموا فيما لله ولرسوله فيه حكم إلا بعد حكم الله ورسوله أي لا تحكموا إلا بحكم الله ورسوله ولتكن عليكم سمة الإتباع. (1)

بين يدي الشيء أمامه وهو استعمال شـــائع مجـــازي وإضـــافته إلـــى الله ورسوله معاً لا إلى الرسول دليل على أنه أمر مشترك بينه تعالى وبين رسوله وهو مقام الحكم الذي يختص بالله سبحانه وبرسوله بإذنه. (2)

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾(النساء:64).

لن يعظم الله تعالى من لم يعظم أمره سبحانه، ولن يوقره تعالى من لم يـــوقر شريعته عز وجل، ولن يقدره حق قدره من لا يستسلم لحكمه، ولا يخضع لـــشرعه ومن حكَّم أهواء الناس على الشرع فهو جاهل بربه، مزر بعقله، مغتر ببشر مثلـــه، وأنى لمقارنة شرع الخالق بهوى المخلوق، كمن سوى بين الرب والعبد، تعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً.

([1]) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 349.

([2]) الزمخشري، الكشاف ، ج4، ص 350.

الفصل الثاني

النداءات المتعلقة بالأخلاق، وفيه ثلاثة مباحث:

1.2 الدعوة إلى السداد في القول ،والتثبت من خبر الفاسق، والنهي عن الظن:

1.1.2 تحري السداد في القول، وتحريم النجوى بالإثم والعدوان:

أمر الله بتحري الصواب فيما يصدر عن لإنسان من الأقوال والأفعال كي لا يكون سطحياً ينقل الأخبار لمجرد السماع.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾(الأحزاب:70).

السداد في اللغة: من الفعل سد وهو إغلاق الخلل وردم الثّلَم، ومنه سدده أصلحه وأوثقه[1] وذو السداد أي الصواب و الاستقامة[2]، ويقال: قال سداداً، وسدده الله عز وجل .

قال الكفوي[3]: والسداد: الصواب من القول والفعل.

ومن القول السديد: لِين الكلام ولطفه، في مخاطبة الأنام والقول المتضمن للنصح والإشارة، بما هو الأصلح، ثم ذكر ما يترتب على تقواه، فقال: (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) أي: يكون ذلك سببًا لصلاحها، ويوفّق فيه الإنسان للعمل الصالح، ويصلح اللّه الأعمال، بحفظها عما يفسدها، ويحفظ ثوابها، ويضاعفه.[4]

والسداد: القصد إلى الحق، والقول بالعدل، يقال: سدّد السهم نحو الرمية، والمعنى: راقبوا الله في حفظ ألسنتكم، وتسديد قولكم: فإن فعلتم أعطاكم الله أجركم الذي هو غاية طلبكم: من تقبل حسناتكم والإثابة عليها، ومن مغفرة سيآتكم، وتكفيرها. [5]

([1]) ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص 150.

([2]) انظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، ص66.

([3]) الكفوي، الكليات، ص559.

([4]) انظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص641

([5]) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 636.

نهى الله عن الأذى، وأمر بالنفع ليصير الناس وجهاء عنده سبحانه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي ادعوا ذلك، برهنوا على إيمانكم، بأن تبذُلوا كل ما في وسعكم في طاعته، ولقد خص الله تعالى النبي في أول السورة، بالأمر بالتقوى عم في آخرها بأمر يتضمن الوعيد ليقوي الصارف الداعي إلى تركه، قولوا في حق النبي -صلى الله عليه وسلم- وأهل بيته قولاً قاصداً إلى الحق، والصواب. [1]

قال البغوي[2]:(قال ابن عباس -رضي الله عنه- القول السديد: الصواب وقال قتادة[3]: العدل، وقال الحسن: الصدق، وقال عكرمة[4] هو: قول لا اله إلا الله).

إن الكلمة مثل السهم، تبقى في قبضة صاحبها ما لم تخرج فان خرجت من فمه لن تعود إليه؛ لذلك يجب أن يسدد الإنسان كلامه كما يسدد الرامي سهمه بإحكام، ولا يطلقه إلا عند الحاجة إلى ذلك، ولا يكون كثير الكلام، فعندما يقول، أو يفعل يتحرى الصواب، ولا يكون سطحياً ينقل كل ما يسمع، ولا يقدر عواقب الأمور، وانعكاسها على المجتمع.

قال الألوسي -رحمة الله-[5]: في كل ما تأتون وتذرون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه تعالى فضلًا عما يؤذي رسوله وحبيبه -صلى الله عليه وسلم- وقولوا في كل شأن من الشؤون قولاً قاصدًا ومتوجهًا إلى هدف يقال: سدد سهمه إذا وجهه للغرض المرمي، والمراد على ما قيل نهيهم عن ضد هذا القول، وهو القول: الذي ليس بسديد ويدخل فيه ما صدر منهم من القول الجائر عن العدل، والقصد وكذا كل قول

---

(1) انظر: البقاعي، نظم الدرر، ج15، ص421.

(2) البغوي، الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشامي (ت 516هـ)، معالم التنزيل، ط3، 1413هـ، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ج3، ص546.

(3) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي، مفسر مشهور ومحدث (ت 128هـ) روى عن انس بن مالك وسعيد بن جبير -رضي الله عنهما-، انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص 270.

(4) هو العلامة الحافظ المفسر أبو عبد الله عكرمة القرشي البربري، انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ص13.

(5) الألوسي، روح المعاني، ج21، ص95.

يؤذيه عليه الصلاة، والسلام، عن ابن عباس -رضي الله عنه-تخصيص القول السديد بلا إله إلا الله).

ومن القيم التربوية في هذا النداء: إن تربية الأبناء على قول الحق منذ الصغر من الأهمية بمكان في المجتمع المسلم فهي قيمة جليلة، فإذا غرست في الإنسان منذ الصغر كان إنسانا مجاهدا بالكلمة يقول الحق، ويصدع به، ولا يخشى في الله لومة لائم، فيصبر على الأذى، ويتوكل على الله، لا يهاب قول الحق، فيسهل عليه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فلا يترك العالم الجاهل يتخبط في ظلمات جهله، بل يرشده إلى الحق ليعمل به، أما إذا كان العالم يهاب الناس، ولا يجهر بالحق فإن هذا ينعكس سلباً على المجتمع فيفشو الجهل، ويقل العلم ويظل الجاهل يتخبط في ظلمات جهله، ولا يكون للعالم تأثير ملموس على مجتمعه، وهذا الأمر يجعل التبعة على المربين كبيرة وثقيلة، لذلك كان لزاما على المربين أن يغرسوا في الأبناء قول الحق منذ نعومة أظفارهم ليسعوا إلى تغيير واقع المجتمع المسلم إلى الأحسن. (1)

إذن القول السديد هو: القول الصواب، سواء بالدعوة إلى الله، أو بتعليم العلم، أو بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أو غير ذلك، المهم أن القول السديد ما كان صواباً تسد به الحاجة، الأمر بالمعروف قول سديد، النهي عن المنكر قول سديد، تعليم العلم قول سديد، التحدث مع الإخوان للانبساط، وإزالة الوحشة عنهم، وإدخال السرور عليهم من القول السديد.

النداء الثاني: تحريم المناجاة بالإثم والعدوان:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(المجادلة:9)

جاء في الحديث عن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم-:(إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث). (2)

---

(1) انظر: الأسطل، القيم التربوية في النداء القرآني، ص 50.

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب لا يتناجى اثنان دون الثالث، حديث 6288.

الإثم في اللغة بينه ابن منظور[1] هو: الذنب: هو أن يعمل ما لا يحـل لـه والعدوان :المعصية والظلم. [2]

يقول الشعراوي[3]: (وما داموا يخفون كلاماً ويسرونه فلابـد أنـه مخـالف للفطرة السليمة ولو كان حقاً لقالوه علانية، وتأمر الآية بالنجوى المحمودة).

أدب أراد الله تعالى أن يعلمنا إياه بما يخص المجالس وهو: احترام الآخرين وإكرامهم، وعدم الإساءة لهم وإيقاع الشك والحزن في نفوسهم، ومنـه ألا يتنـاجى اثنان دون الثالث بغير إذنه إلا لحاجة ضرورية، والتناجي: هو التحدث سرّاً بصوت منخفض وغير مسموع أو التحدث بلغة غير مفهومة لدى الـشخص الثالـث، فـإن حصل التناجي في الشر فهو حرام وإذا احتاج الإنسان لمناجاة غيره سرّاً في أمـر خاص وجب عليه أن يستأذن الحاضرين معه بأسلوب لطيف لبق.

وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى هذا كله ، فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُـوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّـهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(المجادلة:9)، ثم بين الله تعالى سبب المناجـاة فقـال: ﴿إِنَّمَـا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّـهِ وَعَلَـى اللَّـهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المجادلة:10).

كما أن التناجي سرّاً من صفات المنافقين، لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْـصِيَةِ الرَّسُـولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(المجادلة:8).

ذيل الله الآية بالتقوى وذكر يوم الحشر الذي سنحاسب فيه من الله عـن هـذه النجوى الآثمة ومعصية الرسول فيما أمر ونهى.

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب ، ج1 ، ص 57.

(2) ابن منظور، لسان العرب ، ج10، ص67.

(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج24، ص 15005.

2.1.2 الاستئذان، وفيه نداءان:

النداء الأول : الاستئذان العام: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾(النور:٢٧).

ذكر علماء اللغة للإذن استعمالات شتى، وأظهرها أنه يفيد معنى: (العلم أو الإعلام)، قال ابن منظور[1]: وآذنه الأمر أعلمه، وأذنت أكثرت الإعلام، والأذان الإعلام. وقوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ﴾(التوبة: ٣). أي إعلام. وأذِن له في الشيء إذنًا: أباحه له، وأذن تأذينًا: أكثر الإعلام .

وقال الفيروز آبادي[2]: أذن بالشيء: علم به، واستأذنه: طلب منه الإذن.

أما في الاصطلاح : فك الحجر وإطلاق التصرف لمن كان ممنوعًا شرعًا.[3]

ذكر الواحدي عن سبب نزول هذه الآية أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله، إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، لا والد ولا ولد فيأتي الأب فيدخل علي وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال، فكيف أصنع؟ فنزلت الآية. فقال أبو بكر -رضي الله عنه-: يا رسول الله، أفرأيت الخانات، والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن؛ فأنزل الله تعالى: ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة. [4]

إن الناظر إلى أسرار آداب الاستئذان يكتشف حِكمه وواقعيته، فالإنسان ذو غرائز وشهوات وليس كل أحد يمتنع عن إرسال شهواته ومسبباتها بدافع الضمير الإنساني أو بدوافع المروءة والنخوة كما يمتنع بالوازع الإيماني، والشريعة الإسلامية ذات أحكام ميسرة ونظرات بعيدة متعمقة إذا حرّمت شيئًا تحرم كل سبب وداعٍ يؤدي إليه.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص79.

(2) انظر الفيروز آبادي، القاموس، المحيط، ص1516.

(3) الجرجاني، التعريفات، ص15.

(4) الواحدي، أسباب نزول القران ، ص 212.

عن أبي موسى الأشعري -رضي اللّه عنه- قال: قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم-: (الاسْتِئْذَانُ ثَلاثٌ، فإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلاَّ فَارْجِعْ). [1]

وعن سهل بن سعد رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-: (إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ البَصَرِ).[2]

قال القرطبي[3]: فإن وقعت العين على العين فالسلام قد تعين، ولا تعد رؤيته إذنا لك في دخولك عليه، فإذا قضيت حق السلام لأنك الوارد عليه تقول: أدخل؟ فإن أذن لك وإلا رجعت.

النداء الثاني: الاستئذان الخاص: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النور: 58).

قال البغوي[4]: قال ابن عباس رضي الله عنهما وجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- غلاماً من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقت الظهيرة ليدعوه، فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك، فأنزل الله هذه الآية.

هذه الأوقات الثلاثة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى هي أوقات الخلوة والتصرف التي يمكن أن يأتي فيها الإنسان أهله في العادة، والاستئذان الخاص مثلاً: استئذان الخدم أو الإماء أو الأطفال على الأبوين مثلاً، كل وقت يشق فجعله واجباً في هذه الأوقات الثلاثة؛ لأنه يوجد مشقة، لأجل الطواف بالخدمة، وقضاء الأشغال والحوائج، فإذا كانت كلما تريد أن تتحرك من مكان إلى مكان تستأذن سيكون هناك مشقة، لكن جعل هناك أوقات معينة ليس فيها دخول إلا باستئذان، وهي مظنة خلع

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، حديث 6244.

(2) البخاري، صحيح البخاري ، كتاب الاستئذان، باب آية الحجاب، حديث6241.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القران، ج12، ص 202.

(4) البغوي، تفسير البغوي، ج6، ص61، وانظر: الواحدي، أسباب نزول القران، ص214.

الثياب ومظنة إتيان الرجل أهله واستراحته وقيلولته ونومه، وكانوا في الحر يخلع الرجل إزاره ورداءه، فربما تعرى فينكشف فيطلع غير المستأذن على شيء غير مناسبٍ.

المعنى: ليستأذنوا في ثلاث أوقات، من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء وإنما خص هذه الأوقات لأنها ساعات الخلوة ووضع الثياب، فربما يبدو من الإنسان ما لا يحب أن يراه أحد، أمر العبيد والصبيان بالاستئذان في هذه الأوقات، وأما غيرهم فليستأذنوا في جميع الأوقات: بعد هذه الأوقات الثلاثة، فليس عليكم ولا عليهم حرج في الدخول من غير استئذان لأنهم من أهل البيت، طوافون عليكم أي: العبيد والخدم يطوفون عليكم فيترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالهم بغير إذن.

يضيف سيد قطب -رحمه الله-:(وسماها عورات لانكشاف العورات فيها، وفي هذه الأوقات الثلاثة لابد أن يستأذن الخدم، وأن يستأذن الصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم، كي لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم، وهو أدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية، مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات السادة! وأن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر، بينما يقرر النفسيون اليوم -بعد تقدم العلوم النفسية- أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في حياتهم كلها؛ وقد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤهم منها.

3.1.2 النهي عن سوء الظن:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾(الحجرات12).

الظن في اللغة: شك ويقين(1)، والتردد الراجح بين طرفي الاعتقاد الجازم ومنه ظنون، وقد يوضع موضع العلم. (2)

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص272.

(2) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص1263.

وفي الاصطلاح: هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في الشك واليقين. (1)

نزلت في رجلين من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- اغتابا رفيقهما، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما. فضم سلمان إلى رجلين، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ لهما شيئا، فجاءا فلم يجدا طعاما و إداماً، فقالا له: انطلق فاطلب لنا من النبي-صلى الله عليه وسلم- طعاماً وإداماً، فذهب فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-:(اذهب إلى أسامة بن زيد فقل له إن كان عندك فضل من طعام فليعطك) وكان أسامة خازن النبي صلى الله عليه وسلم، فذهب إليه، فقال أسامة: ما عندي شيء، فرجع إليهما فأخبرهما، فقالا: قد كان عنده ولكنه بخل. ثم بعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا، فقالا: لو بعثنا سلمان إلى بئر سُمَيحة لغار ماؤها. ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شيء، فرآهما النبي-صلى الله عليه وسلم- فقال:(مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما) فقالا: يا نبي الله، والله ما أكلنا في يومنا هذا لحما ولا غيره. فقال: (ولكنكما ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة) فنزلت الآية. (2)

المعنى: تباعدوا منه، وأصل اجتنبه كن على جانب منه، وتنكير (كَثِيرًا) ليحتاط في كل ظن، وتفيد البعضية، فالظن على أربعة أقسام: فإن من الظن ما يباح إتباعه كالظن في الأمور المعاشية، ومنه ما يجب كحسن الظن بالله عز وجل، ومنه ما يندب كحسن الظن بالمسلم، ومنه ما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات وحيث خالفه دليل قطعي، وظن السوء بالمؤمنين، ويشترط في حرمة هذا أن يكون المظنون به ممن شوهد منه التستر، والصلاح، أو أنست منه الأمانة، وأما من يتعاطى الريب،

(1) الجرجاني، التعريفات، ص122.

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القران، ج1، ص 332.

والمجاهرة بالخبائث كالدخول، والخروج إلى حانات الخمر، وصحبة الغواني الفاجرات فلا يحرم ظن السوء فيه). [1]

للظن حالتان: حالة تُعرف وتقوى بوجه من وجوه الأدلة فيجوز الحكم بها، وأكثر أحكام الشريعة مبنية على غلبة الظن، كالقياس وخبر الواحد. والحالة الثانية: أن يقع في النفس شيء من غير دلالة فلا يكون ذلك أولى من ضده، فهذا هو الشك، فلا يجوز الحكم به. [2]

قال النَّبي -صلى الله عليه وسلم-:(إيَّاكم والظَّن، فإنَّ الظَّن أكذب الحديث، ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانًا). [3]

ومن أقوال السَّلف والعلماء في حُسْن الظَّن ما يلي:

قال الغزالي -رحمه الله-[4]: (فلا يُستباح ظنُّ السُّوء إلا بما يُستباح به المال، وهو نفس مشاهدته أو بيِّنةٍ عادلة. فإذا لم يكن كذلك، وخطر لك وسواس سوء الظَّن، فينبغي أن تدفعه عن نفسك، وتُقرِّر عليها أنَّ حاله عندك مستور كما كان، وأنَّ ما رأيته منه يحتمل الخير والشَّر. فإنْ قلت: فبماذا يُعرف عقد الظَّن والشُّكوك تختلج، والنَّفس تحدِّث؟ فتقول: أمارة عقد سوء الظَّن أن يتغيَّر القلب معه عما كان، فينفِر عنه نُفُورًا ما، ويستثقله، ويفتر عن مراعاته، وتفقُّده وإكرامه، والاغتمام بسببه. فهذه أمارات عقد الظَّن وتحقيقه).

---

(1) أنظر أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم، ج2، ص122، وانظر: الجصاص، أحكام القران، ج5، ص 278.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 17، ص333.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه، حديث 5143.

(4) الغزالي، أبو حامد محمد الغزّالي الطوسي النيسابوري(ت505هـ)، إحياء علوم الدين، ط1، دار ابن حزم، 1426هـ، ج3، ص 151.

قال عمر بن الخطَّاب -رضي الله عنه-: (لا يحلُّ لامرئ مسلم يسمع من أخيه كلمة يظنُّ بها سوءًا، وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجًا. وقال أيضًا: لا ينتفع بنفسه من لا ينتفع بظنه). [1]

وقال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: (من علم من أخيه مروءة جميلة فلا يسمعنَّ فيه مقالات الرِّجال، ومن حَسُنت علانيته فنحن لسريرته أرجى).[2]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنَّا إذا فقدنا الرَّجل في صلاة العشاء وصلاة الفجر، أسأنا به الظَّنَّ). [3]

يقول المراغي[4]:(أدب الله عباده المؤمنين بآداب أن تمسكوا بها دامت المودة والوئام بينهم منها ما ذكره هنا من الأمور العظام التي تزيد توثيق رباط المجتمع الإسلامي قوة وهي البعد عن سوء الظن بالناس وتخوينهم في كل ما يقولون ويفعلون).

من خلال ما تقدم يتضح أن سوء الظن يحرم تارةً، ويباح تارةً أخرى فيحرم إذا خالف نصا قطعياً كالظنّ في الغيبيات التي أخبر عنها النص الشرعي القطعي، وكذلك سوء الظنّ بالمؤمنين، أو ممن أنست منه أمانةً، ويباح في المجاهر بالسوء، والخبائث المعتاد عليها المعروف بها وإن لم يشاهد؛ لأن جملة إن بعض الظنّ إثم تعني إن البعض الآخر ليس بإثم؛ لأن مفهوم المخالفة[5] من (كثيراً) يعني يدل على

([1]) المقدسي، عبد الله محمد بن مفلح بن محمد (ت 763هـ)، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ط3، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، 1412هـ، ج1، ص 45.

([2]) المقدسي، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ص 46.

([3]) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد الأندلسي (ت 463هـ)، الاستذكار، ط1، تحقيق أمين قلعجي، دار قتيبة، دمشق، دار الوعي، حلب، ج8 ، ص 291.

([4]) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 83، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص331، والألوسي، روح المعاني، ج25، ص 156، والمراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، (ت:1271هـ)، تفسير المراغي، ط1، مطبعة الحلبي، مصر، 1946، ج26، ص136.

([5]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص253.

إنّ هناك من الظنّ ما لم نؤمر باجتنابه، ومنها ما يحصل في خاطر الإنسان من غير اختيار.

التجسس من الجس وهو مس العرق للحكم عليه بالصحة والسقم ومنه اشــتق الجاسوس[1]، وهو: من المعاملة الخفية على المتجسس عليه، وقد نهي عنــه؛ لأنــه ضرب من الكيد، والتطلع على العورات فالمنهي عنه هو التجسس الذي لا يجلــب خيرا للمسلمين، ولا يدفع عنهم ضرر، وهذا لا يشمل التجسس على الأعداء لصالح المسلمين، أو عمل الشرطة. [2]

والتجسس أن يبحث الرجل عن عيب أخيه وذلك معصية، والواجــب الــستر على المسلم والأمر بالتوبة إذا كان على معصية. [3]

ونهى عن التعمد بالغيبة أي لا يتعمد أن يذكر بعضكم بعضاً بما يكره ســواء ذكرته بلفظك أو في كتابك، أو أشرت إليه بعينك، أو يدك أو رأسك وضابطه كل ما أفهمت به غيرك من نقصان لمسلم فهو غيبة محرمة سواء كان النقصان في دينه، أو بدنه، أو ماله، أو ولده، أو زوجه، أو عمامته، أو ثوبه أو مــشيته، أو حركتــه[4]، وقوله تعالى:(أيحب أحدكم)، عم ولم يخص، وعبر بأن والفعل تصويراً للفعل فقال: (أن يأكل لحم أخيه ميتاً)، مما زاد الأمر تنفيراً. [5]

وانهي الأمر بقوله: (فكرهتموه)، فيه إشارة إلى أن عرض الإنسان مثل لحمه، وأنه كما حرم أكل لحمه حرم الكلام في عرضه، وهذا من التنفيــر عــن الغيبــة، والتوبيخ لفاعلها، فإن لحم الإنسان مما تنفر عن أكله الطباع الإنسانية، فضلاً عــن

([1]) البقاعي، نظم الدرر، ج18، ص379.

([2]) الأصفهاني، المفردات، ج1، ص121.

([3]) أبي الحواري، الدراية وكنز الغناية في منتهى الغاية وبلوغ الكفاية، تحقيق وليد عوجــان، من منشورات جامعة مؤتة، 1414هــ، ص 264.

([4]) ابن القيم، الأذكار، ط1، 1427هــ، دار البيت العتيق الإسلامية-عمان، ص 215،216.

([5]) الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص1393.

كونه محرماً شرعاً (فكرهتموه) قال الفراء[1]: فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائباً[2]، إن الله تواب على من تاب ورحيم العباد بعد التوبة.

4.1.2 التثبت من خبر الفاسق:

إن نقل الأخبار دون التأكد من صحتها موجب للفسق؛ وذلك؛ لأن هذه الأخبار ليس كلها صحيح، بل فيها الصحيح، والكاذب، فكان من نقل كل خبراً وإشاعةً، دخل في نقل الكذب، لذا جعله الله من الفاسقين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات6).

قال الواحدي[3]: (نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط [4]، بعثه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى بني المصطلق مصدقاً، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لأمر رسول الله -صلى الله عليه

---

(1) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء،(ت 207هـ)؛ فإنه كان مولى لبني أسد، من أهل الكوفة، وأخذ عن أبي الحسن علي بن حمزة ألكسائي، وأخذ عنه سلمه بن عاصم، ومحمد بن عاصم ألسمري وغيرهما. عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب،أنه قال: لولا الفراء لما كانت اللغة؛ لأنه خلصها وضبطها، ولولا الفراء لسقطت العربية؛ لأنها كانت تنازع ويدعيها كل من أراد، ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب.(انظر الأعلام، للزركلي،ج8،ص145).

(2) النايف، سمية فؤاد مجيد، رسالة ماجستير، منهج القران في تقرير مفهوم الأولويات في مجال الأخلاق والدعوة، جامعة العلوم الإسلامية، 2014م، ص 52.

(3) الواحدي، أسباب النزول، ص250.

(4) الوليد بن عقبة بن أبي معيط، واسم أبي معيط: أبان بن أبي عمرو، واسم أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي. وقد قيل: إن ذكوان كان عبداً لأمية أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس أم عثمان بن عفان، فالوليد أخو عثمان لأمه، أسلم يوم الفتح فتح مكة هو وأخوه خالد بن عقبة، يكنى الوليد أبا وهب(.انظر ابن الأثير، علي بن محمد عز الدين أبو الحسن الجزري (ت 630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط1، دار ابن حزم، 2012، ج1، ص2274.

وسلم-، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهم أن يغزوهم، فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلناه من حق الله -عز وجل-، فبدا له الرجوع، فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله).

الفسق: الخروج عن أمر الله، والرطبة إذا فسقت عن قشرتها أي خرجت، ومنه سمي الفاسق لانسلاخه عن طريق الخير، ويقال للفأر الفويسقة لكثرة خروجها من جحرها، والنبأ: الخبر لأنه يأتي من مكان إلى مكان والنبأة: الصوت وهذا هو القياس لأنه يأتي من مكان إلى مكان. (1)

وأورد الخازن(2) في تفسيره: (نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو أولى من حكم الآية على رجل بعينه، لأن الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك إلا أنه ظن وتوهم فأخطأ، فعلى هذا يكون معنى الآية: إن جاءكم فاسق بنبأ، أي بخبر، فتبينوا أي: فتوقفوا واطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق كيلا تصيبوا بالقتل والسبي جاهلين حاله وحقيقة أمرهم).

وأضاف أبي السعود: (فيه إشارة إلى قبول خبر الواحد العدل). (3)

قال ابن عاشور(4): (إنه تحذير من الوقوع فيما يوجب الندم شرعاً، أي ما يوجب التوبة من تلك الإصابة، فكان هذا كناية عن الإثم في تلك الإصابة فحُذر ولاة

---

(1) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة،ج5، ص385. وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص169.

(2) الخازن، أبو الحسن علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر (ت 741هـ)، باب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق محمد علي شاهين، الطبعة الأولى، 1415هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 4، ص 178.

(3) أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص 110.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص233.

الأمور من أن يصيبوا أحداً بضر أو عقاب أو حد أو غرم دون تبيّن وتحقق يوجب تسليط تلك الإصابة عليه بوجه يوجب اليقين أو غلبة الظن، ومـــا دون ذلـــك فهـــو تقصير يؤاخذ عليه).

النـدم على المعصية أول مراحل التوبة، لكن التثبت من خبر الفاسق أعظـــم، وأهم ابتدأ، وفرق الله بين من يفعل الذنب بجهالة، ومن يفعله متعمداً، وبحسب موقف النفس البشرية من المعصية تكون التوبة، فالعاصي، وهو يجهل أن هـــذه معـــصية مختلف عمن خطط ليعصي. [1]

نجد أن الله تعالى عبر لنا بأداة الشك تنبيها لقلة وجود الفاسق زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الكرام، ولكن إن جاءكم في وقت مـــا فاســـق يعني: خارج من دينه بنبأ فتحققوا منه بتمييز الخطأ من الصواب، إعمالاً لغريـــزة العقل، والتثبت يكون أحد أمرين: أولاً: الرجوع إلى رسول الله في حـــال حياتـــه، والثاني: الرجوع إلى كتاب الله، وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- في حال مماته، كراهة أن تصيبوا قوماً بأذى وعبر: بكلمة فتصبحوا مع أن المقصود: فتصيروا لأن أشنع الندم ما يأتي للإنسان وقت الصباح وقت الإقبال على اللـــذة. [2] ومنـــه قولـــه تعالى:﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (176) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَـــبَاحُ الْمُنْـــذَرِينَ (177) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ (الصافات: 176-178)، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَـــكَ إِنَّـــهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود:81)، مما يدل علـــى أن العذاب أكثر الماً إذا جاء وقت الصباح.

فعندما نربط هذه الآية بواقع الأمة المعاصر ندرك أن الكثيـــر ممـــا يحـــدث اليوم من مشاكل تتسبب في قتل الأبرياء، وإثارة الشحناء، والبغضاء بين الناس إنما، وهو من نقل الأخبار الكاذبة من غير تثبت، أو تمحيص، أو تأني في الحكم على هذه

([1]) انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج23، ص14445.

([2]) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، ص360.

الأخبار من حيث الصواب، والخطأ، خاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه نقل الأخبار، والكتابة عبر وسائل التكنولوجيا الحديثة.

2.2 النهي عن مخالفة القول الفعل والنهي عن سؤال ما لا ينفع، والسخرية، والأمر بالفسحة في المجلس والأمر بالعدل والصبر:

1.2.2 أولا: النهي عن مخالفة القول الفعل:

ذم الله تعالى بني إسرائيل على عدم إتباع العلم العمل فقال سبحانه:﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:44)، فإنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه، وهم يعصونه.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾(الصف:2، 3).

كان المسلمون يقولون لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لبذلنا فيها أموالنا، وأنفسنا فدلهم الله على ذلك فابتلوا بذلك يوم احد فولوا مدبرين، فأنزل الله هذه الآية.[1]

المقت في اللغة: البغض[2]، يقول الأصفهاني[3]: المقت البغض الشديد لمن تراه تعاطى القبيح، والأم في (لم) هي: لام الإضافة دخلت على ما الاستفهامية، والتعجب لتعظيم الأمر في قلوب السامعين، واختير لفظ مقت؛ لأنه أشد البغض وأكرهه ولما قال: (عند الله)، فلا شك إنه أشد وأكبر وأبغض.[4]

([1]) الواحدي، أسباب النزول، ص270.

([2]) الأصفهاني، المفردات، ج2، ص608.

([3]) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص156.

([4]) انظر: السيوطي، الدر المنثور، ج6، ص 317، انظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، 522. انظر: الألوسي، روح المعاني، ج27، ص83.

النداء هنا للتهكم بالمنافقين وبإيمانهم بمعنى: لأي شيء تقولون ما لا تفعلون من الخير والمعروف على أن مدار التوبيخ على عدم الفعل وإنما وجه إلـى القـول تنبيها على عظم معصيتهم. [1]

وفي الآية إنكار على من يعد وعداً، أو يقول قولاً لا يفي به، ومعنى ذلك؛ أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقا، سواء ترتب عليه غرم للموعود أم لا، فقد ثبـت فـي الصحيح أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حـدث كذب، إذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان) [2]، وفي الحديث الآخر في الصحيح: (عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خـان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر).

الخطاب للتهكم بأولئك المنافقين وبإيمانهم، و(لَمْ) مركبة من اللام الجـارة، وما الاستفهامية والمعنى لأي شيء تقولون ما لا تفعلونه من الخير والمعروف؟ على أن مدار التوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم، وإنما وجه إلى قولهم تنبيهًا على تـضاعف معصيتهم ببيان أن المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد أيضًا، وقد كانوا يحسبونه معروفًا، ولو قيل: لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه أن المنكر هـو تـرك الموعود. [3]

إنكار على من يَعد عدَةً، أو يقول قولا لا يفي به، ويفهم من ذلك إنـه يجـب الوفاء بالوعد مطلقاً، سواء ترتب عليه غُرم للموعود أم لا. [4]

فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيهـا، فترك أحدهما، لا يكون رخصة في ترك الآخر، فـإن الكمـال أن يقـوم الإنـسان

([1]) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامات المنافق، حديث 33.

([2]) البخاري، صحيح البخاري ، حديث 34.

([3]) انظر: الألوسي، روح المعاني، ج27، ص 83.

([4]) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص 357.

بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فهـو دون الرتبة الأولى وفوق الثانية. (1)

وأيضا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمـن يخـالف قولـه فعلـه، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة، كما يجب علينـا جميعـاً أن نضعها هذه الآيات نصب أعيننا خصوصاً عندما نأمر الناس بالخير مِن تعلم التوحيد والعقيدة، والتفقه في السنة والتحلي بالأخلاق الحميدة، والمحافظـة علـى الـصلاة وتحري الصدق والوفاء بالعهود وإعانة المحتاجين.

وأيضاً عندما نحذرهم من المعاصي والذنوب من كفر وشرك وبدع ومحدثات وغيرها من الكبائر كالزنا وشرب الخمور والتعامل بالربـا، والتبـرج، واسـتماع الأغاني، والقمار، والتدخين.

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: (النفوس مجبولة على عدم الانقيـاد لمـن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة). (2)

فمن لا يفعل ما يَعظ به فليس له أن يدعو بل عليه الفرار من الدعوة حتي لا يقع في مقت الله من دون أن يشعر، فهذه الآية تحتمل وجوه من التفـسير أولاً: أن المقصود بهم هم المنافقون كما مر في تفسيرها من كلام الألوسي وابن كثير، وثانياً أن يكون المسلم الذي يخالف قوله فعله كأن يدعوا إلى ترك المنكـرات ويرتكبهـا. ويدعوا إلى الواجبات، ولا يفعلها.

ويدخل ذلك من نذر نذراً ولم يفي به فقد قال قولاً ولم يوافق قوله فعلـه، أو ألزم نفسه طاعة ولم يؤديها، فقد ذم الله من يفعل ذلك، إلا النذر في معصية فإنـه لا يلزمه الوفاء وعلية كفارة يمين. (3)

---

(1) انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج24، ص15167.

(2) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص821.

(3) الجصاص، أحمد بن علي الرازي الجصاص، أحكام القرآن، دار إحياء التراث العربـي، 1412هـ، ج5، ص 334.

ثانياً: النهي عن سؤال ما لا ينفع:

وردت مادة السؤال في القرآن الكريم لأسباب متنوعة ومنها النهي عن سؤال ما لا ينفع، فقد نهى الله تعالى المؤمنين عن أن يسألوا عن أشياء لا حاجة لهم بها، ولا هي مما يعينهم في أمور دينهم ودنياهم، ولو ظهرت لهم هذه الأشياء و كلفوا بها لشقت عليهم وساءتهم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآَنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾(المائدة: 101)

روى البخاري[1] عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (كان قوم يسألون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) استهزاء مرة، وامتحانا مرة، فيقول له بعضهم من أبي، ويقول الآخر أين أبي ويقول الآخر إذا ضلت ناقته أين ناقتي، فأنزل الله عز وجل هذه الآية). [2]

ثم أضاف الواحدي[3]:(خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) فقال إن الله كتب عليكم الحج فقام عك فقالوا: أفي كل عام يا رسول الله فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثا فقال رسول الله ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني كما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه).

معناه لو صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم ما فرض أو نهي لبدا لكم ما كنتم ستسألون عنه، عفا الله عنها قد سألها قوم من قبلكم كما سألت ثمود صالحاً الناقة وسأل قوم عيسى المائدة، ثم كفروا بها فأهلكوا، ثم إن الله فرض فرائض فلا

([1]) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ)، ص 723، حديث رقم 4622.

([2]) انظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج1، ص 590 ، وانظر: الواحدي، أسباب النزول، ص143.

([3]) انظر البغوي، تفسير البغوي، ج3، ص 106.

تضيعوها ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها وحد حدوداً فلا تعتدوها، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها.

اعلم أن السؤال عن الأشياء ربما يؤدي إلى ظهور أحوال مكتومة يُكره ظهورها وربما ترتبت عليه تكاليف شاقة صعبة، فالأولى بالعاقل أن يسكت عما لا تكليف عليه فيه، ألا ترى أن الذي سأل عن أبيه فإنه لم يأمن أن ُيلحقه الرسول -عليه الصلاة والسلام- بغير أبيه فيفتضح، وأما السائل عن الحج فقد كاد أن يكون في كل عام إن الله أحل وحرم، فما أحل فاستحلوه وما حرم فاجتنبوه، وترك بين ذلك أشياء لم يحللها ولم يحرمها، فذلك عفو من الله تعالى، فلا تسألوا عنها. [1]

2.2.2 النهي عن السخرية من الناس:

لقد نهى الله عن السخرية ،وذم من اتصف بها؛ لأنها من أخلاق الكفار، والمنافقين كما لثبت ذلك القرآن الكريم، فقد سخروا من الأنبياء أولاً، ثم من المؤمنين فقال الله تعالى في ذمهم: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾(الزُّخرف:7).

وأما سخريتهم بالمؤمنين فجاء خبرها في قول الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(البقرة:212)، وأما المنافقين فقال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (البقرة:14). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(11الحجرات)

---

(1) انظر: الرازي، التفسير الكبير، ج11، ص88.

الواحدي[1]:(نزلت في ثابت بن قيس بن شماس[2] ذلك أنه كان في أذنه وقر فكان إذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه، فيسمع ما يقول، فجاء يوماً، وقد أخذ الناس مجالسهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول: تفسحوا، تفسحوا فقال له رجل: قد أصبت مجلسا فاجلس، فجلس ثابت مغضباً، فغمز الرجل فقال: من هذا؟ فقال: أنا فلان، فقال ثابت بن فلانة، وذكر أما كانت له يعير بها في الجاهلية، فنكس الرجل رأسه استحياء، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ نزلت في امرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سخرتا من أم سلمه، وذلك أنها ربطت حقويها بسبيبة وهي ثوب أبيض، وأسدلت طرفها خلفها فكانت تجره، فقالت عائشة لحفصة انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب، فهذا كان سخريتها. [3]

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، نزلت في الرجل الذي يكون له الاسمان والثلاثة فينادى ببعضها فيكره. [4]

السخرية: من سخر يدل على احتقار وإذلال ومنه قولنا سخر الله الشيء إذ ذلل هذا الشيء لنا، وسخرت منه أي: هزئت به. [5]

يقول القرطبي -رحمه الله-: (فينبغي ألا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن يراه من الناس إذا رآه رث الحال أو ذا رأى عاهة في بدنه أو غير لبق في محادثته،

([1]) الواحدي، أسباب النزول، ص252.

([2]) سبق التعريف به ص10.

([3]) الواحدي، أسباب النزول، ص252، وانظر الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج4، ص 181، 182، وذكر ذلك القرطبي، في الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص 326.

([4]) انظر: الوادعي، مقبل بن هادي، الصحيح المسند من أسباب النزول، ط3، 2004، دار صنعاء الأثرية، ص227.

([5]) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص144.

فلعله أخلص ضميراً وأنقى قلباً ممن يستهزئ به، فيظلم نفسه بتحقير من وقــره الله، والاستهزاء بمن عظمه الله وعن عبد الله بن مسعود: البلاء موكل بالقول). [1]

فقد قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾(اللهمزة: 1)، قال البغوي[2]: قال ابن عباس: هم المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبــرآء العيــب، ومعناهما واحد وهو العياب.

اللمز باليد والعين واللسان والإشارة، والهمز لا يكون إلا باللسان، ومعنى ولا تلمزوا أنفسكم لا يلمز بعضكم بعضاً أي: لا يطعن بعضكم على بعض. [3]

لا يلعن بعضكم بعضا، ولا تنابزوا بالألقاب التنــابز: التفاعــل مــن النبــز بالتسكين وهو المصدر، والنبز بالتحريك اللقب، والجمع أنباز، والألقاب جمع لقب، وهو اسم غير الذي سمي به الإنسان، والمراد هنا لقب السوء[4]، والتنابز بالألقــاب أن يلقب بعضهم بعضاً بألقاب يكرهونها. [5]

الاسم الفسوق هو: أن يقول لأخيه المسلم يا فاسق، يا منافق، أو يقول لمــن أسلم: يا يهودي، يا نصراني، هو كل شيء أخرجت به أخاك من الإسلام، كقولك يا كلب، يا حمار، يا خنزير.

بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أي بئس الاسم الذي يذكروا به بالفسق بعــد دخولهم في الإيمان، والاسم هنا بمعنى الذكر.

وإذا كانت السخرية من أخلاق الكفار، والمنافقين فلا يليق بمسلم أن يتخلــق بأخلاقهم، فيسخر من إخوانه المسلمين، أو يلمزهم، بألقاب فيها تحقير لهم، وحط من شأنهم، وقد نهاه الله تعالى عن ذلك، والسخرية سبب للعداوة، والخصومات، وقد ينتج عنها سباب ،واعتداء بالقول، والفعل؛ لأن الساخر قد يتمادى في سخريته، فلا يحتمل أخوه منه سخريته، فينتصر لنفسه بالقول، أو بالفعل.

([1]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص325.

([2]) البغوي، تفسير البغوي، ج8، ص526.

([3]) انظر: الشوكاني، فتح القدير، ص1392.

([4]) الشوكاني، فتح القدير ، ص 1392.

([5]) انظر: المعجم الوسيط، جماعة من العلماء، ط2، الناشر المكتبة الإسلامية، ج2، ص834.

بل وقد تُخص السخرية بمجالس، وبرامج يتمتع فيها روادهـا ومـشاهدوها بالاستهزاء بعباد الله تعالى، والسخرية منهم.

ويستثنى من هذا من غلب عليه الاستعمال كالأعرج والأصم والأحدب وقبل ذلك ولم يتأذى منه. [1]

3.2.2 الأمر بالفسحة في المجالس:

إن القرآن الكريم الذي هو دستور لجميع المسلمين لم يهمل حتى هـذه المـسائل الجزئية الأخلاقية في الحياة الاجتماعية للمسلمين فأشار إليها بمـا يناسـبها ضـمن التعليمات الأساسية حتى لا يظن المسلمون أنه يكفيهم الالتزام بالمبادئ العامة الكلية فأرشدنا سبحانه وتعالى إلى أدب إسلامي آخر من آداب المجالس حيث أن القادم إذا وجد في المجلس ضيقاً فعلى الآخرين التوسعة وفسح المجال له وإذا طلـب النبـي صلى الله عليه وسلم، القيام والوقوف إما لتهيئة المجال للآخرين أو لأجـل انتهـاء المجلس فتنبغي الاستجابة، فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: 11).

قال الواحدي[2] -رحمه الله-:(كان الناس يتنافسون في مجلس رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فإذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنوا بمجلسهم عند رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض، وكان رسول الله في الصفة وفـي المكان ضيق وذلك يوم الجمعة، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء أناس من أهل بدر، وفيهم ثابت بن قيس بن شماس وقد سبقوا في المجلـس فقـاموا حيال النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمـة الله وبركاته فرد عليهم النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فلم يفسحوا لهم، فشق ذلك على النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من

([1]) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص329.

([2]) الواحدي، أسباب النزول، ص262.

غير أهل بدر، قم يا فلان، قم يا فلان، بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف الكراهية في وجوههم وقال المنافقون للمسلمين ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس فو الله ما عدل على هؤلاء إن قوما أخذوا مجالسهم، وأحبوا القرب من نبيهم، فأقامهم وأجلس من أبطأ عنهم مقامهم فنزلت الآية).

الفسحة من الفساحة: السعة الواسعة في الأرض، ورجل فسح: واسع الصدر، وأمر فسيح وفسح: واسع، وفي هذا الأمر فسحة أي سعة. (1)

المعنى: توسعوا وليفسح بعضكم لبعض؛ لأنهم كانوا يتنافسون في القرب من رسول الله، والنتيجة أن الله يفسح لكم في كل ما تريدون من المكان، والرزق، والقبر، وإذا قيل انهضوا للتوسعة للناس، أو الصلاة، أو الجهاد فلا تتأخروا؛ لأن الله يرفع المؤمنين، وأهل العلم درجات في الدنيا والآخرة. (2)

والآية تدل على الأمر بالتفسح إذا أمر به النبي -صلى الله عليه وسلم- ولكن يستفاد منها أن تفسّح المؤمنين بعضهم لبعض في المجالس محمود مأمور به؛ لأنه من المكارم، والأخلاق الحميدة، فهو من مكملات واجب التحاب بين المسلمين، وإن كان فيه كلفة على صاحب البقعة يضايقه فيها غيره، فهي كلفة غير معتبرة إذا قوبلت بمصلحة التحاب وفوائده، وذلك ما لم يفض إلى شدة مضايقة ومضرة، أو إلى تفويت مصلحة من سماع، أو نحوه مثل مجالس العلم، والحديث، وصفوف الصلاة، فإن هذا النداء، وإن نزل بخصوص مجلس النبي -صلى الله علية وسلم- فهو شامل لمجالس المسلمين؛ لأن هذا أدب ومؤاساة، فليس فيه قرينة الخصوصية بالمجالس النبوية، بل كل مجلس فيه أمر مهم في شؤون الدين فمن حق المسلمين أن يحرصوا على إعانة بعضهم بعضاً على حضوره. وهذا قياس على مجلس النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعلته هي التعاون على المصالح. (3)

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص180.

(2) أبو حيان، أبو عبد الله محمد بن يوسف الأندلسي (ت745هـ)، البحر المحيط، ط1، دار الكتب العلمية، 1413هـ ج8، ص261.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص 298.

وإذا قعد واحد من الناس في موضع من المسجد لا يجوز لغيره أن يأخذه منه حتى يقعد مكانه؛ لأن القاعد في المكان إذا قام حتى يقعد غيره فيه نظر؛ فإن كان الموضع الذي قام إليه مثل الأول في سماع كلام الإمام لم يكره له ذلك، وإن كان أبعد من الإمام كره له ذلك؛ لأن فيه تفويت حظه من العلم والذكر. [1]

إذا أمر إنسان إنسانا أن يبكر إلى الجامع فيأخذ له مكانا يقعد فيه لا يكره، فإذا جاء الآمر يقوم من الموضع، وعلى هذا من أرسل بساطا أو سجادة فتبسط له في موضع من المسجد، قوله تعالى: يفسح الله لكم أي: في قبوركم. وقيل: في قلوبكم. وقيل: يوسع عليكم في الدنيا والآخرة. [2]

المعنى: انهضوا إلى الصلاة، والجهاد، وعمل الخير، كان الصحابة في بيت النبي -صلى الله عليه وسلم-، كل رجل منهم يحب أن يكون آخر عهده بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال الله تعالى: وإذا قيل انشزوا عن النبي صلى الله عليه وسلم فانشزوا؛ فإن له حوائج يريد قضائها فلا تمكثوا عنده لتشغلوه عنها. [3]

قال القرطبي[4] -رحمه الله-: يرفع الله تعالى المؤمنين في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن، والعالم على من ليس بعالم، في الآية مدح للعلماء، والمعنى أنه يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات أي: درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به. وقيل: كان أهل الغنى يكرهون أن يزاحمهم من يلبس الصوف فيستبقون إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، فالخطاب لهم.

([1]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ج17، ص 299.

([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج27،ص38.

([3]) الأندلسي، البحر المحيط، ج8، ص 362، وانظر: البغوي، تفسير البغوي، ج4، ص309.

([4]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص 200.

4.2.2 الأمر بالعدل وفيه نداءان:

النداء الأول: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة 8).

العدل هو ميزان الله الذي وضعه للخلق، ونصبه للحق، فهو إحدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به، ولا صلاح فيها إلا معه، ومن محاسن الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، الإنصاف، وإعطاء المرء ما له، وأخذ منه ما عليه.

والعدل: ضد الجور، وما قام في النفوس أنه مستقيم، والعدل المثل، والنظير، ويطلق على الكيل، والجزاء. (1)

لما كان العدل في غاية الصعوبة على الإنسان فلابد من التدرب عليه فلذلك عبر بالكون (كونوا قوامين)، وغير ذلك مما عاهدتم على الوفاء به، وكونوا متيقظين حذرين مما تريدون أداء الشهادة به بالعدل فلا تخشوا قوة العدو أن لا تعدلوا، ويمكن أن يدخل فيه أهل الزوجة الكافرة، أو ازدراؤها، في شيء من حقوقها، فهذا العدل اقرب إلى تقوى الله. (2)

قال الرازي(3) -رحمه الله-:(اعلم أن التكاليف وإن كثرت إلاّ أنها محصورة في نوعين: التعظيم لأمر الله تعالى، والشفقة على خلق الله، فقوله: {كُونُواْ قَوَّامِينَ للَّهِ} إشارة إلى النوع الأول وهو التعظيم لأمر الله، ومعنى القيام لله هو أن يقوم لله بالحق في كل ما يلزمه القيام به من إظهار العبودية وتعظيم الربوبية، وقوله: {شُهَدَاء بالقسط} إشارة إلى الشفقة على خلق الله وفيه قولان: الأول: لا تحاب في شهادتك أهل ودك، وقرابتك، والثاني: لا تمنع شهادتك أعداءك، وأضدادك).

الشهادة بالقسط معروفة، وهي أن تكون بالعدل بدون مجاملة لا لقرابته وولائه، ولا لماله وجاهه، ولا لفقره، أو غناه، فالشهادة هنا عبارة عن: إظهار الحق

---

(1) الفيروز أبادي، القاموس المحيط،1061.

(2) انظر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج6،ص41،42.

(3) الرازي،التفسير الكبير،ج9،143

للحاكم ليحكم به، أو الإقرار به لصاحبه، والقسط هو: العدل[1] وهو: ميزان الحقوق، متى وقعت فيه المجاملة، لأي سبب من الأسباب زالت الثقة من الناس، وانتــشرت المفاسد، والعداوة بينهم، وصار بأسهم بينهم شديداً، فلا يلبثون أن يسلط الله تعــالى عليهم بعض عباده الذين هم أقرب إلى إقامة العدل، والشهادة بالقسط منهم، فيزيلون استقلالهم، ويذيقونهم وبالهم، وتلك سنة الله في الأمم كلها، وشهد بها تــاريخ الأمــم الغابرة، ولكن الجاهلين الغافلين لا يسمعون، ولا يبصرون. [2]

نهى الله-سبحانه وتعالى-عن أن تحملهم البغضاء على ترك العدل فــصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيداً وتشديداً، ثم ذكر لهم علة الأمر بالعدل وهو قولــه: ﴿هُــوَ أَقْرَبُ للتقوى﴾ أي هو أقرب للتقوى، وفيه معنيان: هو أقرب إلى الاتقاء من معاصي الله تعالى، والثاني: هو أقرب إلى الاتقاء من عذاب الله، وفيه تنبيــه عظــيم علــى وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله تعالى، فما الظن بوجوبه مع المــؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه. [3]

أمر الله سبحانه بالعدل، والشهادة، فلذلك قدم فيها كونوا قوامين بالقسط شهداء لله؛ فالقسط فيها هو العدل في القضاء، ومن أهمية هذه الآية أنها جاءت بعد التذكير بميثاق الله، فكان المقام الأول للحض على القيام لله أي الوفاء بعهودهم له، ولــذلك عدي قوله: "قوامين" باللام. وإذ كان العهد شهادة أتبع قوله: قوامين لله بقوله: شهداء بالقسط، أي شهداء بالعدل شهادة لا حيف فيها، وأولى شــهادة بــذلك شــهادتهم لله تعالى[4]

ثانياً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٣٥).

([1]) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص85.

([2]) الرازي ، التفسير الكبير، ج9، ص144.

([3]) الرازي، المرجع نفسه، ج6، ص143.

([4]) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص134، 135.

من الملاحظ هنا تأخير كلمة لله في الآية عن القسط وفي آية المائدة، قدمت لله على القسط، فإذا عرفنا أن آية المائدة نزلت في شأن العدل مع أعداء الإسلام، وأن آية النساء نزلت في شأن تحقيق العدل مع ذوي الرحم أدركنا سر النسق في الآيتين، قد يظن ضان ان عدم العدل مع الكفار عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى لذلك قدمت لله لبين أن إقامة العدل إنما هي تنفيذاً لأمر الله ولو كان عدواً، وفي آية النساء قدم القسط؛ لأنه هو الأهم ولوا كان المحكوم عليه هو النفس، أو القريب. (1)

قال الطبري-رحمه الله-(2):(ولو كانت شهادتكم على أنفسكم، أو على والدين لكم أو أقربيكم، فقوموا فيها بالقسط، والعدل، وأقيموها على صحّتها، بأن تقولوا فيها الحق، ولا تميلوا فيها لغنيٍّ لغناه على فقير، ولا لفقير لفقره على غنيّ، فتجوروا فإن الله الذي سوَّى بين حكم الغنيّ، والفقير فيما ألزمكم، أيها الناس، من إقامة الشهادة لكل واحد منهما بالعدل؛ لأنه مالكهما، وأولى بهما منكم، فهو أعلم بما فيه مصلحة كلّ واحد منهما).

ويذيل الحق الآية بقوله: ﴿واتقوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فهو سبحانه الخبير بما نعمل. وإياك أيها المؤمن أن تصنع ذلك لشهرة أن يُقال عنك إنك رجل حكمت على نفسك. ولكن اعمل من أجل الله حتى وإن كان الموقف يستحق منك الفخر. (3)

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُواْ الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: 18). فقدم الشهادة على القيام بالقسط، وهاهنا قدم القيام بالقسط، فما الفرق؟

شهادة الله تعالى عبارة عن كونه تعالى خالقاً للمخلوقات، وقيامه بالقسط عبارة عن رعاية القوامين بالعدل في تلك المخلوقات، فيلزم أن تكون الشهادة مقدمة على القيام بالقسط، أما في حق العباد فالقيام بالقسط عبارة عن كونه مراعياً للعدل ومنافيا للجور، ومعلوم أنه ما لم يكن الإنسان كذلك لم تكن شهادته على الغير

---

(1) عباس، فضل حسن عباس (ت 1431هـ)، إعجاز القران الكريم، ص 222.

(2) الطبري، جامع البيان، ج5، ص373.

(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج5، ص2977.

مقبولة، فثبت أن الواجب في قوله: ﴿شَهِدَ اللهِ﴾ أن تكون تلك الشهادة مقدمة على القيام بالقسط والواجب هاهنا أن تكون الشهادة متأخرة عن القيام بالقسط. (1)

ثم قال تعالى: ﴿فَلاَ تَتَّبِعُواْ الهوى أَن تَعْدِلُواْ﴾ والمعنى اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل، فتقدير الآية: فلا تتبعوا الهوى لأجل أن تعدلوا يعني اتركوا متابعة الهوى لأجل أن تعدلوا. (2)

فهذا النداء يتصل بما قبله من الآيات القريبة خاصة بما فيه من الأمر العام بالقسط بعد الأمر بالقسط في اليتامى، والنساء، فهنالك خص اليتامى، والنساء، لأن حقهن أكد وظلمهن معهود، وها هنا عمم الأمر بالقسط لأن العدل حفاظ النظام، وقوام أمر الاجتماع، وبما فيه من الشهادة لله بالحق، ولو على النفس، أو الوالدين، والأقربين، وعدم محاباة أحد في ذلك لغناه، أو مراعاته لفقره؛ لأن العدل، والحق مقدمان على الحقوق الشخصية وحقوق القرابة وغيرها، وكانت محاباة الأقربين معهودة في الجاهلية؛ لأن أمرهم قائم بالعصبية، فالواحد منهم كان ينصر قومه وأهل عصبيته؛ لأنه يعتز بهم، كما يظلم النساء واليتامى لضعفهن، وعدم الاعتزاز بهن. (3)

إن النفس الإنسانية لا ترتقي إلى هذا المرتقي إلا حين تقوم متجردة لله من كل ما سواه، وحين تستشعر قوة الله، وتحس انه رقيب مجازي العباد بأفعالهم، وما من دين، أو عقيدة يضمن العدل للناس غير هذا الدين، وذلك حين يأمر الله أن نقوم له لا لسواه، ونعدل، ولوا كان ذا قربى.

ثانياً: الاستعانة بالصبر، والصلاة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: 153).

حينما يأتي الصبر كأحد أسباب النجاح معنى ذلك؛ أن تفهم على الله حكمته من إرسالك إلى الدنيا كي تتعرف إلى الله، وكي تصبر على طاعته، الفراش أكثر

(1) الرازي، التفسير الكبير، ج11، ص72، 73.

(2) الرازي، المرجع نفسه، ج11، ص52، 73.

(3) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج5، ص371.

جذباً للإنسان من أن يستيقظ ليصلي، أودع الله فيك طبعاً وكلفك تكليفاً، ولحكمة بالغة الطبع يتناقض مع التكليف، الطبع يدعوك أن تنام، ولو نمت في ســـاعة متـــأخرة، وتحتاج إلى ساعات طويلة كي تستيقظ نشيطاً، ولم تعبأ بصلاة الفجر، وأمـــرك أن تصلي الفجر في وقته، فالطبع هو النوم، والأمر التكليفي هـــو: الاســـتيقاظ، يعنـــي الإنسان طبعه أن يأخذ المال، والتكليف أن ينفقه، طبعه أن يملأ عينه مـــن محاســـن المرأة، والتكليف أن يغض البصر، فهذا كله بحاجة إلى صبر. [1]

الصبر لغة: الإمساك في ضيق وهو: حبس النفس على ما يقتضيه العقـــل أو الشرع، فإذا كان في مصيبة سمي صبراً، وإذا كان في محاربة سمي شـــجاعة، وإذا كان في إمساك عن الكلام سمي كتماناً. [2]

قال أبي الحواري[3]:(المعنى استعينوا على طلب الآخـــرة بالـــصبر علـــى الفرائض، والصلوات الخمس حافظوا عليها في مواقيتها، يكون الله معكم، وقال ابن عباس: (إن أول صلاة فرضت من الصلوات الخمس صلاة الأولى، فلذلك ســـميت لأنها أول صلاة فرضت).

خص الله-سبحانه وتعالى- الصبر والصلاة بالاستعانة لما فيهما من المعونـــة على فعل العبادات، والصبر هو: ترك الشكوى من الم البلوى لغير الله لا إلـــى الله؛ لأن الله أثنى على أيوب -عليه السلام- مع إنه قال: (ربي إني مسني الـــضر) [4]، ومن حمل نفسه على الصبر سهل عليه فعل الطاعات، وتجنب المحرمـــات، ومـــن الناس من حمل الصبر على الصوم، ومنهم من حمله على الجهاد.

والصلاة لأنها: تُؤدى عن طريق الخضوع، والتذلل للمعبود -جل جلالـــه-، ويجب على المسلم أن يقهر نفسه على ما فيها من قراءة، وتدبر، وخشوع حتى يعود

([1]) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج1، ص648.

([2]) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج2، ص 359.

([3]) أبي الحواري، الدراية وكنز الغناية، في منتهى الغاية وبلوغ الكفاية، ص 15.

([4]) الجرجاني، التعريفات، ص 112.

نفسه ذلك، فمن صبر على أوامر الله فقد تعهد الله بمعونة لقوله تعالى: (إن الله مع الصابرين). [1]

وهنا تبدو قيمة الصلاة إنها الصلة المباشرة بين الإنسان الفاني والقوة الباقية إنها الموعد المختار لالتقاء المخلوق الضعيف بالخالق -جل جلاله- إنها مفتاح الكنز الذي يغني ويفيض إنها الانطلاقة من حدود الواقع الأرضي الصغير إلى مجال الواقع الكوني الكبير إنها الروح والندى والظلال في الوحشة، إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود ومن هنا كان رسول الله إذا حزبه أمر يكثر من الصلاة.

وفي هذه الآية خص الله تعالى طاعته، واحتمال مكروهها على الأبدان، والأموال، وعلى القيام بالطاعة وأحكام الدين والتسليم لأمر الله فيما يأمر به في كتابه العزيز، وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، وإن لحقهم في ذلك مكروه من مقالة أعدائهم من الكفار بقذفهم لهم الباطل، أو مشقة على أبدانهم في قيامهم به، أو نقص في أموالهم، وبالصبر منهم على الجهاد، ومشقته عليهم، واحتمال عنائه وثقله، ثم بالفزع منهم فيما ينو بهم من مكاره في طاعة ربهم، فإنهم بالصبر، والصلاة ينالوا مرضاة الله التي بها سعادتهم، ويدركون حاجاتهم عند ربهم، فإن الله مع الصابرين على القيام بأداء فرائضه وترك معصية، ينصرهم ويرعاهم حتى يظفروا بما طلبوا وأملوا من ربهم. [2]

قال الشعراوي[3] -رحمه الله-:(منعنا الله من أشياء هي من شهوات النفس، وأمرك بأشياء فيها مشقة، وهذه محتاجة إلي الصبر. وأنت أن أخذت منهج الله تعبدًا ستأخذه فيما بعد عادة يقول أحد الصالحين في دعائه: اللهم إني أسألك ألا تكلني إلي نفسي فإني أخشى يا رب ألا تثيبني على الطاعة لأنني أصبحت أشتهيها فسبحانك أمرتنا أن نحارب شهواتنا.. انظر إلي الطاعة من كثرة حب الله أصبحت مرغوبة محببة إلي النفس.. أن هناك من يقول لك أن الصلاة تكون على كتفي مثل الجبل وأرتاح، نقول له أنت ترتاح بها لأنك وقفت بين يدي الله المكلف، ومادام الإنسان

---

(1) الرازي، التفسير الكبير، ج3، ص144.

(2) الطبري، جامع البيان، ج3، ص 214.

(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج1، ص643.

واقفا أمام ربه فكل أمر شاق يصبح سهلاً. الذي له أب يعينه لا يحمل هما فما بالك بالذي له رب يعينه وينصره. قول الحق سبحانه: ﴿إن الله مع الصابرين﴾ أي أنه يطلب منك أن تواجه الحياة في معية الله؛ فأنت لو واجهت المشكلات في معية من يثق في قوته تواجه الأمور بشجاعة فما بالك إذا كنت في معية الله وكل شيء في الوجـــود خاضع لله، أيجرؤ شيء أن يقف أمامك وأنت مع الله).

لما كان الإيمان بالقضاء والقدر من مقتضيات الإيمان بـــالله، فقــد أوصـــت النصوص الكثيرة بالصبر على الابتلاء والمصائب؛ ليـــستطيع الداعيـــة مواجهـــة المشكلات التي تواجهه في الحياة، فلا يكترث بما يصيبه من عنف وإيذاء وفتنة؛ قال تعالى في وصية لقمان لابنه:﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَـــا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِـــي صَـــخْرَةٍ أَوْ فِـــي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الـــصَّلَاةَ وَأْمُـــرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.(لقمان: 15-17)، نادى الرَّبُّ تعالى عباده المؤمنين، وهم أهل مِلَةِ الإسلام؛ ليرشدهم إلـــى مـــا يكون لهم عَوْنًا على الثبات على دينهم، وعلى ذكر ربهم، وشكره، وعـــدم نـــسيانه، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا.... ﴾؛ أي: على ما طُلِبَ منكم من الثبات والذِّكر، والشكر، بالصبر الذي هو توطين النفس، وحملها على ما أمر الله تعالى به، وبإقامة الصلاة، وأَعْلَمَهُم أنه مع الصابرين يَمُدُّهم بِالْعَوْنِ والقُوَّة، فإذا صبروا نالهم عَوْنُ اللهِ وتقويته.

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(آل عمران: 200).

يتكرر ذكر الصبر في القرآن كثيراً؛ ذلك أن الله سبحانه يعلـــم ضـــخامة الجهد الذي تقتضيه الاستقامة على الطريق والذي يقتضيه القيام على دعوة الله فـــي الأرض بين شتى الصراعات والعقبات؛ والذي يتطلب أن تبقـــى الـــنفس مـــشدودة الأعصاب، مجندة القوى، يقظة للمداخل والمخارج ولابد من الصبر في هذا كلـــه لا بد من الصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي، والصبر على جهاد المـــشاقين

لله، والصبر على الكيد بشتى صنوفه، والصبر على بطء النصر، والصبر على بعد الشقة، والصبر على انتفاش الباطل، والصبر على قلة الناصر، والصبر على طول الطريق الشائك، والصبر على التواء النفوس، وضلال القلوب، وثقلة العناد.

أما الصبر فقد تقدم معناه اللغوي، وأما المرابطة: من ربط الفرس أي: شده لحفظه، ومنه رباط الجيش عند ثغور المسلمين، أو انتظار الصلاة، ونحوه. (1)

تبين الآية للمؤمنين يا من أمنتم اصبروا على كل ما أمرتم به تصديقا لإيمانكم وصابرو أي: اوجدوا والمصابرة للأعداء فلا يكونوا على باطلهم اصبر منكم على حقكم ورابطوا في ثغور المسلمين خيلا مقابل ما لهم من خيل حذرا منهم وإرهابا لهم وتطلق المرابطة للذب عن الدين والمحافظة على الطاعات وراقبوا الله في جميع شؤونكم واستحضروا عظمته واطلبوا توفيقه للنصر على الأعداء والفوز برضاه. (2)

أي على الدين وتكاليفه وصابروا على جهاد أعداء الله ولا تكونوا اقل منهم صبرا وثباتا والمصابرة: باب من الصبر على ما يجب الصبر عليه وأقيموا في الثغور مستعدين للغزو قال الله: (واعدوا لهم ما استطعتم من رباط الخيل). (3)

يقول ابن عاشور(4) -رحمه الله-:(تمت السورة بوصاية جامعة للمؤمنين تجدد عزيمتهم وتبعث الهمم إلى دوام الاستعداد للعدو كي لا يثبطهم ما حصل من الهزيمة، فأمرهم بالصبر الذي هو جماع الفضائل وخصال الكمال، ثم بالمصابرة وهي الصبر في وجه الصابر، وهذا أشد الصبر ثباتا في النفس وأقربه إلى التزلزل).

وأضاف الخازن في تفسير هذه الآية: اصبروا على طاعة الله، وعلى أداء الفرائض وعلى أمر الله، وعلى البلاء، وعلى الجهاد، والصبر ثلاثة أقسام: ترك الشكوى، وقبول القضاء وصدق الرضا. (5)

---

(1) الأصفهاني، مفردات القرآن الكريم، ج1، ص 470.

(2) البقاعي، نظم الدرر، ج5، ص168.

(3) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص460.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 3، ص208.

(5) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص 372.

3.2 النهي عن الخيانة، والنجوى بالإثم، والأمر بالتوبة، وعدم إتباع الشيطان:

1.3.2 النهي عن الخيانة:

من المسائل الجوهرية التي تحرص عليها الشريعة رعاية الأمانة، وحفظهـا، وعدم تضييعها قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(الأحزاب: 72)، والمراد بالأمانة هنا: الطاعة التي تشمل جميع وظائف الدين[1]، كما أمر بأداء الأمانات إلى أهلها فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾(النساء: 58) وجعل رعاية الأمانة من الصفات الموجبة وراثة الفردوس فقال في وصفهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المعارج: 32)، حتى كان تضييع الأمانة علامة، ودليل على فساد الحياة، وقرب قيام الساعة، فقد سأل أحد الصحابة رضي الله تعالى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (متى الساعة، فأجابه بقوله: فإذا ضـيعت الأمانـة فـانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة) [2].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(الأنفال:27)، نزلت في أبي لبابه بن عبد المنذر[3]-رضي الله عنه-حـين بعثه رسول الله إلى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله فاستشاروه فـي ذلـك فأشار عليهم بذلك وأشار بيده إلى حلقه أي إنه الذبح ثم فطن أبو لبابه، ورأى أنه قد خان الله، ورسوله فحلف لا يذوق ذواقاً حتى يموت، أو يتوب الله عليه وانطلق إلى مسجد المدينة فربط نفسه في سارية منه فمكث كذلك تسعة أيام حتى كان يخر مغشيا

---

(1) الزعارير، غالب محمد رجا، السماء في القرآن الكريم، ط1، 1430هـ، دار الزمـان، ص122.

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سئل علماً، حديث رقم 59.

(3) بشير بن عَبْد المُنْذِر بن زَنْبَر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك (انظر الصفدي، صـلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (المتوفى : 764هـ)، الوافي بالوفيـات، الناشـر: دار إحياء التراث، بيروت عام النشر، 1420هـ، بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، أبو لبابة الأنصاري الأوسي، وهو مشهور بكنيته).

عليه من الجهد أنزل الله توبته على رسوله فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه، وأرادوا أن يحلوه من السارية فحلف لا يحله منها إلا رسول الله بيده فحله فقال يا رسول الله إني كنت نذرت أن أنخلع من مالي صدقة فقال يجزيك الثلث أن تصدق به. [1]

الخيانة من الخون وهو: أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح، والمخانة خون النصح وخون الود[2]، يقول الراغب الأصفهاني[3]: (الخيانة، والنفاق واحد إلا أن الخيانة في العهد، والأمانة، والنفاق في الدين، فالخيانة: مخالفة الحق بنقض العهد بالسر والنقيض الأمانة، والخيانة أن يؤتمن الإنسان على شيء فلا يؤدي الأمانة فيه، ويقال لناقض العهد خائن لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾(الأنفال:58)، ويقال لعاصي المسلمين خائن لقوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ (البقرة:187)، أي تخونونها بالمعصية. [4]

أن خيانة الله تعالى بترك فرائضه وخيانة النبي -صلى الله عليه وسلم- بترك سنته ومخالفة أمره، وتُحمل الآية على كل من اظهر خلاف ما يبطن من أمور الدين، وخيانة الأمانة خيانة الناس بعضهم البعض، فعطف الخيانة الأولى على الثانية ليبين أن النهي عن الخيانة الأولى أولى أي لا تجمعوا بين الخيانتين، وأنتم تعلمون أن هذا من الخيانة لأنكم تميزون الحسن من القبيح. [5]

والأمانة هي التكاليف، وترتب الثواب على أدائها والعقاب على تضيعها[6] لابد له من حريّة واختيار والمخلوقات غير الإنسان ليست لها هذه الحرية، فهي

([1]) انظر السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، ج3، ص124، وانظر الواحدي، أسباب النزول، ص 157.

([2]) ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص184.

([3]) الأصفهاني، المفردات، ج1، ص21.

([4]) انظر ابن قتيبة، مشكل القرآن، ط2، 1393هـ، شرح أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ص 478.

([5]) الألوسي، روح المعاني، ج 9، ص197،196.

([6]) انظر ابن قتيبة، مشكل القرآن، ص436.

مسيّرة بقوانينَ ثابتةٍ لا تملِك الخروج عليها، ولا تتحقق بها الطاعة والمعصية، ومن هنا كان الإنسان أصلحَ المخلوقات للعيش على الأرض، ومتناسبًا مع ما فيهـا مـن ماديّات ومعنويات مُتقابلة بالتضاد أو التناقض، وهذا تكريم من الله للإنـسان حيـث اختاره لحمل هذه الأمانة. (1)

وقوله تعالى:﴿وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ عطف على النهـي، أي: ولا تخونوا أماناتكم، قال ابن عباس: الأمانات الأعمال التي ائتمن الله عليها العبـاد(2). يعني الفرائض يقول: لا تنقضوها، قال محمد رشيد رضا(3): أما خيانة الله ورسوله فمعصيتهما. وأما خيانة الأمانة: فكلٌّ واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه إن شاء خانها، وإن شاء أدَّاها لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، وقوله: وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ. أنهـا أمانة من غير شبهة، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾(يوسـف: 52)، أي: لا يرشد كيد من خان أمانته، يعني أنَّه يفتضح في العاقبة بحرمان الهداية.

ومن صور الخيانة للناس إفشاء السر: وقد تكون خيانة الناس بإفشاء الـسر الذي يُؤتمن عليه الإنسان، إلا إذا كان في ذلك الإفشاء مصلحة أقوى، مثل: إظهـار الحق، ونصرة المظلوم، وإعانة أهل العدل، وصيانة مصلحة الأمة. (4)

والخيانة في النصيحة: ومن صور خيانة الناس كذلك الخيانة في النـصيحة، كمن يزكِّي فاسقًا، أو يخفي مالًا مسروقًا، أو يؤوي مجرمًا، أو يعين قاطع طريق، أو من ينصح غيره بما يؤذيه في الدنيا أو الآخرة من الإفساد وقطيعة الرحم

الخيانة الزوجية: وهي من أبشع صور الخيانة: خيانة الزوجة لزوجهـا فـي مالـه وعرضه، بالسرقة والزنا، وخيانة الرجل لزوجته بالسرقة والزنا كذلك. (5)

---

(1) قطب، سيد إبراهيم(ت 1385هـ)، في ظلال القرآن، ط17، 1412هـ، دار الـشروق، القاهرة، ص2253.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص354.

(3) رضا، تفسير المنار، ج3، ص643.

(4) رضا، المرجع نفسه، ج3، ص 643.

(5) رضا، المرجع نفسه، ج3، ص643.

والخيانة في الولايات: كأن يكون الإنسان وليًّا على يتيم؛ على ماله وحضانته وتربيته، فيهمل ماله، ولا يقوم بالواجب، أو يأكل ماله وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء:10)، ومن صور الخيانة أيضًا: عدم القيام بواجب التربية في الأهل والأولاد.

2.3.2 الأمر بالتوبة وعدم إتباع الشيطان:

للتّوبة أهمية عظيمة في حياة المسلم، فقد أمر الله بها جميع المؤمنين، بل قسم الخليقة إلى تائب، وظالم، فالتوبة مطلوبة من المحسن، والمسيء، لا يختص بها فرد بعينه، أو مجتمع بذاته، وهناك علاماتٌ تظهر على حال التائب يستدل منها على صحة التوبة، أو فسادها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(التحريم:8) .

من الملاحظ هنا أن هذا النداء هو آخر النداءات في كتاب الله العزيز، فقد تقدمه تسع وثمانين نداءً فلماذا نص على الأمر بالتوبة يا ترى؟ الجواب والله اعلم أن ما من نداء إلا جاء بأمر أو نهي، ولا شك أن الناس منهم الملتزم والمقصر فيما أمر ونهى وهذا التقصير يلزمه توبة قبل الموت ،كأنه يقول يا أيها المؤمنون لا تخافوا ولا تحزنوا على فرطتم من امر الله فربكم يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات فبادروا إلى التوبة وطلب المغفرة من الله.

التوب لغة ترك الذنب على أكمل الوجوه، وهو ابلغ وجوه الاعتذار، والتوبة: هي ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط، والعزيمة على ترك المعاودة ما أمكن.[1]

يقول الجرجاني -رحمه الله-[2]:(والتوبة النصوح هي: توثيق العزم، والندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، وإضمار عدم العود).

([1]) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج1، ص98.

([2]) الجرجاني، التعريفات، ص63.

ونلاحظ ورود لفظ نصوحاً، ولم يقل -جل جلاله- نصوحة فذكّر، ولم يؤنث اللفظ؛ وذلك لأن نصوحاً على وزن فعولاً، وهو من أوزان المبالغة ويستخدم للـذكر والأنثى معا فنقول امرأة صبور ورجل صبور[1]، تكون التوبة من ارتكاب أي مكروه نصت عليه الشريعة في مصادرها مثل: الشرك، والزنا، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، واكل الربا، والظلم، والخيانة، والغش...الخ، والكذب، أو ترك أي من محبوبات الله -جل جلاله- مثل: الصلاة، والصيام، والجهاد، وبالوالدين والحج، والإخلاص...الخ[2][3]، إن أهم الدعائم والمنجيات الأبدية هي التوبة وقد أولاها القرآن الكريم عناية فائقة ورددها في كثير من الآيات البينات منها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: 39)، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(الأنعام: 54).

كل هذه الآيات المباركات تدعو إلى وجوب مبادرة العبد إلى التوبة مما احتطبه من ذنوب وموبقات لينال مغفرة الله ورضاه.

ومن شروط التوبة الندم على الذنب والعزم على عدم العود وتدارك ما يمكن تداركه مما وقع التفريط فيه مثل المظالم للقادر على ردّها، ومن تمام التوبة تمكين التائب من نفسه أن ينفذ عليها الحدود؛ إذ التمكين من تنفيذ ذلك يشق على النفوس مشقة عظيمة، وتصح التوبة من ذنب دون ذنب، وذلك فيما عدا التوبة من الكفر، وأما التوبة من الكفر بالإيمان فصحيحة في غفران إثم الكفر، والذنوب التي تجب منها التوبة هي الكبائر ابتداء، وكذلك الصغائر إلا أن الله تفضّل على المسلمين فغفر

---

(1) الرازي، غرائب آي التنزيل، ص520.

(2) الجزائري، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ص 246.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص368.

الصغائر لمن اجتنب الكبائر، أُخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾(النجم: 32). [1]

يقول ابن عاشور[2]:(والرجاء المستفاد من فعل عسى مستعمل في الوعد الصادر عن المتفضل على طريقة الاستعارة، وذلك التائب لا حق له في أن يعفى عنه ما اقترفه؛ لأن العصيان قد حصل، وإنما التوبة عزم على عدم العودة إلى الذنب، ولكن ما لصاحبها من الندم، والخوف الذي بعث على العزم دل على زكاء النفس فجعل الله جزاءه أن يمحو عنه ما سلف من الذنوب تفضلاً من الله فذلك معنى الرجاء المستفاد من عسى).

إن باب التوبة مفتوح لا يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها، وحينها ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾(الأنعام:158)، ويُغلق هذا الباب أيضاً إذا بلغت الروح الحلقوم، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ (النساء:18)، واجتناب الكبائر تُكفِّر به السيئات، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾(النساء:31)، وقال: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ)(النجم:32)، الشاهد أن من اجتنب الكبائر من الذنوب طاعة لله تعالى، تجاوز الله عنه إذا وقع في صغيرة من صغائر الذنوب والله أعلم .

بما أن الجزاء من جنس العمل فكما اخذوا امر الله بالرضا، وتابوا من سيئات أعمالهم، تنفيذاً لأمر الله ورغبة في رضاه وطمعاً فيما عنده استحقوا ما عند الله من المغفرة والجزاء الحسن في جنات الرضوان. [3]

([1]) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص200 .

([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص368.

([3]) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم (ت 751هـ)، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق عصام الحرستاني، ط1، 1414هـ، مؤسسة الرسالة، ص290.

قال ابن عباس: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:) إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه). (1) لكن كونها صغيرة متجاوزاً عنها مشروط بعدم الإصرار عليها، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران:135).

بعد أن عرفنا أهمية التوبة ومكانتها في حياة المسلم، ينبغي أن نوضح حكمة مشروعيتها، ويمكن إجمال ذلك في النقاط التالية:

1-تعريف العبد بسعة رحمة الله تعالى، ومعرفة عظيم عفوه وغفرانه للتائبين المنيبين، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(الزمر:53).

2-كثرة الإنابة والرجوع إلى الله، وهذه وحدها كفيلة بملء حياة المسلم سعادة وهناء، عندما يعلم أنه بالتوبة يرضى الله عنه، ويفرح به، ويفرج عنه همومه، ويغدق عليه عطاءه، مصداق ذلك ما أخرجه ابن ماجة في الأدب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أنه قال: (من لزم الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب). (2)

وهذه تجعل الإنسان يحافظ على لزوم التوبة كما يحافظ على الضروريات التي لا تقوم الحياة بدونها، ويساعد على ذلك:

أ) تذكر المسلم دور التوبة والاستغفار في تهذيب نفسه و تطهيرها.

ب) إدراكه أن التوبة والاستغفار سبب في تفريج أي هم أو كرب.

ج) أنها سبب في توسعة الرزق، وكثرة المال و الولد، وفتح أبواب للرزق.

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب القدر، باب (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون)، ص1048، حديث رقم 6612.

(2) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه (ت 273هـ)، سنن ابن ماجة، كتاب الأدب، باب الاستغفار، ص643، ح3819.

د) أنها سبب في البركة في العمر.

ه) أنها سبب في الخروج من كل ضائقة. [1]

و) أنها سبب في مغفرة الذنوب (عظيمها وحقيرها).

3-تشجيع المسلم على العمل الصالح و التغيير إلى الواقع الأفضل. فقد ورد عن رسول الله –صلى الله عليه و سلم– انه قال: (إن العبد ليذنب الذنب فيدخل الجنة) قيل: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: يكون نصب عينيه تائباً منه، فاراً حتى يدخل الجنة). [2]

ثانياً: النهي عن إتباع الشيطان:

قد حذَّر الله أبانا آدم من عداوة إبليس، ولكنَّه لَم ينتبه؛ حيث قال له في أول الأمر: ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [طه: 117]، حتى وسوس له إبليس، وغرَّه على اقتراف المعصية قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور:21).

الشيطان من الثلاثي شطن وهو اسم لكل عات من انس أو جن أو دابة[3]، والشيطنة: مرتبة كلية عامة لمظاهر الاسم المضل[4]، والفحشاء من الثلاثي فحش وهي كلمة تدل على قبح في شيء وشناعته[5]، والمنكر، ضد المعروف وهو من الثلاثي نكر أي جهل. [6]

([1]) نوح، السيد محمد السيد نوح، توجيهات نبوية على الطريق، ط1، 1420هـ، دار اليقين للنشر، ص92.

([2]) الهندي، علي بن عبد الملك حسام الدين (ت 975هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، كتاب التوبة فصل (التوبة فضلها والترغيب فيها)، ص210، حديث1018.

([3]) الفيروز أبادي، القاموس المحيط ، ص1258.

([4]) الجرجاني، التعريفات، ص111.

([5]) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 4، ص478.

([6]) الفيروز أبادي، القاموس المحيط ، ص486.

يقول الزمخشري[1] -رحمه الله-: (لولا تفضل الله عليكم بالتوبة الممحــصة، لما طهر منكم من احد إلى أخر الدهر من دنس الإفك، ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم، وهو سميع لقولهم عليم بضمائرهم.

يا من صدَّقتم بالله ورسوله لا تتبعوا آثار الــشيطان ولا تــسلكوا مــسالكه؛ بإشاعة الفاحشة، والإصغاء إلى الإفك والقول بـــه ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: ومن يتبع سيرة الشيطان، وطريقته ﴿فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ أي فإن الــشيطان يضل الإنسان، ويغويه؛ لأنه يأمر بالفحشاء؛ وهي ما أفرط قبحه، والمنكر: وهو ما ينكره الشرع وتنفر منه العقول السليمة ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُــهُ﴾ أي لــولا فضل الله عليكم أيها المؤمنون بالتوفيق للتوبة الماحية للــذنوب، ويــشرع الحــدود المكفرة للخطايا ﴿مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي ما تطهر أحدٌ منكم من الأوزار أبد الدهر ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي ولكن الله بفضله ورحمته يطهر مــن يــشاء بتوفيقه للتوبة النصوح وقبولها منه. [2]

إذا علمنا المقصود بخطوات الشيطان فطريــق تجنبهــا يكــون بطاعــة الله ورسوله، وصياغة المسلم لحياته على وفق شريعة الله ومنهجه، وعرض كل فعل أو قول أو اعتقاد على الشريعة، فإن وافقها فهو خير وبركــة وإن خالفهــا فهــو مــن خطوات الشيطان التي يجب الابتعاد عنها، ولهذا أمر الله سبحانه بالدخول في السلم وهو الإسلام، ثم حذر مما يخالف الإسلام بالنهي عن اتباع خطوات الشيطان، فقــال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُــمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة:208).

وفي الآية الأخرى نهى عن اتباع خطوات الشيطان ثم ذكر ما يترتب علــى اتباع خطواته من الضرر، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَــدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 168-169).

([1]) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص222.

([2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص275.

ثم إن الشيطان إن رأى المؤمن حريصا على اجتناب ما نهى الله عنه، ولم يستطع أن يضله عن طريق المعاصي، أتاه من باب الطاعات، قال ابن القيم رحمه الله[1]: وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: فإما إلى غلو ومجاوزة، وإما إلى تفريط وتقصير، وهما آفتان لا يخلص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل إلا من مشى خلف رسول الله وترك أقوال الناس وآراءهم لما جاء به، لا من ترك ما جاء به لأقوالهم وآرائهم.

جاءت هذه الآية بعد الآيات العشر، من سورة النور؛ التي تبين حديث الإفك فالجملة إستئنافية، تشير إلى ما تضمنته تلك الآيات من ظنون، ونواهي، ومحبة شيوع الفاحشة في اللذين امنوا، وهذا كله من وساوس الشيطان، فشبه حال فاعل الظنون، بحال متبع خطوات الشيطان، وهو يمشي، وصاحب الظنون يتبع خطواته كما يريد الشيطان. [2]

نلاحظ تذييل ثلاث آيات من آيات النهي عن إتباع خطوات الشيطان، ببيان عداوته، وتأكيدها بمؤكدات ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[3](البقرة:168) ومعنى المبين: الظاهر العداوة من أبان الذي هو بمعنى (بان) [4]، وليس من أبان الذي همزته للتعدية بمعنى أظهر؛ لأن الشيطان لا يُظهر لنا العداوة بل يلبس لنا وسوسته في لباس النصيحة، أو جلب الملائم، ولذلك سماه الله وليا فقال: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾(النساء:119)، إلا أن الله فضحه فلم يبق مسلم تروج عليه تلبيساته حتى في حال إتباعه لخطواته فهو يعلم؛ أنها وساوسه المضرة إلا أن شهوته تغلبه فتضعف عزيمته، وترق ديانته. [5]

والشيطان في تحقيق عداوته للإنسان، وفي سبيل غزوه إياه بخطواته يسلك كل طريق للإغواء، ويأتي الإنسان من جهاته الأربع ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ

---

(1) ابن القيم، الروح، تحقيق محمد أجمل أيوب، دار عالم الفوائد، ج1، ص347.

(2) الرازي، التفسير الكبير، ج23، ص161.

(3) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج18، ص186.

(4) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص1229.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج18، ص186.

صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾(الأعراف:16-17) ولذا كان واجبا على الإنسان أن يجعل الشيطان عدوا له، فلا يتبع خطواته، ولا يستسلم لوساوسه؛ لئلا يقوده إلى المحرمات قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (فاطر:6).[1]

3.3.2 تحريم ضم زوجة المتوفي للميراث:

حرم الله تعالى نظرة الجاهلية إلى المرآة باعتبارها سلعة تورث كالمال مجردة من ابسط الحقوق وهو اختيار الزوج.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آَتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(النساء: 19).

قال الدكتور فضل حسن عباس[2]:أن هذه الكلمة (يحل) إنما تجيء بجانب القضايا التي كان الناس يزاولونها ولا يروا بها حرجاً أما غيرها من المنهيات فهي أمور تنفر منها الطباع مثل القتل والزنا وغيرها والتحكم بالنساء كرها نجد ان كثير من الأمم المتحضرة الى عهد قريب كانت تجيز ذلك وهنا تبرز دقة التعبير القرآني في مخاطبة النفس البشرية فالأمور المتفق على تحريمها جاءت لا تقربوا، لا تأكلوا، لا تقتلوا وأما ما يظنه الناس حقاً لهم لا غبار علية جاء لا يحل، لذلك نجد قول الله: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آَيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(هود:1) مناسب الورود هنا.

وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا مات الرجل وترك امرأة وله ولد من غيرها أو له ورثة من غير الذي يرث مال الميت، يلقى على امرأة الميت ثوباً فيرث تزوجها. [3]

([1]) ابن قيم الجوزية، الروح، مصدر سابق، ص 348.

([2]) فضل، إعجاز القران الكريم، ص 120.

([3]) أبي الحواري، الدراية وكنز الغناية في منتهى الغاية وبلوغ الكفاية في تفسير خمسمائة آية، ص 191.

هذا متصل بما تقدم من ذكر الزوجات، والمقصود نفي الظلم عنهن، والخطاب للأولياء، ومعنى الآية يتضح بمعرفة سبب نزولها، وهو ما أخرجه البخاري[1] عن ابن عباس في قوله: "يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت".

فمعنى لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها أي: لا يحل لكم أن تأخذوهن بطريق الإرث فتزعمون أنكم أحق بهن من غيركم وتحبسونهن لأنفسكم، ولا يحل لكم أن تعضلوهن عن أن يتزوجن غيركم لتأخذوا ميراثهن إذا متن، أو ليدفعن إليكم صداقهن إذا أذنتم لهن بالنكاح. [2]

الفاحشة المبينة هي: الزنا، وإذا زنت البكر فإنها تجلد مائة وتنفى سنة ، وترد إلى زوجها ما أخذت منه، إذا زنت امرأة الرجل فلا بأس أن يضارها، ويشق عليها حتى تفتدي منه، وقال ابن سيرين : لا يحل له أن يأخذ منها فدية إلا أن يجد على بطنها رجلاً، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾. وقال ابن مسعود وابن عباس: الفاحشة المبينة في هذه الآية البغض والنشوز، قالوا: فإذا نشزت حل له أن يأخذ مالها، ويحتمل معنى: الفاحشة البذاءة باللسان وسوء العشرة قولاً وفعلاً. [3]

وعاشروهن بالمعروف أي على ما أمر الله به من حسن المعاشرة. والخطاب للجميع؛ ولكن المراد بهذا الأمر في الأغلب الأزواج، وهو مثل قوله تعالى: فإمساك بمعروف وذلك توفية حقها من المهر، والنفقة، وألا يعبس في وجهها بغير ذنب، وأن يكون منطلقا في القول لا فظاً، ولا غليظاً، ولا مظهراً ميلاً إلى غيرها. والعشرة: المخالطة والممازجة.

([1]) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى(يا أيها الذين امنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها)، ص723، حديث رقم 4579.

([2]) الشوكاني، فتح القدير، ص 282 .

([3]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص86.

يقول محمد رشيد رضا[1]: (أي لا يحل لكم أيها الذين خرجوا من الشرك وتقاليده الجائرة وآمنوا بالله وبما أنزل على رسوله -صلى الله عليه وسلم- أن تستمروا على سنة الجاهلية في هضم حقوق النساء فتجعلوهن ميراثا لكم كالأموال، والعروض، والعبيد، وتتصرفوا بهن كما تشاءون، فإن شاء أحدكم تزوج امرأة من يموت من أقاربه، وإن شاء زوجها غيره، وإن شاء أمسكها ومنعها الزواج، ويحتمل أن: المراد لا يحل لكم أن ترثوا أموال النساء كرها بأن تمسكوهن على كره لأجل أن يمتن فترثوهن، وقوله: (كرها)، لا ترثوهن حال كونهن كارهات لذلك، أو حال كونهن مكرهات عليه، ولفظ الكره ليس قيدا للتحريم، وإنما هو بيان للواقع، كانت العرب تحتقر النساء وتعدهن من قبيل المتاع، والعروض حتى كان الأقربون يرثون زوجة من يموت منهم كما يرثون ماله، فحرم الله هذا العمل .

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ أي: فعسى أن يكون صبرُكم في إمساكهن مع الكراهة، فيه خيرٌ كثير لكم في الدنيا والآخرة، كما قال ابن عباس: هو أن يعطف عليها فيرزق منها ولدًا، ويكون في ذلك الولد خير كثير، وفي الصحيح: (لا يَفركْ مؤمنٌ مؤمنةً، إن كرِه منها خُلقًا، رضي منها آخر)، فرك يَفرَك فركًا: كرِه وأبغض. [2]

ويستفاد من هذه الآية عدة أمور أولها: إبطال قانون الجاهلية الذي كان يسمح لولد الزوج إذا مات والده أن يرث امرأة أبيه فيتزوجها، أو يزوجها، ويأخذ مهرها.
ثانيها: تحريم عضل الزوجة، والتضييق عليها حتى تفدي نفسها بمال.
وثالثها: السماح للمؤمن أن يأخذ فدية من الزوجة ؛إذا أساءت العشرة، أو كرهته ولم تعاشره، وهو ما يسمى بالخلع. [3]

وكان يجمع نساءه كل ليلة في بيتِ التي يَبِيت عندها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلِها، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كتفَيْه الرداء وينام

([1]) رضا، تفسير المنار، ج 4، ص 371.

([2]) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث1469.

([3]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص466.

بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله و يجلس مع أهله قليلاً قبـــل أن ينـــام، يؤانسهم بذلك، وقد قال الله تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّـــهِ أُسْـــوَةٌ حَـــسَنَةٌ﴾[1] (الأحزاب: 21).

([1]) الجزائري، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ص52.

الفصل الثالث

النداءات الإلهية المتعلقة بالعبادات

1.3 في تحريم الانشغال بالأموال والأولاد عن العبادة الوضوء، والتيمم وصلاة الجمعة، والصيام:

1.1.3 تحريم الانشغال بالأموال والأولاد عن العبادة:

أولاً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(المنافقون: ٩).

قال الطَّبَرِيُّ[1]: (يا أيّها الّذين صدّقوا اللّه ورسوله، لا توجب لكم أموالكم ولا أولادكم اللّهو عن ذكر اللّه، وقد عني بذكر اللّه جلّ ثناؤه في هذا الموضع: الصّلوات الخمس)، واللهو كما وضحه ابن منظور هو: ما لهوت به ولعبت به وشغلك من هوى وطرب ونحوهما. [2]

ويضيف الطبري-رحمه الله-: (ومن يلهه ماله وأولاده عن ذكر اللّه فهم المغبونون حظوظهم من كرامة اللّه ورحمته تبارك وتعالى). [3]

لما ذكر سبحانه قبائح المنافقين رجع إلى خطاب المؤمنين مرغباً لهم في ذكره فقال: يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله فحذرهم عن أخلاق المنافقين الذين ألهتهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله، ومعنى لا تلهكم لا تشغلكم، والمراد بالذكر فرائض الإسلام. [4]

الصالحون منهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وعن الصلاة المفروضة.

خص الأموال والأولاد بتوجه النهي عن الاشتغال بها اشتغالاً يلهي عن ذكر الله؛ لأن الأموال مما يكثر إقبال الناس على إنمائها والتفكير في اكتسابها بحيث تكون أوقات الشغل بها أكثر من أوقات الشغل بالأولاد؛ ولأنها كما تشغل عن ذكر

---

(1) الطبري، جامع البيان، ج 28، ص131.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج 13، ص 247.

(3) الطبري، جامع البيان، ج28، ص 132.

(4) انظر: الشوكاني، فتح القدير، ص 1496.

الله بصرف الوقت في كسبها ونمائها، تشغل عن ذكره أيضا بالتذكير لكنزها بحيث ينسى ذكر ما دعا الله إليه من إنفاقها. (1)

وأما ذكر الأولاد فهو إدماج لأن الاشتغال بالأولاد والشفقة عليهم وتدبير شئونهم وقضاء الأوقات في التآنس بهم من شأنه أن ينسي عن تذكر أمر الله ونهيه في أوقات كثيرة فالشغل بهذين أكثر من الشغل بغيرهما. (2)

من خلال الإطلاع على أراء المفسرين نرى أن كل أمر لله فهو ذكر فالصلاة ذكر والصيام ذكر والصدقة ذكر والحج ذكر والجهاد ذكر والقرآن ذكر...الخ.

2.1.3 الوضوء، والتيمم، وفيه نداءان:

أولاً: الوضوء وهو في الإسلام يعني: الطّهارة عن طريق غسل ومسح الأعضاء، وهو من صحة شروط الصّلاة، وسُمّي بذلك لأنّه يُضفي على الأعضاء وضاءةً وطهوراً.

النداء الأول: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة :6)

قال ابن فارس(3):(الوضوء من وضأ وهي كلمة واحدة تدل على حسن ونظافة والوضوء بفتح الواو الماء الذي يُتوضأ به وبالضم فعل الوضوء، وهو من الحسن والنظافة، واصطلاحاً: غسل الأعضاء الأربعة مع النية. (4)

المعنى، يا أيها الذين آمنوا، اعملوا بمقتضى إيمانكم بما شرعناه لكم من هذه الأحكام، يبدأ هذا النداء بالأمر بالنية للصلاة، لقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ﴾، عند

---

(1) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 29، ص 251.

(2) انظر الألوسي، روح المعاني، ج27، ص1.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج6، ص119.

(4) الجرجاني، التعريفات، ص211.

إرادة الفعل أي: بقصدها وبنيتها، ثم باشتراط الطهارة لصحة الصلاة، لأن الله أمــر بها عند القيام إليها، والأصل في الأمر الوجوب. [1]

أن الطهارة لا تجب بدخول الوقت، وإنما تجب عند إرادة الصلاة أي: كل مــا يطلق عليه اسم الصلاة: الفرض والنفل، وفرض الكفاية، وصلاة الجنازة تشترط له الطهارة، حتى السجود المجرد، كسجود التلاوة والشكر. [2]

إن غسل الوجه ثابت بالنص كما هو صريح في هذا النداء، والوجه ما تحصل به المواجهة من منابت شعر الرأس المعتاد إلى ما انحدر من اللحيين والذقن طولاً، ومن الأذن إلى الأذن عرضاً، ويدخل فيه المضمضة والاستنشاق بالسنة[3]، ويــدخل فيه الشعور التي فيه، لكن إن كانت خفيفة فلا بد من إيصال الماء إلى البــشرة، وإن كانت كثيفة اكتفي بظاهرها. [4]

ثم تأتي الآية على غسل اليدين في قوله تعالى: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ أي مع المرفقين كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (النساء:2)، أي مع أموالهم. [5]

أما مسح الرأس فيقول الشعراوي: (إن الباء تأتي لمعان كثيرة، للاستعانة مثل: كتبت بالقلم، ولتعدية الفعل اللازم نحو: ذهبت بالمريض إلى الطبيــب، وللتعــويض مثل: اشتريت القلم بعشرين جنيها، والالتصاق نحو: مررت بخالد، وتــأتي بمعنــى (مع) مثل: بعتك البيت بأثاثه أي مع أثاثه، وبمعنى (من) مثل: شرب بماء النيل أي من ماء النيل، وبمعنى (عن) مثل قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِــعٍ﴾، وتــأتي أيضا للظرفية نحو: ذهبت إلى فلان بالليل أي في الليل، وتكون السببية نحو: باجتهاد

([1]) الزمخشري، الكشاف، ج1، ص609.

([2]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص 199.

([3]) الحسيني، تقي الدين بن محمد الحصني الشافعي، (ت 829هـ)، كفاية الأخيار في جــل غاية الاختصار، دار صعب، بيروت، ج1، ص12.

([4]) ابن قدامه، عبد الله بن محمد بن احمد (620هـ)، المغني، ط5، 1426هــــ، دار عــالم الكتب الرياض، ج1، ص16.

([5]) ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج2، ص24.

محمد منح الجائزة أي بسبب اجتهاده، إن الذي يقول: امسحوا بعض رءوسكم ولو شعرة، فهذا أمر يصلح ويكفي وتسعفه الباء لغة، والمسح يقتضي الإلصاق، والآلة الماسحة هي اليد، وهناك من يقول: نأخذ على قدر الأداة الماسحة وهي اليد أي مسح مقدار ربع الرأس).[1]

يقول الطبري[2] -رحمه الله- قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾، (والصواب من القول في ذلك عندنا، أن الله جل ثناؤه أمر بالمسح برأسه القائم إلى صلاته مع سائر ما أمره بغسله معه أو مسحه، ولم يحد ذلك بحد لا يجوز التقصير عنه ولا يجاوزه، وإذ كان ذلك كذلك، فما مسح به المتوضئ من رأسه فاستحق بمسحه ذلك أن يقال: مسح برأسه، فقد أدى ما فرض الله عليه من مسح ذلك لدخوله فيما لزمه اسم ما مسح برأسه إذا قام إلى صلاته).

إذن كل حكم من هذه الأحكام يصلح لتمام تنفيذ حكم مسح الرأس، ولو أن الله يريدها على لون واحد لأوضح ما أراد، فإن أراد كل الرأس لقال: امسحوا رءوسكم كما قال: ﴿فاغسلوا وُجُوهَكُمْ﴾، وإن كان يريد غاية محددة، لحدد كما حدد غسل اليدين إلى المرفقين، وما دام سبحانه قد جاء بالباء، والباء في اللغة تحتمل معاني كثيرة؛ لذلك فمن ذهب إلى واحدة منها تكفي، لأن أي غاية محتملة بالباء أمر صحيح[3]، أما بالنسبة لغسل الأرجل، قال السعدي-رحمه الله-[4]: (تغسل بصب الماء عليها، فكانت مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه، فعطفت على الثالث الممسوح (الرأس)، لا لتمسح، ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صبّ الماء عليها.[5]

ثم تأتي الآية على الأمر بالغسل من الجنابة، في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ وأنه يجب تعميم الغسل بالماء للبدن، لأن الله أضاف التطهر للبدن، ولم

---

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج5، ص2952.

(2) الطبري، جامع البيان، ج6، ص152. ابن قدامه، المغني، ج1، ص175.

(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج5، ص2953.

(4) الحسيني، كفاية الأخيار في جل غاية الاختصار، ج1، ص24، 25.

(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 201.

يخص بعضه دون بعض، والأمر بغسل ظاهر الشعر، وباطنه في الجنابة، لعمـوم الأمر بالطهارة، وأنه يندرج الحدث الأصغر في الحدث الأكبر.

ويكفي مَنْ هُمَا عليه أن ينوي، ثم يعمم بدنه بالغـسل، لأن الله لـم يـذكر إلا التطهر، ولم يذكر أنه يعيد الوضوء، وأن الجنب يصدق على من أنزل المني يقظة، أو مناماً كما يدل على ذلك لفظ الجنب، أن من ذكر أنه احتلم ولم يجد بللا فإنـه لا غسل عليه، لأنه لم تتحقق منه الجنابة. [1]

ثم تأتي الآية على موضوع التيمم في قوله تعـالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا﴾.

هذه آية التيمم: نزلت بسبب فقد الصحابة الماء في غزوة "المريسيع"[2] حـين انقطع العقد لأسماء، وترجم البخاري هذه الآية في كتاب التفسير: عن عائشة رضي الله عنها قالت: هلكت قلادة لأسماء فبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- في طلبهـا

---

(1) الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي (ت 204هـ)، الأم، ط1، دار المعرفـة، بيـروت، لبنان، 1393هـ، ج 1، ص 42.

(2) المريسيع: ماء لبني خزاعة وتسمى هذه الغزوة غزوة بني المصطلق وهـم بطـن مـن خزاعة، وكانت في شعبان سنة ست من الهجرة، وسببها أن الحارث بن ضرار الخزاعي كان قد جمع الجموع لمحاربة النبي صلى الله عليه وسلم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج معه كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قط مثلها وكان معه ثلاثون من الخيل، عشرة للمهاجرين وعشرون للأنصار واستعمل على المدينة زيد بن حارثة مولاه، وخرجت معه عائشة وأم سلمه رضي الله عنهما، وبلغ عليه السلام المُرَيْسيع من ناحيـة قديد إلى الساحل وصفّ أصحابه للقتال ودفع راية المهاجرين لأبي بكر رضي الله عنـه وراية الأنصار لسعد بن عبادة، وحمل المسلمون على المشركين فقتلوا عـشرة وأسـروا بواقيهم وكانوا أكثر من سبعمائة، وسبوا الرجال والنساء والذرية وساقوا النعم ولم يقتـل من المسلمين إلا رجل واحد وهو هشام بن صبابة وقد قتل خطأ، (انظر: ابن هـشام،عبد الملك بن هشام المعافري (ت 213هـ)، السيرة النبوية، ط2، دار الفكـر، 1418هـ، تحقيق محمد سعيد اللحام، ج3، ص205).

رجالاً، فحضرت الصلاة وليسوا على وضوء ولم يجدوا ماء فصلوا وهم على غير وضوء؛ فأنزل الله تعالى آية التيمم. [1]

والمرض هو: الذي يخاف معه زيادة العلة أو تطويل البرء[2]، والسفر: الخروج عن قصد مسيرة ثلاثة أيام فما فوق بسير الإبل، ومشي الأقدام[3]، والغائط كناية عن العذرة[4]، وملامسة النساء كناية عن الجماع[5]، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(البقرة: 237).

قال ابن قدامه في المغني[6]: (يتيمم لقصير السفر وطويله لعموم الآية، بل يتيمم في الحضر إن فقد الماء بسبب حبسه، أو عدم القدرة على الوصول إليه ولو طال فقد الماء لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-:(إن الصعيد الطيب طهور المسلم وإن لم يجد الماء عشرين سنة). [7]

والتيمم هو : قصد الصعيد الطاهر، واستعماله بصفة مخصوصة لإزالة الحدث[8]، ويكون التيمم بضربتين على التراب الطاهر ضربة للوجه، وضربة لليدين مع المرفقين ظاهرهما وباطنهما، يمسح بكل كف اليد الأخرى مع النية عند فقد الماء، ودخول وقت الصلاة، وكذلك يتيمم المسلم لكل صلاة ما لم يجد الماء؛ لأن

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (وإن كنتم مرضى أو على سفر)، ص725، حديث رقم 4583.

(2) الحصني، كفاية الأخيار في جل غاية الاختصار، ج1، ص33.

(3) الجرجاني، التعريفات، ص103.

(4) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص684.

(5) الطبري، جامع البيان، ج6، ص166.

(6) ابن قدامه، المغني، ج1، ص311.

(7) النسائي، سنن النسائي، كتاب الطهارة، باب الجنب يتيمم، حديث 139.

(8) النجدي، عبد الرحمن بن محمد بن عاصم النجدي (ت 1393هـ)، حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، ط1، 1397هـ، ج1، ص 301.

عليه البحث عن الماء عند كل صلاة، ويجوز لرفع الحدثين الأكبر والأصغر لاستباحة الصلاة، وإدراكها مخافة فوات وقتها. [1]

أما المرض المبيح للتيمم، فهو الذي يخاف معه من استعمال الماء فوات عضو أو تطويل البرء، وأما قوله: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ والغائط: هو المكان المطمئن من الأرض، كنى بذلك عن التغوط، وهو الحدث الأصغر. [2]

وأما قوله: ﴿أو لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾:الملامسة هنا كناية عن الجماع .

قال الجصاص-رحمه الله-[3]:(أباح الله تعالى للمريض التيمم من غير شرط فقد الماء، وإنما جعل فقد الماء شرطاً لتيمم المسافر، إذ لو جعل فقد الماء شرطاً لتيمم المريض لأصبح لا فائدة من ذكر المرضى في الآية، ففي حالة وجود الماء يباح التيمم للمريض وغيره، ولكن ذكر المسافر؛ لأن فقد الماء في السفر هو الأعم .

الأمر بالترتيب في الوضوء؛ لأن الله تعالى ذكرها مرتبة، ،وأن الترتيب مخصوص بالأعضاء الأربعة المسميات في هذه الآية، ثم ذكر الله تعالى مِنّة على العباد بمشروعية التيمم، يقول القرطبي[4]: والترتيب متلقّى من وجوه أربعة:

الأول: أن يبدأ بما بدأ الله به.

الثاني: من إجماع السلف فإنهم كانوا يرتبون .

الثالث: من تشبيه الوضوء بالصلاة .

الرابع: من مواظبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ذلك.

ولا شك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الأسوة الحسنة لنا كما اخبر الله تعالى عنه في كتابه العزيز فالواجب يحتم علينا الإقتداء به في كل شيء قال تعالى: ﴿لقد كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(الأحزاب:21).

---

(1) العمراني، يحي بن أبي الخير بن سالم العمراني الشافعي (558هـ)، البيان في مذهب الإمام الشافعي، ط1، 1421هـ، دار المنهاج بيروت لبنان، ج1، ص241.

(2) الجصاص، الجامع لأحكام القران ، ج4، ص 27، و القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص206.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص 62.

(4) القرطبي، المرجع نفسه، ج6، ص 36.

قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾: من ضيق في الدين، ولكن يريد ليطهركم أي: من الذنوب ومن الحدث والجنابة، ولتستحقوا الوصف بالطهارة التي يوصف بها أهل الطاعة، وليتم نعمته عليكم أي: بالترخيص في التيمم عند المرض والسفر، وبتبيان الشرائع، وبغفران الذنوب، لعلكم تشكرون أي: لتشكروا نعمته فتقبلوا على طاعته.

النداء الثاني: قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾(النساء: 43)، اخرج الترمذي عن عمر ابن الخطاب أنه قال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء فنزلت التي في البقرة: ﴿يسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾(البقرة:219) ،فدعي عمر فقرئت عليه، قال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في النساء: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾(النساء:43)، فدعي عمر فقرئت عليه، ثم قال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في المائدة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾(المائدة:91)، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: انتهينا انتهينا.(1)

السُّكر هو: الشراب الذي من ماء التمر، إذا غلى واشتد وقذف بالزبد، بحيث يصير الشارب بحالة من السرور والغفلة التي تطغى على العقل، فلا يدري ما يقول أو يفعل. (2)

والقرب هنا مستعمل في معناه المجازي وهو التلبس بالفعل، لأن القرب حقيقة في الدنو من المكان، أو الذات وإنما اختير هذا الفعل دون غيره؛ للإشارة إلى أن تلك حالة لا تجوز معها الصلاة، وصاحبها جدير بالابتعاد عن أفضل عمل في

---

(1) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب سورة المائدة، حديث رقم 3049.

(2) الجرجاني، التعريفات، ص103.

الإسلام، ومن هنا كانت هذه الآية مشعرة بتغير شأن الخمر، والتنفيـر منهـا، لأن المخاطبين يومئذ هم أكمل الناس إيماناً وأكثرهم تعلقاً بالصلاة، فلا يفعلـون شـيئا يمنعهم من الصلاة. (1)

قال القرطبي(2): (تُأول الصلاة هنا بالمسجد من إطلاق اسـم الحـال علـى المحل، كما روي عن ابن عباس، وابن مسعود ، قالوا: كان جماعة من الـصحابة يشربون الخمر ثم يأتون المسجد للصلاة مع رسول الله فنهاهم الله عن ذلك).

فالصلاة هنا تحتمل وجوه منها: أنها العبادة المعروفة نفـسها، ولـذلك قـال تعالى: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾؛ لأنه لا صلاة لمن لا يعي ما يقـول، ومنهـا :أن المراد مواضع الصلاة ويدل على ذلك قولـه تعـالى: ﴿لَّهُـدِّمَتْ صَـوَامِعُ وَبِيَـعٌ وَصَلَوَاتٌ﴾(الحج:40)، فسمى مواضع الصلاة صلاة، وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنُبـاً إِلَّـا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾، وهذا يقتضي جواز العبور للجنب في المسجد لا الصلاة فيه، والمراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ المقصود هنا هو: المسافر إذا لم يجد الماء فإنه يتيمم ويصلي. (3)

والذي يوجب الغسل ست أشياء، ثلاثة يشترك فيها الرجال والنـساء وهـي الجماع وإنزال المني والموت، وثلاثة تختص بها النساء دون الرجال، وهي الحيض النفاس والولادة ولو لم ترى بللاً لأن الولد مني منعقد، وفرائض الغسل ثلاثة هـي: النية، وإزالة النجاسة، وإيصال الماء إلى منابت الشعر.(4)

يرد هنا سؤال كيف يخاطب سكران بتكاليف شرعية وقد زال عقله وهو في حكم المجنون أو فاقد الأهلية ؟

الجواب: الخطاب هنا موجه إلى المسلم قبل السكر بأن يجتنبه إذا ظن أنه ينتهي به إلى التلبس بالصلاة في أثنائه، فهو أمر بالاحتياط واجتناب الـسكر فـي أكثـر الأوقات، وإن هذه الآية تمهيد لتحريم السكر تحريماً قطعياً، فإن من يخاف أن يأتي

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص62.

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص 93.

(3) انظر: رضا، تفسير المنار، ج5، ص93، 94.

(4) الحسيني، كفاية الأخيار في جل غاية الاختصار، ج1، ص 24.

عليه وقت الصلاة وهو سكران، فيجب عليه أن يترك الشرب خلال النهار، وأول الليل لانتشار الصلوات الخمس في هذه المدة، فالوقت الذي يبقى للسكر في وقت الليل من بعد العشاء إلى السحر، فيقل الشرب فيه، لقرب موعد النوم الذي لابد منه، وأما أول النهار من صلاة الفجر إلى وقت الظهيرة، فهو وقت العمل والكسب لأكثر الناس، ويقل أن يسكر فيه غير المترفين الذين لا عمل لهم، وقد ورد أنهم كانوا بعد نزولها يشربون بعد العشاء فلا يصبحون إلا وقد زال السكر، وصاروا يعلمون ما يقولون، ثم إن السكر الذي يطلبه المترفون لا ينافي الخطاب، وهو النشوة والسرور ففي الحالة يفهم السكران ويصح أن يوجه إليه الخطاب، ولكنه لا يضبط أعماله وأفكاره وأقواله بالتفصيل. (1)

3.1.3 صلاة الجمعة، والركوع والسجود:

أولاً: صلاة الجمعة: ليوم الجمعة مكانة خاصة في الإسلام، فهو أفضل الأيام، ومن دلائل عظم مكانة يوم الجمعة أن سميت سورة من سور القرآن باسمه، وهي سورة الجمعة، لأن اجتماع المسلمين ووحدتهم من أهم المقاصد التي راعاها الإسلام في طبيعة العلاقة بين المسلمين، فقد أوجد لهم مناسبات عدة، وشرع لهم عبادات جماعية، وكأن الإسلام يدفع المسلمين دفعًا نحو الاجتماع والوحدة، ومن تلك الوسائل يوم الجمعة، فجعله يوم عيد للمسلمين، ومن وسائل الاجتماع والوحدة في الجمعة أن شرعت الصلاة فيها جماعة فريضة، كما أن من أركانها خطبتين، مع وجوب استماع المصلين إلى الخطيب.

قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(الجمعة: 9).

كان هذا اليوم يسمى عروبة، وأول من سماه الجمعة كعب بن لؤي، وأول جمعة صليت جمعة سعد بن زرارة، صلى بهم ركعتين، فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه، فأنزل الله آية الجمعة، فهي أول جمعة جمعت في الإسلام. وأما أول

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص 177.

جمعة جمعها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإنه لما قدم المدينة نزل بقباء على بني عمرو بن عوف، وأقام بها، وأسس مسجدهم، ثم خرج يـــوم الجمعـــة عامـــدا المدينة، فأدرك صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف، فخطب وصلى الجمعة. (1)

قال الألوسي(2)-رحمه الله-:(إذا نودي للصلاة)، فعل النداء لهـــا أي الأذان، والمراد به الأذان عند قعود الإمام على المنبر، وقد كان لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- مؤذن واحد فكان إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد، فإذا نزل-عليه الصلاة والسلام- أقام الصلاة، ثم كان أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- على ذلك حتى إذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنًا آخر فـــأمر بالتـــأذين الأول، فإذا جلس على المنبر أذن المؤذن الثاني فإذا نزل أقام الصلاة فلم يعب ذلـــك عليه). (3)

والظاهر وجوب السعي، والسعي يكون خفة في المـــشي ولـــيس الإســـراع، كالسعي بين الصفا والمروة إنما تؤتى الصلاة بالسكينة، والسعي هو بالنيـــة والإرادة والعمل، فالقيام والوضوء ولبس الثوب والمشي كله سعي، والظـــاهر أن الخطـــاب بالأمر بالسعي للمؤمنين عموماً، وأنها فرض على الأعيان. (4)

ويؤيد هذا الرأي ما جاء في البخاري من حديث أبي هريرة قال قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَـــلاَ تَأْتُوهَـــا تَـــسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ، عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا). (5)

وفي فضل يوم الجمعة ما رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَـــنْ رَاحَ فِـــي

---

(1) انظر: الأندلسي، أبو عبد الله محمد بن يوسف ألأندلسي (ت 745هـ)، البحـــر المحـــيط، 1420هـ، دار الفكر، بيروت، ج8، ص268.

(2) انظر الألوسي، روح المعاني، ج27، ص99.

(3) انظر الرازي، غرائب آي التنزيل، ص510.

(4) انظر الأندلسي، البحر المحيط، ج8، ص286.

(5) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب المشي إلى الجمعة، حديث رقم908.

السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ المَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ) [1]

ذروا البيع أي: اتركوا المعاملة به، ويلحق به سائر المعاملات .

قال الشوكاني[2]:(إذا أذن المؤذن يوم الجمعة لم يحل الشراء والبيع، والإشارة بقوله: ذلكم إلى السعي إلى ذكر الله وترك البيع، وهو مبتدأ وخبره خير لكم أي خير لكم من فعل البيع وترك السعي لما في الامتثال من الأجر والجزاء، وفي عدمه من عدم ذلك إذا لم يكن موجبا للعقوبة إن كنتم تعلمون أي إن كنتم من أهل العلم، فإنه لا يخفى عليكم أن ذلكم خير لكم).

وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَحْرُمُ الْبَيْعُ حِينَئِذٍ، وعَنْ الزُّهْرِيِّ إِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ مُسَافِرٌ فَعَلَيْهِ أَنْ يَشْهَدَ. [3]

ومن آداب الجمعة الغسل والطيب، والسواك، واللباس الحسن كما أخبر بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم-، فيما رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله قال: إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل. [4]

وعَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى). [5]

الجمعة في الأصل فرض في الكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(الجمعة:9)، فأمر بالسعي، ويقتضي الأمر

([1]) البخاري، صحيح البخاري، باب فضل الجمعة، حديث رقم 881 .

([2]) الشوكاني، فتح القدير، ص1492.

([3]) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب المشي إلى الجمعة، ص143 .

([4]) البخاري، المرجع نفسه، باب فضل الغسل يوم الجمعة، حديث رقم 877.

([5]) البخاري، المرجع نفسه، باب الدهن للجمعة، حديث رقم 883.

الوجوب، ولا يجب السعي إلا إلى الواجب، ونهى عن البيع لئلا يشتغل به عنها، فلو لم تكن واجبة لما نهى عن البيع من أجلها، والمراد بالسعي هاهنا الذهاب إليها، لا الإسراع، فإن السعي في كتاب الله لم يرد به العدو، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ﴾(عبس: 8) وقال: ﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾(الإسراء:19)، وقال: ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ﴾(البقرة:205)، وقال: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ (المائدة:33)، هذا ولم يرد به شيء من العدو. [1]

وأما السنة، فقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين).[2] وأجمع المسلمون على وجوب الجمعة.

وشرائط وجوب الجمعة سبعة أشياء: أولها الإسلام، وللجمعة شروط باعتبار الوجوب وشروط باعتبار صحة الفعل، وفي صحيح مسلم أنه عليه الصلاة والسلام قال: (لقد هممت أن آمر رجلا فيصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم) [3]، وفي الحديث: (من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه)[4]، والحرية والبلوغ والعقل، فلا تجب الجمعة عن عبد وصبي ومجنون، وكذا المغمى عليه، بخلاف السكران[5]، والذكورة والصحة والاستيطان، فلا تجب الجمعة على المرأة ؛لأن خروجها إلى الجمعة تكليفا لها ونوع مخالطة بالرجال ولا تأمن المفسدة في ذلك، وقد تحققت الآن المفاسد لا سيما في مواضع الزيارة، والذي يجب القطع

([1]) ابن قدامه، المغني، ج2، ص 155.

([2]) النسائي، سنن النسائي، كتاب الجمعة، باب التشديد في التخلف عن الجمعة، حديث رقم 1370.

([3]) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة، حديث رقم 865.

([4]) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الجمعة، باب ما جاء في ترك الجمعة من غير عذر، حديث رقم 500.

([5]) الحصني ، كفاية الأخيار في جل غاية الاختصار، ص90.

به منعهن في هذا الزمان الفاسد لئلا يتخذ أشرف البقاع مواضع الفساد ولا تجب الجمعة على مريض ومن في حكمه ولا المسافر. [1]

إختار الله عز وجل يوم الجمعة ليكون أعظم الأيام عنده عز وجل، واختصه بأحداث عظام، ومزايا كبار، كانت سببا لوجوب تعظيم هذا اليوم عند المسلمين، واتخاذه عيدا من أعيادهم التي شرع الله فيها من المناسك ما لم يشرع في غيرها.

إن يوم الجمعة يوم عظيم، وموسم كريم ادخره الله تعالى للمسلمين عبر العصور الماضية إلى مبعثهم جميعا، واختصهم به، وفتح لهم فيه أبواب الرحمة، وأوسع لهم فيه الخير، وأجزل لهم فيه العطاء، وجعله أفضل أيام الأسبوع وخاتمة أعمال المسلم طوال سبعة أيام من أسابيع أشهر السنة كله.

ثانياً: الركوع والسجود:

الركوع والسجود هما ركنان أساسيان من أركان الصلاة ولا تصح الصلاة بدونهما وقد خصهما الله بنداء للأهمية الخاصة، ولا هذا وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى ضربين من السجود وهما:

سجود اختيار: وهو خاص بالإنسان وبه يستحق الثواب نحو قوله تعالى: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾(النجم: 62)، أي تذللوا له، وسجود تسخير: وهو للإنسان والحيوان والنبات والجماد.

قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(الحج :77) والركوع من حيث اللغة فهو: أن يخفض المصلي رأسه بعد الحالة التي فيها القراءة حتى يطمئن ظهره راكعاً[2]، وأما السجود: سجد يسجد سجودا وضع جبهته بالأرض. [3]

(1) الحصني، كفاية الأخيار في جل غاية الاختصار، ص 91.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص 60.

(3) ابن منظور، المرجع نفسه، ج7، ص126.

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (ارْكَعُوا) لله في صلاتكم (واسْجُدُوا) له فيها ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ وذلوا لربكم، واخضعوا له بالطاعة، التي أمــركم ربكــم بفعلهــا ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لتفلحوا بذلك، فتدركوا به طَلَباتكم عند ربكم.

أي: لازموا الصلاة وأقيموها، وهي التي فيها ركوع وســجود، بكــل أنــواع العبادات كما أتى ذلك مبيناً في القرآن، وفي السنة النبوية، بحسب الأركان الخمسة: من صلاة وصيام وزكاة وحج، ومن أمر بالمعروف ونهي عــن المنكــر، وأنــواع العبادات الأخرى ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾، ويدخل في الخير كل الخير، وكــل الحــسنات، وكل مكارم الأخلاق، وكل السير الطيبة الصالحة، ولنا الأسوة في ذلك الأعظم نبينا صلى الله عليه وعلى آله، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(الأحزاب:21).

لعلكم بعد كل ذلك ترجون الفلاح، ومن البحث في كتب التفــسير وجــدنا أن (لعل) في القرآن ليست للترجي ولكنها لليقين، أي: إن فعلتم ذلك ستفلحون، ونرجو الله الدوام على ذلك، وتحقيق الفلاح حقاً.

ذكر من الصلاة الركوع والسجود؛ لأنهما أظهر أعمال الصلاة، لكن الركوع والسجود حركات يؤديها المؤمن المخلص، ويؤديها المنافق، وقد كان المنافقون أسبق الناس إلى الصفوف الأولى؛ لذلك أراد الحق سبحانه أنْ يُميِّز هذا من هــذا، فقــال: ﴿وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ.. ﴾.[1]

فليست العبرة في حركات الركوع والسجود، إنما العبرة في التوجّه بها إلــى الله، وإخلاص النية فيها لله، وإلا أصبحت الصلاة مجرد حركات لا تعدو أن تكــون تمارين رياضية كما يحلو للبعض أن يقول: الصلاة فيها تمارين رياضية تُحرِّك كل أجزاء الجسم، نعم هي كما تقولون رياضة، لكن العبادة أن تؤديها؛ لأن الله تعــالى أمرك بها.

---

(1) انظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج16، ص9942.

4.1.3 الصيام:

إن صيام شهر رمضان المبارك ركن عظيم من أركان الإسلام، وقد جعل سبحانه وتعالى لهذا الشهر مميزات وخصائص يمتاز بها عن غيره من العبادات والطاعات الأخرى، وهو أن الله سبحانه وتعالى رتب على صيام هذه الشهر من الأجر والثواب ما لم يرتبه على غيره من العبادات، فجعل سبحانه صيام هذا الشهر سبباً لمغفرة الذنوب جميعها، جاء في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً؛ غفر له ما تقدم من ذنبه) [1]، وجعل سبحانه قيام هذا الشهر سبباً لمغفرة الذنوب جميعها، جاء في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً؛ غفر له ما تقدم من ذنبه) [2]، ثم أنه جعل قيام ليلة القدر والتي هي أحدى ليالي هذا الشهر سبباً لمغفرة الذنوب جميعها. قال صلى الله عليه وسلم:(من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً؛ غفر له ما تقدم من ذنبه).[3]

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة:184)، يقول ابن عاشور: افتُتح الكلام بالنداء؛ لأن فيه إشعارًا بخبر مُهمٍّ عظيم؛ فإن شأن الأخبار العظيمة التي تَهول المخاطب أن يُقدَّم قبلها ما يهيئ النفسَ لقَبولها؛ لتستأنس بها قبل أن تَفْجَأَها). [4]

كُتب بمعنى: فُرض و هو: ما ثبَت بدليل قطعيٍّ لا شبهة فيه، ويَكفُر جاحده، ويُعذَّب تاركه. [5]

الصوم في اللغة من الفعل الثلاثي صام وهو: ترك الطعام والشراب والنكاح والكلام، صام يصوم صوماً وصياماً ، وقوله عز وجل: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا

([1]) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصيام، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً، حديث رقم 1901.

([2]) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصيام، حديث رقم 1901.

([3]) البخاري، المرجع نفسه، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، حديث رقم 2008.

([4]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص17.

([5]) الجرجاني، التعريفات، ص139.

فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾(مريم: 26): أي صمتا[1]، والصوم شرعاً: هو إمساك المكلف عن الطعام والشراب والجماع والقيء عمداً مع النية. [2]

ويعرف الألوسي -رحمه الله- الصوم بأنه: الإمساك عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص، في زمان مخصوص، ممن هو على صفات مخصوصة. [3]

وإنما شرع الصوم لتحقيق التقوى والعبودية الله -عزَّ وجل-: وذلك لأنَّه عبادة يتقرب بها العبد لربِّه بترك محبوباته، وقمع شهواته، فيضبط نفسه بالتقوى، ومراقبة الله -سبحانه وتعالى- في كل مكان وزمان.

يبين القرآن أن عبادة الصوم فرضت على الأمم السابقة من لدن آدم إلى محمد -عليهما السلام-، مما يدل على أن الصوم عبادة أصيلة لم يستثن الله تعالى أمة منها، وذيل الآية بـ لعلكم تتقون أي: تبتعدون عن المعاصي بصومكم ؛لأن الصائم أظلف[4] لنفسه، وأردع لها عن مواقعة السوء

وفائدة التشبيه هنا (كما) لتأكيد الحكم في فرضية الصيام وللترغيب فيه[5]، لأن الأمور الشاقة إذا عمت طابت، والمقصود بالمماثلة هنا إما لتفيد أصل الوجوب، أو المقدار؛ لأن اليهود كانوا يصومون رمضان فتركوه إلى صوم يوم في السنة، وزعموا أنه اليوم الذي أغرق الله فيه فرعون، وزاد النصارى يوما قبله ويوما بعده حتى بلغ خمسين يوما فعجزوا عن صيامه. [6]

([1]) ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص309.

([2]) انظر: الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني (ت1094هـ)، الكليات، ط 3، 1419هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص563.

([3]) الألوسي، روح المعاني، ج1، ص57.

([4]) أظلف لنفسه عن الشيء : منعها عن هواها.(انظر ابن منظور،لسان العرب،ج9،ص 188).

([5]) الزمخشري، الكشاف، ج1، ص225.

([6]) الألوسي، روح المعاني، ج1، 56

والصوم الذي فرض علينا هو صوم شهر رمضان من كل عام لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِى أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: 185).

أبهم الله هؤلاء الذين من قبلنا، والمعروف أن الصوم مشروع في جميع الملل حتى الوثنية، فهو معروف عن قدماء المصريين، وانتقل منهم إلى اليونان فكانوا يفرضونه لاسيما على النساء، وكذلك الرومان كانوا يعنون بالصيام، ولا يزال وثنيو الهند وغيرهم يصومون إلى الآن، وورد في التوراة ذكر الصيام ومدح الصائمين، وهو يدل على أن الصوم كان معروفا مشروعا ومعدودا من العبادات، واليهود في هذه الأزمنة يصومون أسبوعا تذكارا لخراب أورشليم وأخذها، ويصومون يوما من شهر آب، ويقولون أن التوراة فرضت عليهم صوم اليوم العاشر من الشهر السابع وأنهم يصومونه بليلته ويسمونه عاشوراء. [1]

فمن ابرز معالم التقوى في نفس المسلم فعله للصيام؛ لأنها الفريضة التي تؤدى طاعة الله، وإيثارا لرضاه، وليس عليه رقيب إلا الله، فهي التي تحرس القلوب من إفساد الصوم بالمعصية، ولو تلك التي تهجس في البال، والمخاطبون يعلمون مقام التقوى عند الله، فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم، والصوم أداة من أدواتها، وطريق موصل إليها، والتقوى تعد نفس الصائم لتقوى الله تعالى بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة امتثالاً لأمره واحتساباً للأجر عنده، فتتربى بذلك إرادته على ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها فيكون اجتنابها أيسر عليه، وتقوى على النهوض بالطاعات والمصالح والاصطبار عليها، فيكون الثبات عليها أهون عليه، فليس الصيام لتعذيب النفس بل لتربيتها وتزكيتها.

---

(1) رضا، تفسير المنار، ج2، 117.

2.3 في الوقوف عند شعائر الله، والقصاص، وذكر الله تقواه:

1.2.3 في الوقوف عند شعائر الله تعالى:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: 2).

تحذر هذه الآية المؤمنين من أن يُحلوا شعائر الله، التي جعلها محرمة، وعلمًا للنسك، أو أن يُحلوا الأشهر الحرم، أو ما يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى من النسك، وتحذر كذلك من منع قومًا قاصدين المسجد الحرام -وهم الحجاج والعمار- وذلك بالتهاون بحرمة الشعائر، أو أن يحدثوا في أشهر الحج ما يصدُّون به الناس عن الحج، ثم حذرتهم من الاعتداء بدافع بغضهم لقوم صدوهم عن المسجد الحرام، وأمرتهم بالتعاون على الخير وحذرتهم من التعاون على كل إثم وعدوان.

والمعنى: أي لا تجعلوا شعائر دين الله حلالا تتصرفون بها كما تشاءون، والشعائر هي: أوامر الله التي أمر بالقيام بها وشعار الحج: مناسكه[1]، ولا تستحلوا الشهر الحرام باستئنافكم قتال المشركين فيه، والمراد به جنس الشهر الحرام فيدخل فيه الأربعة الحرم ،وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ولا والهدي: الذي يهدى إلى بيت الله من الأنعام؛ للتوسعة على من هناك تقربا إلى الله تعالى، وإحلاله يكون بمنع بلوغه إلى محله من بيت الله، كأخذه لذبحه غصباً أو سرقة، ولا تحلوا القلائد التي يقلد بها هذا الهدي، والمراد بالقلائد ذوات القلائد من الهدي، وخص المقلد بالذكر؛ لأنه أكرم الهدي وأشرفه، وقد يدخل في عمومه من يتقلد من الناس ليعرف أنه محرم، وكان من يريد الحج في الجاهلية ومن يرجع منه، يتقلد من لحاء شجره ليأمن على نفسه، فلا يعرض له أحد، فأقر الله تأمين المقلد لتعلم العرب أن من تقلد لأجل النسك كان في جوار المسلمين وحمايتهم، وأما من يقصد الحرم للنسك أو غير النسك فقد حرم التعرض لهم بقوله: ولا آمين البيت الحرام أي ولا تحلوا

([1]) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص414.

قتال آمين البيت الحرام، أي قاصديه المتوجهين إليه، والبيت الحرام هــو بيــت الله المعروف بمكة المكرمة الذي حرمه وما حوله، أي منع أن يصاد صيده، وأن يقطع شجره وجعله آمنا لا يروع من دخله. (1)

فضلاً من ربهم يعني الرزق بالتجارة، ورضوانا أي: علــى زعمهــم؛ لأن الكافرين لا نصيب لهم في الرضوان: هو أن يصلح معاشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها، وابتغاء الفضل للمؤمنين والمشركين عامة، وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة؛ لأن المسلمين والمشركين كانوا يحجون. (2)

ولما نهاهم عن الاعتداء أمرهم بالتعاون على البر والتقوى، وذلك؛ لأن في البر رضا الناس وفي التقوى رضا الله، فمن جمع بينهما فقد تمت ســعادته ثــم نهــاهم سبحانه عن التعاون على الإثم والعدوان، فالإثم: كل فعل أو قول يوجب إثم فاعله أو قائله، والعدوان: التعدي على الناس بما فيه ظلم، فلا يبقى نوع من أنواع الموجبات للإثم ولا نوع من أنواع الظلم للناس الذين من جملتهم النفس إلا وهو داخل تحت هذا النهي لصدق هذين النوعين على كل ما يوجد فيه معناهما، ثم أمر عبــاده بــالتقوى وتوعد من خالف ما أمر به فتركه أو خالف ما نهى عنه ففعله. (3)

وخلاصة القول في هذا النداء ان الله تعالى نهى المؤمنين عــن اســتحلال شعائر الله، وما تتضمنه من محرمات على المحرم للحج أو العمــرة حتــى ينتهــي حجه بنحر الهدي، فلا يستحلها المحرم في فترة إحرامه؛ لأن استحلالها فيه استهانة بحرمة شعائر الله الذي شرع هذه الشعائر، وكذلك الأشهر الحرم حيث حرم الله فيها القتال إلا إذا وقع اعتداء علــيهم فإن لهم حينئذ أن يردوا الاعتداء، وكذلك الهــدي وهي الذبيحة التي يسوقها الحاج أو المعتمر؛ وينحرها في آخر أيام الحج أو العمرة، فهذه يحرم عليه أن ينحرها لأي غرض آخر، ولا ينحرها إلا يوم النحــر، ولا ينتفع من لحومها وجلودها وأشعارها وأوبارها بشيء، والقلائد وهي الأنعام المقلدة التــي

---

(1) انظر الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 602. وانظر: رضــا، تفــسير المنــار، ج6، ص 104.

(2) انظر الجصاص، أحكام القرآن، ج 3، ص 71.

(3) الأندلسي، البحر المحيط، ج3، ص 422.

يــضع أصـــحابها في رقبتها قلادة؛ علامة على نذرها الله، فهذه يحرم إحلالها بعد تقليدها، فـــلا تنحـــر إلا لمـــا جعلـــت لـــه، وكذلك حرم القاصـــدين إلـــى البيـــت الحرام الذين يقصدونه للتجارة الحلال وطلب رضوان الله، ثم أحـــل الـــصيد متـــى انتهت فترة الإحرام في غير البيت الحرام.

2.2.3 القصاص والوصية:

أولاً: القصاص في اللغة: هو مطلق المساواة والتتبع، والقصاص مأخوذ من قـــص الأثر، وهو إتباعه، ومنه القاص لأنه يتبع الآثار، والأخبار، فكأن القاتل سلك طريقا من القتل فقص أثره فيها، ومن ذلك قوله تعالي: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَـــدَّا عَلَـــى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾(الكهف:64)، من القص القطع، يقال قصصت ما بينهما، ومنه أخـــذ القصاص، لأنه يجرحه مثل جرحه، أو يقتله به[1]، وشرعاً هو: عقوبة مقدرة شرعاً، تقضي بمعاقبة الجاني بمثل ما فعل. [2]

قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(البقرة: 178).

سبب نزول هذه الآية، نزلت في قبيلتين من العرب، كانت إحداهما تتفوق في الشرف والمكانة، فكان إذا قتل منهم امرأة يقتلون من القبيلة الثانية رجلاً، ما يقبلون امرأة، وإذا قتل منهم عبد قتلوا حراً، فأبطل الله هذا. [3]

ين الله تعالى أنه فرض علينا الأخذ بالمثل في العقوبة، فلا يقتل حـــر بعبـــد ويقتل العبد بالحر وتقتل الأنثى بالأنثى وتقتل كذلك بالرجل ويقتل بهـــا والقـــصاص

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص 122.

(2) الجرجاني، التعريفات، ص 148.

(3) الواحدي، أسباب النزول، ص 39.

يقتضي المماثلة في الدين فلا يقتل مسلم بكافر ولو كان المسلم عبداً والكافر حــراً[1] لقوله عليه السلام: (لا يقتل مسلم بكافر). [2]

وهل القصاص خاص بالنفس أو يتناول الأعضاء؟ يتناول الأعضاء، فــالعين بالعين، والأنف بالأنف، لذلك قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ الــنَّفْسَ بِــالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾(المائــدة:45) حتــى الجراحة تقدر بمقاييس، وهذه نعمة فازت بهذه الأمة الإسلامية دون غيرها، فقد كان حال اليهود القتل في النفس فقط، إذا قتل اليهودي فلابد أن يقتل، لا دية ولا عفو، بل القصاص تأديباً لهم، لأنهم قساة القلوب، وكان النصارى بعدهم: لا دية ولا قصاص، فجاءت أسمى الأمم وأشرفها فأعطيت الثلاثة: إن شئتم قتلتم، إن شئتم أخذتم دية، إن شئتم عفوتم.

يقول الشعراوي[3]-رحمه الله-((كتب لنا) تشعرنا أن الشيء لمصلحتنا، وفي ظاهر الأمر يبدو أن القصاص مكتوب عليك، وساعة يكتب عليك القصاص وأنــت قاتل فيكون ولي المقتول مكتوباً له القصاص، إذن كل عليك مقابلهــا لــك، وأنــت عرضة أن تكون قاتلا أو مقتولا. فإن كنت مقتولا فالله كتب لك. وإن كنت قاتلا فقد كتب الله عليك. لأن الذي لي لابد أن يكون على غيري، والذي عليّ لابد أن يكــون لغيري فالتشريع لا يشرع لفرد واحد وإنما يشرع للناس أجمعين، عندما يقول: كتب عليكم، ثم يقول في الآية التي بعدها: ﴿وَلَكُمْ فِي القصاص حَيَاةٌ﴾، فهو سبحانه قد جاء بــ لكم، وعليكم، (عليكم) للقاتل، و(لكم) لولي المقتول. فالتشريع عادلٌ؛ لأنه لم يأت لأحد على حساب أحد، والعقود دائما تراعي مصلحة الطرفين).

([1]) انظر: التويجري، محمد بن إبراهيم بــن عبــد الله، موســوعة الفقــه الإســلامي، ط1، 1430هــ، بيت الأفكار الدولية.

([2]) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الديات، باب لا يقتل المسلم بالكافر، ص1093، حديث رقم 6915.

([3]) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج2، ص744.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما يقول: كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية ، فأنزل الله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾ فالعفو أن يقبل الدية في العمد فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان يتبع بالمعروف ويؤدي بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة مما كتب على من كان قبلكم فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم قتل بعد قبول الدية[1]، وفيها لطيفة ،أي: في الإسلام، وبناءً على هذا فالكافر إذا قتل مسلماً فلا عفو ولا دية، أنت تعفو عنه ليواصل كفره بالله وشركه ، لكن المؤمن إذا عفوت عنه عبد الله سنين، والكافر ماذا يصنع؟ يزداد في الظلم والشر والخبث، إذاً: فالموت خير له، أي أن الذي يريد الدية يتبعها ويطالب بها بالمعروف، لا بالعنف والشدة، والذي يؤدي الدية ينبغي أن يؤديها أيضاً بلا مماطلة ولا نقصان.[2]

وهناك حكمة من القصاص، وإقامة الحدود الشرعية هي: أنه بالإضافة إلى العدل الفردي -أي ما بين الجاني والمجني عليه- فإن القصاص يحقق الردع، وهو أحد الأهداف الاجتماعية للعقوبة، وهو وحده الذي يمكن أن يحسم كثير من الجرائم التي انتشرت اليوم في المجتمعات انتشار النار في الهشيم، فالقصاص وحده هو الذي يمكن أن يوقف تلك الجرائم، فإذا أردنا أن نقضي على أبشع الجرائم دون مجاوزة لحدود العدالة، فعلينا بالقصاص، ويجب عندئذ أن نستبعد كل الاعتراضات التي من شأنها التقليل من أهمية الدين في حفظ حياة الناس.

ثانياً: **الوصية**: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾(المائدة:106)

جاء في سبب نزول هذه الآية أن تميماً بن أوس الداري وأخاه عدياً كانا نصرانيين خرجا إلى الشام ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلماً مهاجراً، خرجوا للتجارة فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتاباً فيه نسخة جميع ما

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، (باب (يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص)، ص708، حديث رقم 4498.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج1، ص220.

معه وألقاه فيما بين الأقمشة ولم يخبر صاحبه بذلك، ثم أوصى إليهما وأمرهما أن يدفعا متاعه إذا رجعا إلى أهله، ومات بديل فأخذا من متاعه إناء من فضة منقوشاً بالذهب ثلثمائة مثقال، ودفعا باقي المتاع إلى أهله لما قدما، ففتشوا فوجدوا الصحيفة، وفيها ذكر الإناء، فقالوا لتميم وعدي: أين الإناء؟ فقالا لا ندري، والذي رفع إلينا دفعناه إليكم، فرفعوا الواقعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية. (1)

شهادة بينكم يعني: شهادة ما بينكم وما بينكم كناية عن التنازع والتشاجر، وإنما أضاف الشهادة إلى التنازع لأن الشهود إنما يحتاج إليهم عند وقوع التنازع، والمراد بحضور الموت مشارفته وظهور أمارات وقوعه، كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾(البقرة: 180) قالوا وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾ دليل على وجوب الوصية. (2)

منكم ضمير للمسلمين أو آخران من غيركم للكافرين فعلى هذا تكون شهادة أهل الكتاب على المسلمين جائزة في السفر إذا كانت وصية، فمعنى الآية أن الله تعالى أخبر أن حكمه في الشهادة على الموصي إذا حضر الموت أن تكون شهادة عدلين، فإن كان في سفر وهو الضرب في الأرض، ولم يكن معه أحد من المؤمنين، فليشهد شاهدين ممن حضره من أهل الكفر، فإذا قدما وأديا الشهادة على وصيته حلفا بعد الصلاة أنهما ما كذبا وما بدلا، وأن ما شهدا به حق، ما كتما فيه شهادة وحكم بشهادتهما؛ فإن عثر بعد ذلك على أنهما كذبا أو خانا، ونحو هذا مما هو إثم حلف رجلان من أولياء الموصي في السفر، وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما. (3)

---

(1) انظر الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 687، وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج7، ص81.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج7، ص 82.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج7، ص 83.

3.2.3 ذكر الله وتقواه والاستجابة له:

أولاً: ذكر الله تعالى، ومنه قوله جل جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب :41).

الذّكر من حيث اللغة: من ذَكَرَ، ويعني: الحفظ للشيء، كالتذكار، والشيء يجري على اللسان، والثناء، والشرف، والصلاة لله تعالى، والدعاء. [1]

قال الراغب[2]:(الذكر تارة يراد به هيئة للنفس بها يمكّن الإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل: الذّكرُ ذكران: ذكرٌ بالقلب، وذكرٌ باللسان، وكل واحد منهما ضربان: ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان، بل عن إدامة حفظ، وكل قول يقال له ذكر، ومن الذكر بالقلب واللسان معاً). قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾ (البقرة: 200).

أخرج الترمذي عن أبي الدرداء -رضي الله عنه-أن النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام قال: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى. قال: ذكر الله). [3]

ومن الذكر ذكرٌ بالقلب، قال تعالى: ﴿واذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾(الأعراف: 205)، ومن الذكر باللسان. قال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾(طه: 14)، وقال -عليه الصلاة والسلام-: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" [4] ومن الذكر

---

(1) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص399.

(2) الأصفهاني، المفردات، ج1، ص 237.

(3) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب، ما جاء في فضل الذكر، ص883، حديث رقم 3377.

(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، ص1021، حديث رقم 6406.

بالعمل. قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾(البقرة: 152)، ومن الذكر بالتواصي والتحاض والمشاركة الجماعية. قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (البلد: 17)، وقال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾(العصر:3)، ويكون العقل ذاكرا عندما يتبع المنهج القرآني القائم على النظر واعتماد البرهان وتجاهل الخرافة وعلى طلب العلم بدليله الشافي وإجراء المقارنات والمقابلات وتحرير الإنسان بالإرادة وتكريمه بالحرية.

يقول الطبري[1]-رحمه الله-:(لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلوما، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾(النساء:103) فذكر الله يكون بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال. وقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾(الأحزاب:42) فإذا فعلتم ذلك؛ صلى عليكم هو وملائكته، قال الله عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾(الأحزاب:43).

ومن الذكر التسبيح ومع إن الجنة ليست دار تكليف ومع ذلك يبقى أهل الإيمان يسبحون الله في الجنة، لكن تسبيحهم في الجنة لا على أنه تكليف إنما يلهمون التسبيح في الجنة كما يلهمون في الدنيا النفس، فإنك تتنفس بصور لا إرادية، وكذلك أهل الجنة مع التقريب بالمشابه يسبحون الله جل وعلا كما يلهمون النفس، ومع هذا يفهم أن تسبيح الرب تبارك وتعالى من أجل وأعظم العبادات.

ومن أمثلة ذلك في القرآن تسبيح الرعد له جل جلاله قال : ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾(الرعد:13)، وسبحته الملائكة ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ.....﴾ (البقرة:30)، وسبحه المؤمنون، وسبحته الجبال ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ.. ﴾ (ص:18)، وسبحته الطير ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾(ص:19)، وجعل الله التسبيح عبادة عامة قال الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(الإسراء:44)، وأعظم

---

(1) الطبري، جامع البيان، ج19، ص 244.

من ذلك كله أن الله جل وعلا سبح نفسه بنفسه قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾(الإسراء:1)، ثم قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾(مريم:90)، حتى يعلم أن للتسبيح رفيع المنازل عند الله.

ثانياً: تقوى الله وفيه خمسة نداءات:

أمر الله جميع الخلق أن يتقوه سبحانه وتعالى، وأخبر أن التقوى هي خير الزاد للآخرة قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾(البقرة:197)، والتقوى كلمة جامعة لأفعال الخير القولية والفعلية والاعتقادات والنيات فهي شاملة لكل أعمال العبد ظاهرها وباطنها عليه أن يتقيَ الله فيها بينه وبين الله بأداء فرائضه وترك منهياته.

النداء الأول: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران: 102)، الظاهر من هذا النداء أن المؤمن يكون تقياً إذا اجتنب جميع المعاصي ويمتثل كافة الأوامر التي أُمر بها على قدر استطاعته.

قال ابن الخطيب: (حق تقاته: أن يطاع فلا يعصى طرفة عين، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى) [(1)]، ونقل ابن كثير عن ابن عباس -رضي الله عنه-: (أن تُجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لَوْمَةُ لائمٍ وتقوموا لله بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم). [(2)]

وأضاف الزمخشري:(لا يتقي الله عبد حقَّ تقاته حتى يخزن لسانه)، إشارة إلى قلة الكلام فلا ينطق إلا بخير وإصلاح بين الناس. [(3)]، وعلى هذا يكون معنى الآية التي نحن بصددها مفسرًا في قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾(التغابن: 16)، فمن اتقى الله على قدر استطاعته فقد اتقاه حق تقاته قال تعالى:﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(البقرة: 286)، ثم نهاهم جل شأنه عن التعرض لأفظع ما يصيب المرء في هذه الحياة وهو الخروج منها على حالة توجب الشقاء الأبدي بقوله: ﴿وَلَا

([1]) انظر ابن الخطيب، أوضح التفاسير، ص 76.

([2]) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 388.

([3]) انظر الزمخشري، الكشاف، ج1، ص394.

تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، إن المراد بـ أن يطاع فلا يعصى أي الذي يصدر عن الإنسان على سبيل السهو والنسيان فغير قادح فيه لأن التكليف مرفوع في هذه الأوقات وكذلك قول ابن الخطيب: أن يشكر فلا يكفر، لأن ذلك واجب عليه عند خطور نعم الله بالبال، فأما عند السهو فلا يجب، وكذلك قوله: أن يذكر فلا ينسى، فإن هذا إنما يجب عند الدعاء والعبادة. (1)

إن ساعة مداهمة الموت لا يعلمها إلا الله، وإن الإنسان معرض في كل لحظة للخروج من الدنيا والانتقال إلى الآخرة، والنهي وإن كان واقعًا على الموت لكن المعنى واقع على الأمر بالاستمرار على التوحيد، فلا يكون أحدنا عرضة لأشد المخاطر وهو مفاجأة الموت إياه على غير الإسلام، فليتهيأ له المسلم بلباس أشرف حلة يحب أن يلاقي ربه بها، وهي أن يسلم نفسه لله رب العالمين.

النداء الثاني: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(المائدة: 35). أما الكلام عن التقوى فقد قدمناه في النداء الذي سبق.

وأما قول الله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾، هذا ما سنأتي عليه هنا إن شاء الله تعالى.

الوسيلة: من الفعل الثلاثي وسل وهي: التوصل إلى الشيء برغبة، وحقيقة الوسيلة إلى الله مراعاة طاعته بالعلم والعبادة، وتحري مكارم الشريعة، والواسل الراغب إلى الله. (2)

ومن شعر لبيد(3):

أرى الناسَ لا يَدرُونَ ما قَدرُ أمرِهمْ ... بلى : كلُّ ذي لُبٍّ إلى اللّهِ وَاسِلُ

---

(1) انظر الرازي، التفسير الكبير، ج7، ص 161.

(2) الأصفهاني، المفردات، ج2، ص678.

(3) هو لبيد بن ربيعة العمري أبو عقيل، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية أدرك الإسلام وأسلم، كان من المؤلفة قلوبهم، وهو أحد أصحاب المعلقات، توفي 41هـ.(انظر الزركلي، الأعلام، ج5، ص240).

ألا كـــل شـــيء ما خلا اللهَ باطلُ   وكل نعيم لا محـــالـــــــــة زَائلُ[1]

يعني ابتغوا القربة إليه بطاعته، والعمل بما يرضيه، من فعل الطاعات وترك المنكرات[2]، التمسوا القربة، وابتغوها واطلبوها، أينما كنتم فيما شرع الله لكم مـــن صلاة، وصوم، وصدقات، وغير ذلك، وهذا معنى قوله تعالى في الآيـــة الأخـــرى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾(الإسراء: 57) ليبتغوا مـــن ربهم القربة بطاعته ويرجون رحمته ويخافون عذابه، هكذا الرسل وأتباعهم يتقربون إلى الله بالوسائل التي شرعها لهم، أما ظن بعض الناس أن الوسيلة هـــي التوســـل بالأموات والاستغاثة بالأولياء، فهم على غير هدى، وهذا اعتقاد المشركين الذين قال الله -سبحانه- فيهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـــؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَـــالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(يونس:18).

والجهاد: في اللغة من الفعل الثلاثي جهد، يقال جهـــدت نفـــسي، وأجهـــدت والجهد الطاقة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِـــي الـــصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(التوبـــه: 79)، والمجهود اللبن أخرج زبده، ولا يكاد ذلك يكون إلا بمشقة وتعب. [3]

قال الرازي[4] -رحمه الله-:(وهذه الآية آية شـــريفة مـــشتملة علـــى أســـرار روحانية، ونحن نشير ههنا إلى واحد منها، وهو أن من يعبد الله تعالى فريقان، منهم من يعبد الله لا لغرض سوى الله، ومنهم من يعبده لغرض آخر، والجهاد في ســـبيله

([1]) هذا البيت من قصيدة (ألا تسألان المرء ماذا يحاول)،ديوان لبيد بن ربيعة، (انظر النـــت، www.adab.com ›الأولى› العصر الجاهلي.

([2]) انظر الطبري جامع البيان، ج8، ص271، وانظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص52، وانظر الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 228.

([3]) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص487.

([4]) الرازي، التفسير الكبير، ج10، ص 176.

يعني عبوديته وطريق الإخلاص في معرفته وخدمته، والفلاح اسم جامع للخلاص عن المكروه والفوز بالمحبوب). وقال ابن الخطيب[1] الجهاد قتال الأعداء.

جاهدوا أنفسكم بكفها عن الأهواء، وحملها على التزام الحق في جميع الأحوال، وجاهدوا أعداء الإسلام الذين يقاومون دعوته وهدايته للناس فالجهاد، هو المشقة والتعب، وسبيل الله هي طريق الحق والخير والفضيلة؛ فكل جهد يحمله الإنسان في الدفاع عن الحق والخير والفضيلة، أو في تقريرها وحمل الناس عليها، فهو جهاد في سبيل الله. (لعلكم تفلحون) أي اتقوا ما يجب تركه، وابتغوا ما يجب فعله من أسباب مرضاة الله وقربه، واحتملوا الجهد والمشقة في سبيله رجاء الفوز والفلاح والسعادة في المعاش والمعاد. [2]

الإنسان في هذه الحياة الدنيا يعيش حالة من الصراع مع أعداء ظاهرين، وآخرين لا يراهم، وربما كانوا أشد فتكًا به من أعدائه المشاهدين؛ ولذا فإنه لا بد أن يكون دائمًا متيقظًا حذرًا.

وإن أعدى أعداء المرء نفسه التي بين جنبيه فإنها تحثه على نيل كل مطلوب والفوز بكل لذة حتى وإن خالفت أمر الله وأمر رسوله، والعبد إذا أطاع نفسه وانقاد لها هلك، أما إن جاهدها وألزمها زمام الإيمان، والتقوى، فإنه يحرز بذلك نصرًا في ميدان من أعظم ميادين الجهاد، فقد روى البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب). [3]

إذا جهاد النفس من أفضل أنواع الجهاد، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾(النازعات: 40 ،41)، ويقع بمنع

([1]) ابن الخطيب، أوضح التفسير، ص 132.

([2]) انظر: رضا، تفسير المنار، ج6، ص 306.

([3]) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ص11، حديث رقم 10، والترمذي في السنن، ص441، حديث رقم 1621.

النفس عن المعاصي، وبمنعها من الشبهات، وبمنعها من الإكثار من الشهوات المباحة لتتوفر لها في الآخرة.

النداء الثالث: لما كان الصدق ضرورة من ضرورات المجتمع الإنساني، وفضيلة من فضائل السلوك البشري ذات النفع العظيم، وكان الكذب عنصر إفساد كبير للمجتمعات الإنسانية، وسبب لهدم أخلاقها، وتقطيع روابطها وصلاتها، ورذيلة من رذائل السلوك ذات الضرر البالغ؛ أمر الإسلام بالصدق ونهى عن الكذب .

قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(التوبة :119).

الصدق في اللغة: من الفعل الثلاثي صَدَقَ وضدُّ الكذب، يَصْدُقُ ومنه صَدْقًا وصِدْقًا وصَدَّقه: قَبِل قولَه، وصدَقَه الحديث: أَنبأَه بالصِّدْق، ويقال: صَدَقْتُ القوم. أي: قلت لهم صِدْقًا وتصادقا في الحديث وفي المودة. [1]

أما الصدق اصطلاحاً :هو الخبر عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب. [2]

اخرج البخاري من رواية ابن مسعود -رضي الله عنه- عن النّبيّ -صلى الله عليه وسلم - قَالَ: (إنّ الصِّدقَ يَهْدِي إِلَى البرِّ، وإنّ البر يَهدِي إِلَى الجَنّةِ، وإنّ الرّجُلَ لَيَصدُقُ حَتّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صدِّيقًا. وَإِنّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنّ الفُجُورَ يَهدِي إِلَى النّارِ، وَإِنّ الرّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتّى يُكتَبَ عِنْدَ الله كَذّابًا). [3]

قال ابن كثير[4]-رحمه الله-: أي: اصدقوا وألزموا الصدق تكونوا من أهله، وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجاً .

والمعنى من الآية: يا أيها الذين عاهدوا الله ورسوله على الإيمان، كونوا مثل الصادقين في صدقهم في الدين، نيةً وعملاً وقولاً، قال ابن عباس[5]: الخطاب هنا

([1]) ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص 193.

([2]) الجرجاني، التعريفات، ص 113.

([3]) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)، ص977، حديث رقم 6094.

([4]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 398.

([5]) انظر الألوسي، روح المعاني، ج9، ص 45، وانظر الزمخشري، الكشاف، ج2، ص320.

لأهل الكتاب، ويجوز أن يكون عاما لهم ولجميع من آمن من الناس ولكنه خاصاً بالثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله في تبوك في صدق توبته إلى الله وقد وربطوا أنفسهم بالسواري ندما على تخلفهم عنه -صلى الله عليه وسلم- فعلى هذا يكون المعنى كونوا مع الصادقين محمد وأصحابه أمثال أبي بكر وعمر وعلي وعثمان .

روى البخاري من حديث كعب بن مالك حين تخلف عن عزوة تبوك أنه قال: فو الله ما أعلم أحدا أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله إلى يومي هذا كذباً. [1]

ولابد من تعويد أبنائنا الصدق في أقوالهم وأفعالهم، وحثهم على الصدق ومعاقبتهم على الكذب وممارسة ذلك أمامهم، ويجب أن يكون الآباء قدوة لأبنائهم فلا يكذبون؛ فربما يكذب أحد الوالدين على ابنه فيغرس في ذهنه الكذب دون أن يشعر، وفي هذا خطر كبير؛ لأن الطفل يتعلم من الكبار فإذا وجد الكبار يكذبون فإنه سينشأ على ذلك، لذلك لابد أن يصدق الكبار في أقوالهم وأفعالهم فلا يكذبوا على أولادهم، أو يكذبوا على أحد أمامهم، أو يأمروهم أن يقولوا الكذب للناس، فكل هذا يتناقض مع تعاليم الإسلام التي يجب أن نربي أبنائنا عليها.

النداء الرابع: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الانفال :29).

الفرقان من حيث اللغة: من الفعل الثلاثي فرق وهو الفاصل، ومنه فرق الشعر، ويدل على التمييز بين شيئين، والفرقان كتاب الله تعالى؛ لأنه فرق بين الحق والباطل وسمي الصبح فرقاناً؛ لأنه فرق بين الليل والنهار. [2]

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه إن تتقوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه يجعل لكم نورا وتوفيقاً[3] وفصلاً بين الحق والباطل، ويَمحُ عنكم ما سلف من ذنوبكم ويسترها عليكم، فلا يؤاخذكم بها. والله ذو الفضل العظيم.

([1]) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، ص 693، حديث رقم 4418.

([2]) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج4، ص495.

([3]) الأصفهاني، المفردات، ج2، ص 489.

بناءً على ما تقدم تبين، أنه ما يميز به بين شيئين متـشابهين، وقـد أطلـق بالخصوص على أنواع من التفرقة فأطلق على النصر، لأنه يفرق بين حالين كانـا محتملين قبل ظهور النصر: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَـانِ﴾ (الأنفال: 41)، أي: يوم النصر، وأطلق على المخرج[1] لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾(الطلاق:2)، والثالث: القرآن. ومنه قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾(الفرقان: 1).

المعنى أنه يغفر لهم ما تقدم من الذنوب وما تأخر والله ذو الفضل العظيم فهو المتفضل على عباده بتكفير السيئات ومغفرة الذنوب.[2]

قال ابن عاشور[3]: (وقد أشعر قوله "لكم" أن الفرقان شيء نافع لهم، فالظـاهر أن المراد منه كل ما فيه مخرج لهم ونجاة من التباس الأحوال وارتبـاك الأمـور، فيئول إلى استقامة أحوال الحياة، حتى يكونوا مطمئني البال منشرحي الخاطر، وذلك يستدعي أن يكونوا منصورين، غالبين، بُصراء بالأمور، كملة الأخلاق، سائرين في طريق الحق والرشد، وذلك هو ملاك استقامة الأمم، فاختيار الفرقان هنا؛ لأنه اللفظ الذي لا يؤدي غيره مؤداه في هذا الغرض وذلك من تمام الفصاحة) .

ويكفر عنكم سيئاتكم أي يسترها حتى تكون غير ظاهرة ويغفر لكم ما اقترفتم من الذنوب، ويجوز إن المراد بالسيئات: الصغائر، وبالذنوب التي تغفر: الكبائر.

النداء الخامس: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَـدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(الحشر :18).

يظهر إيمان الإنسان في التصرف والسلوك والأخلاق والمعاملات، وقد بـين الله لنا في كتابه أنه سيجمع الأولين والآخرين في يوم لا يغادر الله فيه صـغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَـوْمٍ

([1]) انظر الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص536، وانظر: القرطبي، الجامع لأحكـام القـرآن، ج7، ص 355.

([2]) انظر: رضا، تفسير المنار، ج9، ص 540.

([3]) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 10، ص 327.

مَّعْلُومٍ﴾(الواقعة:50)، وقدم الله تعالى الإيمان باليوم الآخر على كثير من أركان الإيمان، فقال الله جل في علاه: ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾(البقرة:232)، فقدم الله الإيمان بالله وباليوم الآخر على سائر أركان الإيمان؛ والسبب: أن الإيمان بذلك اليوم هو الذي يحرك الإنسان في حياته، فمن علم أنه عبد لله، وعلم أنه سيقف بين يدي ربه -جل في علاه-، وعلم أنه سيسأل عن كل صغيرة وكبيرة فكيف يكون حاله في دنياه؟ وكيف يكون حال من قدر الله حق قدره، واستشعر عظمة الله، وعلم أن الله مطلع عليه ويعلم سره ونجواه؟ كيف يؤثر ذلك في سلوكه وفي تصرفاته؟ وانظر في واقع الناس اليوم فإنهم يدعون أنهم يؤمنون بالله وباليوم الآخر لكن لا ترى لإيمانهم أثراً واقعاً ملموساً في حياتهم .

يوجد كثيرٌ من الناس، مَن يؤمِن بالله - تعالى - ولكنَّه لا يؤمن باليوم الآخر، وقد وقع ذلك في قديم الدهْر وحديثه، فقد كان مشركو العرب يؤمنون بالله -تعالى- ولكنَّهم لا يؤمنون بالبعْث، واليومَ يوجد في العالَم أعدادٌ كبيرة تؤمِن بوجود الخالق، ولكنَّها لا تؤمن بقضية البعْث: إمَّا إنكارًا لها واستبعادًا لوقوعها.

أخرج مسلم[1]، والنسائي[2] من حديث جرير بن عبد الله البجلي -رضي الله عنه-[3]، قال: كنا عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار[4] متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم

---

(1) مسلم، صحيح مسلم ،كتاب الزكاة ،باب الحث على الصدقة، ص 706، حديث رقم 1017.

(2) النسائي، أحمد بن شعيب النسائي (ت 303هـ)، سنن النسائي، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة، ص 426، حديث رقم 2554.

(3) جرير بن عبد الله البجلي، صحابي جليل أسلم وقومه في رمضان من السنة العاشرة للهجرة، فبعثه الرسول صلى الله عليه وسلم على رأس فرسان من بني أحمس من بجيله لهدم ذي الخلصة (صنم كانت قبائل بجيله وخثعم وباهلة ودوس والأزد يعبدونه)، وروي عنه ما يزيد عن 300 حديث. (انظر الزركلي، الأعلام، ج2، ص 531).

(4) النمار: جمع نمرة وهو كساء من صوف مخطط، ومجتابيها: لابسيها (انظر: الفيروز ابآدي، القاموس المحيط، ص 478).

من مضر فتغير وجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما رأى بهم من الفاقة، قال: فدخل ثم خرج ، فأمر بلالاً فأذن وأقام الصلاة ، فصلى ثم خطب، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(النساء: 1)، وقرأ الآية التي في الحشر: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(الحشر:18)، تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره -حتى قال-: ولو بشق تمرة، قال : فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتهلل وجهه كأنه مذهبة، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء).

يا معشر من آمن بالله حقا ألزموا مخافة الله في كل ما تأتون وما تتركون من الأعمال في سائر أمور حياتكم، ولينظر الإنسان ماذا قدم ليوم القيامة من أعمال الخير التي توزن في ميزان حسناته وعبر عن يوم القيامة بـ غد لدنوه وقربه، أو لأن الدنيا يوم والآخرة غده، ونكره لتهويله كأنه قال لا يعرف عظمته إلا الله ونكر نفس، لاستقلال الأنفس فكل نفس تنظر ما قدمت وتحاسب عليها لوحدها، وكرر التقوى للتأكيد على أهمية التقوى في اتقاء أهوال يوم القيامة، وختم الآية بـ خبير بما تعملون، من الخير الذي يقصد به وجه الله وخبير بمعاصيكم. [1]

وقد غفل كثير من المربين عن غرس التقوى في نفوس النشء، رغم أن التقوى أساس هام وقيمة جليلة، يستطيع المربي من خلال غرسها في النشء أن يخرّج أفرادا صالحين، يخافون الله -عز وجل-، ويراقبونه في أعمالهم وأفعالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم، فيسعى هذا المواطن الصالح جادا في خدمة مجتمعه

([1]) أبي السعود، ج 8، ص 232، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القران، ج18، ص39 .

فلا يغش ولا يخدع ولا يكذب ولا يسرق، بل يحافظ على المال العام ويحافظ على المرافق العامة، يفعل كل ذلك مخافة الله واتقاء غضبه وعذابه وطمعا في رضاه وثوابه. (1)

ثالثاً: الاستجابة لأمر الله تعالى:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إلى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآَمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾(الصف: 14).

أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم، بأقوالهم، وأفعالهم، وأنفسهم، وأموالهم، وأن يستجيبوا لله ولرسوله، كما استجاب الحواريون لعيسى -عليه السلام-.

المعنى: كونوا معيني في الدعوة إلى الله -عز وجل- نحن أنصارك على ما أرسلت به وموازروك على ذلك؛ ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين. (2)

وهكذا كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعرض نفسه على الناس في المواسم حتى قيض الله -عز وجل- له الأوس، والخزرج من أهل المدينة فبايعوه، آزروه ووعدوه أن يمنعوه إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وفوا له بما عاهدوا الله عليه؛ ولهذا سماهم الله ورسوله: الأنصار وصار ذلك علما عليهم -رضي الله عنهم-.

لما بلّغ عيسى ابن مريم -عليه السلام- رسالة ربه إلى قومه، وآزره البعض من قومه اهتدت طائفة من بني إسرائيل إلى الحق، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به، وجحدوا نبوته، ورموه وأمه بالعظائم، وهم اليهود -عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة- وغلت فيه طائفة ممن اتبعه، حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة، فمن قائل منهم: إنه ابن الله. وقائل: إنه ثالث ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس. ومن قائل: إنه الله.

---

(1) سماهر عمر الأسطل، رسالة ماجستير، ص46.

(2) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص362.

بعد ذلك نصر الله تعالى الذين آمنوا على من عاداهم من فــرق النــصارى فأصبحوا ظاهرين عليهم، وذلك ببعثة محمد -صلى الله عليه وسلم-.

اتسمت دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- القبائل الوافدة إلــى مكــة فــي المواسم بالصبر على الأذى، وبداية الفتوحات وانتشار للدعوة الإســلامية، فقــد تعرض فيها -صلى الله عليه وسلم- لأذى شديد، ومعانــاة كبيــرة، والكثيــر مــن المواقف الأليمة، فكان أبو جهل وأبو لهب يلاحقانه ويتناوبان على تكذيبه والسخرية منه وإيذائه عندما يدعو هذه القبائل، إضافة إلى مــا يلحقــه مــن إعــراض وأذى المدعوين أنفسهم، الذي لم يقتصر على الإيذاء النفسي فحسب، بل واجه النبي-صلى الله عليه وسلم- منهم ما هو أشد وأقسى.

3.3 الطلاق قبل الدخول، وتحريم الانشغال بالأزواج والأولاد عن العبادة:

1.3.3 الطلاق قبل الدخول:

أمر الله المؤمنين أن يراعوا شعور الآخرين خاصة من وقع عليهم الــضرر النفسي، وتقديــم بعض المال تطيباً لخاطرهم، فقد حكم بأن لا عدة للمرأة المطلقــة قبل الدخول، وأوجب لها نصف المهر تعويضاً لما يلحــق بهــا مــن أذى نفــسي وتطيــباً لخاطرها، فالمطلقة قبل الدخول إن كان قد فرض لها مهر، فلــها نــصف ذلك المهر المسمى، وإن لم يذكر لها مهر فلها متاع يتبع قدرة المطلق سعةً وضيقاً، ولا عدة عليها إذ أن العدة تكون استبراء للرحم من الحمل .

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْــلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُــوهُنَّ وَسَــرِّحُوهُنَّ سَــرَاحًا جَمِيلًــا﴾ (الأحزاب:49).

والمعنى: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله إذا نكحتم المؤمنات، والنكاح فــي اللغة: من الفعل الثلاثي نَكَحَ وهو بمعنى تزوج، أو بَاضَعَ[1] وفي الاصطلاح: حــل استمتاع كل من الزوجين بالأخر على وجه مخصوص[2]، ثم طلقتموهن، والطــلاق

([1]) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص 244.

([2]) العمراني، البيان في مذهب الإمام الشافعي، ج9، ص 105.

من حيث اللغة: من الفعل الثلاثي طَلَقَ ويعني: إزالة القيد أو الترك[1]، وفي الاصطلاح: هو إزالة ملك النكاح[2]، قبل الدخول بهن فلا عدة لكم عليهن، والعدة: هي تربص المرأة عند زوال النكاح[3]، فقدموا لهن ما يمتعهن من المال لقاء ما لحق بها من ضرر واتركوهن من غير أن تلحقوا بهن ضرر.

ومناسبة الآية لما قبلها، أنه سبحانه وتعالى لما ذكر مكارم الأخلاق وأدب نبيه -صلى الله عليه وسلم- فإنه أمر عباده المؤمنين بما أمر به نبيه، فقال للنبي في حق الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، (الأحزاب:1) وقال للنبي في حق أزواجه، ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾، ثم قال للمؤمنين في حق الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾(الأحزاب:41)، وقال للمؤمنين في حق أزواجهم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ). [4]

خاطب الله تعالى عباده المؤمنين في أمر الزوجة، إذا طلقت قبل البناء بها، وبين أنه لا عدة عليها، وسمى العقد نكاحاً؛ لأنه سببه، وهذا من أدب القرآن وجماله أن يكني فكنى بالمماسة والقربان والإتيان عن حقيقة الوطء. [5]

ومن اللطائف في هذا النداء ما ذكره الإمام الرازي رحمه الله، أنه تعالى خص المطلقات قبل الدخول بالذكر فيه إشارة إلى أعلى درجات المكرمات، أنه إذا كان هذا الحال مع من لا مودة بينك وبينها من الإحسان إليها فالتي حصلت بينك

([1]) ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص 137.

([2]) الموصلي، عبدالله بن محمود بن مودود الموصلي، الاختيار لتعليل المختار، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1426هـ، تحقيق عبد اللطيف محمد عبد الرحمن، ج3، ص136.

([3]) المصدر السابق، ص 10، ص 57.

([4]) الرازي، التفسير الكبير، ج25، ص 215.

([5]) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج15، ص 376. وأنظر القرطبي، الجامع لأحكام القران، ج14، ص185-186. وانظر تفسير الشعراوي، ج19، ص12082 ، 12083 ، 12084.

وبينها مودة بسبب العشرة وإنجاب الولد أولى وقال: المؤمنات حرصاً، لأن المؤمنة أولى بالزواج وهي اشد تحصنا ًلدين المسلم. (1)

فمتعوهن، أي بجزء من المهر متاعا لها عما لحق بها من ضرر وطلقـــوهن بإحسان من غير أن تأخذوا شيئاً مما أتيتموهن فان سمي المهر بين الطـــرفين فلهـــا نصفه وإن لم يسمى فلها نصف مهر المثل .

هناك في المجتمع نظرة قاسية ودونية للمطلقة كأنها ارتكبت ذنباً أو خطيئة، فهي في نظر المجتمع غالباً أنها غير صالحة للزواج، أو غير صـــالحة مطلقـــاً، وأنهـــا مصدر للمتاعب وفقدت دورها في الحياة، ونظرة كره وأنانية من بنات جنسها خوفاً على أزواجهن منها، فكل من يستصغر المطلقة أو يحتقرها فهو مخطئ وامرؤ فيـــه جاهلية.

أما نظرة الإسلام للمطلقات فهي نظرة منصفة، فلهن ما لغيرهن من الحقوق والواجبات، وقد وضع الإسلام التدابير الواقية من حدوث الطلاق، وجعلـــه أبغـــض الحلال إلى الله، كما حرم التلاعب بالطلاق، وأوصى بالنساء خيراً، وأباح الطـــلاق إذا تعذر الوفاق.

إن المطلقة امرأة لها كامل حقوقها الشرعية تحت ظل تعاليم الإسلام الـــسمحة ولا يجوز لأحد من الناس أن يبخسها شيئاً من حقوقها.

وللمطلقة أيضاً: حق المتعة، وهو: مال زائد على النفقة يدفعه الـــزوج لمـــن طلقها قبل الدخول بها، جبراً لخاطرها، وهو من محاسن الدين الإسلامي، قـــال الله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْـــسِنِينَ﴾ (البقـــرة: 236).

وهذا الحق المالي للمطلقة قد غفل عنه كثير من الناس اليوم، وقل في الزمن الحاضر من يؤدي متعة النساء؛ لأن غالب النساء تنشد السلامة والتسريح بإحـــسان قطعاً للنزاع والخصومة، بطبيعة الحال لا أعترض على وجود طلاق؛ فقد جعله الله

---

(1) الرازي، التفسير الكبير، ج 25، ص 215

سبحانه رحمة إذا تعذر استمرار حياة الزوجين معا، ولكن الاعتراض ينصب على كثرة الطلاق وتعدده بشكل لافت، الاعتراض ينصب على من لا يرحم ويمارس هتك ستر المطلقين والمطلقات، الذين هم في واقع الأمر يعانون كثيراً من فشل التجربة التي كان يراد لها النجاح، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

2.3.3 تحريم التلهي بالأولاد والأزواج عن العبادة، وفيه نداءان:

هذا النداء يشير إلى حقيقة عميقة في الحياة البشرية، وهي حب الأزواج والأولاد فالأزواج والأولاد قد يكونون ملهاة عن ذكر الله، كما أنهم قد يكونون دافعا للتقصير في تبعات الإيمان اتقاء للمتاعب التي تحيط بهم، لو قام المؤمن بواجبه فلقي ما يلقاه الداعية أو المجاهد في سبيل الله، والعابد أو الداعية والمجاهد في سبيل الله يتعرض للتضحية بالكثير، كما يتعرض هو وأهله للعنت، وقد يحتمل العنت في نفسه ولا يحتمله في زوجه وولده، فيقصر ليوفر لهم الأمن والقرار أو المتاع والمال، فيكونون عدوا له، لأنهم صدوه عن الخير.

النداء الأول: قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(التغابن:14). مخبراً عن الأزواج والأولاد: إن منهم من هو عدو الزوج والوالد، بمعنى: أنه يتلهى به عن العمل الصالح، كقوله في الآية السابقة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ الله﴾، ولهذا قال هنا: (فاحذروهم)، يعني على دينكم. (1)

هذا وإن التجاوز عن الذنوب بعدم العقاب عليها مما أراده الله تعالى؛ لأنه لا فائدة من ذلك، وتعرضوا عن المعاتبة عليها بالكلام وتستروها ستراً تاماً، فإن الله سيغفر ذنوبكم أيها المؤمنون جزاء غفرانكم لمن هم تحت أيديكم من أهلكم؛ لأنه هو الغفور الرحيم. (2)

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4 ، ص 376.

(2) البقاعي، نظم الدرر، ج28، ص 130.

وروى الترمذي عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية فقال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلما أتوا النبي -صلى الله عليه وسلم- رأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوهم؛ فأنزل الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم الآية. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. (1)

فأيقظت هذه الآية المؤمنين لئلا يغرهم أهل قرابتهم فيما توهم من جانب غرورهم فيكون ضرهم أشد عليهم، وفي هذا الإيقاظ مصلحة للدين وللمسلمين، ولذلك قال فاحذروهم ولم يأمر بأن يضروهم، وأعقبه بقوله: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رحيم﴾، جمعا بين الحذر وبين المسالمة وذلك من الحزم . (2)

النداء الثاني: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم:6).

المعنى: جنبوا أنفسكم وأهليكم، بترك المعاصي وفعل الطاعات، نوعاً من النار لا يتقد إلا بالناس والحجارة، كما يتقد غيرها من النيران بالحطب، ويلي أمرها ويتكفل بتعذيب أهلها الزبانية التسعة عشر وأعوانهم؛ لأن في أجرامهم غلظة وشدّة، أي: جفاء وقوّة ، لا تأخذهم رأفة في تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام من أعدائه، وقد خاطب الله المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فاتقوا النار التي وَقُودُهَا الناس والحجارة﴾(البقرة: 24)، وقال: ﴿أُعِدَّتْ للكافرين﴾(البقرة: 24)، فجعلها معدّة للكافرين، ويجوز أن يأمرهم بالتوقي من الارتداد، والندم على الدخول في الإسلام، وأن يكون خطاباً للذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون؛ ويعضد ذلك قوله تعالى على أثره ﴿يا أيها الذين كَفَرُواْ لاَ تَعْتَذِرُواْ

(1) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب سورة التغابن، ص865، حديث رقم 3317.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 29، ص 283.

اليوم إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(التحريم: 7) أي: يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا، لأنه لا عذر لكم ،أو لأنه لا ينفعكم الاعتذار. (1)

إنه وجوب وقاية المؤمن نفسه من النار، ووقاية أهله من زوجة وولد وقريب من النار، إنها لا تكون أبدا بغير الإيمان والعمل الصالح وباجتناب الشرك والمعاصي، والشرك هو: عبادة غير الله تعالى مع الله تعالى، فالدعاء عبادة تعبد الله بها المؤمنين فمن دعا غير الله قد أشرك، والنذر عبادة فمن نذر لغير الله تعالى فقد أشرك في عبادة الله تعالى، والذبح تقرباً عباده فمن ذبح لغير الله تقرباً إليه فقد أشرك في عبادة الله تعالى. (2)

لما كان الإنسان راعياً لأهل بيته مسئولاً عن رعيته قال تعالى: (وأهليكم) من النساء والأولاد وكل من يدخل في هذا الاسم قال قوهم النار بالنصح والتأديب ليكونوا متخلقين بأخلاق الإسلام ولما كانت الأشياء لا تعظم في نفسها وعند المخبر بها إلا بإخباره بما تشتمل عليه من الأوصاف قال: (وقودها) أي الذي توقد به النار (الناس والحجارة) أي ألين الأشياء وأصلبها، فما بين ذلك هو لها وقود بطريق الأولى. (3)

ولما وصفها بغاية الأدب في الائتمار أتبعه وصف القُوَام فقال معبراً بأداة الاستعلاء دلالة على تمكنهم من التصرف فيها: (عليها ملائكة) أي يكون أمرها على سبيل الاستعلاء فلا تعصيهم شيئاً لتأديب الله لها (غلاظ) أي في الأبدان والقلوب فظاظة على أهلها لاستحقاقهم لذلك بعصيانهم الملك الأعلى. (4)

ولما كان الغلظ قد يكون مع الرخاوة قال: (شداد) أي في كل شيء يحاولونه بالقول والفعل حتى أن الواحد منهم يلقي بالدفعة الواحدة في النار من الكفار سبعين ألفاً.

---

(1) الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 568.

(2) الجزائري، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ص245.

(3) البقاعي، نظم الدرر، ج 28، ص 197.

(4) انظر البقاعي، نظم الدرر، ج 28، ص197.

ولما كان المعنى أنهم يوقعون غلظتهم وشـــدتهم بأهــل المعاصـــي علـــى مقـــادير استحقاقهم. بين ذلك بما يخلع القلوب لكونه بأمر الله تعالى فقال: (لا يعـــصون الله) أي الملك الأعلى في وقت من الأوقات (ما أمرهم) أي أوقع الأمر لهم به في زمـــن ما. ويفعلون ما يؤمرون به من الله جل جلاله. [1]

([1]) البقاعي، نظم الدرر، ج 28، ص 198.

الفصل الرابع
في التعاطي مع المال الحلال والحرام

1.4 الأمر بالنفقة، وفيه ثلاثة مطالب:

1.1.4 النفقة الواجبة:

يأمر اللهُ تعالى عبادَه المؤمنين بالإنفاق ممَّا رزَقهم في وجوه الخير، قبل أنْ يأتي يوم القيامة، ذلك اليوم الذي لا تكون فيه تِجارةٌ، ولا يكون فيه صديقٌ حميم يَنصُر، وليس لهم من شافع يَشفَع لهم عند الله فتُفيدُهم شفاعتُه، إلَّا أنْ يشاء الله.

النداء الأول: قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة:254).

النفقة من الفعل الثلاثي نَفَقَ، والنفقة: ما أُنفق، وأنفق المال إذا صرفه، أي أنفقوا في سبيل الله وأطعموا وتصدقوا، واستنفقه: أذهبه[1]، والخُلة: الصداقة[2]، والشفاعة : كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره. وشفع إليه في معنى : طلب إليه[3]، يقول الجرجاني[4] الشفاعة: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقعت الجناية في حقه لا بيع أي لا فدية وهي: البدل الذي يتخلص به المكلف عن مكروه توجه إليه[5]، يقول الله تعالى: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم﴾، أي إن كنتم ملكتم هذا المال فهذا ملك مجازي؛ لأن المالك الحقيقي هو الله تعالى، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الحديد:7)، فالمال مال الله أمرك أن تنفقه على عباده فأنت مستعمل فيه لا غير، فقدم منه ما تدخره لنفسك عنده ولا تبخل به فإنك مفارقه، أراد به الزكاة الواجبة وصدقة التطوع والإنفاق في وجوه الخير، قبل أن يأتي اليوم الذي لا تستطيع

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص 327.

(2) ابن منظور، المرجع نفسه، ج8، ص 102.

(3) ابن منظور، المرجع نفسه، ج5، ص 144.

(4) الجرجاني، التعريفات، ص 109.

(5) الجرجاني، المرجع نفسه، 139ص.

فيه الإنفاق؛ لأنه لا بيع فيه: أي لا فدية وإنما سماه بيعاً؛ لأن الفداء شراء النفس من الهلاك، والمعنى قدموا لأنفسكم اليوم من أموالكم من قبل أن يأتي يوم لا تجارة فيه فيكسب الإنسان ما يفتدي به من العذاب، ولا مودة ولا صداقة وظاهر هذا يقتضي نفي الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة، بين المؤمنين فيكون هذا عاماً مخصوصاً[1]، نجد في بعض المواضع من القرآن أن الله فرق بين النفقة الواجبة والتطوع وهذه لطيفة، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُوم لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج:24- 25)، والحق المعلوم هو الزكاة، وقال:﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾(الذريات:19). فهذا مقام إحسان لأن الآية التي قبلها: ﴿آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾(الذاريات:16)، ومقام الإحسان ليس فيه حق معلوم لأن المتصدق يخرج من ماله على حسب قوة إيمانه.

قال الألوسي -رحمه الله- قال الحسن البصري: (أراد به الفرض كالزكاة دون النفل؛ لأن الأمر حقيقة في الوجوب، ولاقتران الوعيد به، وقيل: يدخل فيه الفرض والنفل وهو المروي عن ابن جريج، وجعل الأمر لمطلق الطلب وليس فيما بعد سوى الأخبار بأهوال يوم القيامة وشدائدها ترغيبًا في الإنفاق وليس فيه وعيد على تركه ليتعين الوجوب). [2]

إن الله سبحانه يرشدنا أن ننفق من رزقه الذي رزقنا إياه على بعضنا البعض، من قبل أن يأتي اليوم الآخر الذي لا بيع فيه؛ أي لا مجال فيه لاستبدال أثمان بسلع أو العكس، فأنت لا تملك ثمنا تشتري به، ولا يملك غيرك سلعة في الآخرة، وأيضا لا يكون في هذا اليوم صداقة ولا مودة ولا إيثار لأحد، فالكل يقول نفسي نفسي، والعلاقة التي تقوم بين اثنين فيصير كل منهما مرتبطاً بالآخر بالمحبة تنتهي؛ لأن كُلاًّ منكما منفصل عن الآخر، وإن ربطت بينهم العاطفة، وفي الآخرة سيكون كل إنسان مشغولا بأمر نفسه[3]، ومن المنافذ التي يستند عليها الإنسان هي الخلة والفدية والشفاعة، إذن فهذا الباب قد سد، ولكن الشفاعة مأذون فيها إن كانت

(1) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص 244.

(2) الألوسي، روح المعني، ج3، ص4، 5.

(3) انظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج2، ص1085.

ممن أذن له الله أن يشفع فهي في يد الله، كما جاء في الآية التي بعدها وهـــي آيـــة الكرسي قوله تعالى: {مَن ذَا الذي يَشْفَعُ عِندَهُ إلاّ بِإِذْنِهِ}(البقرة :255)، ومعنى شفيع مأخوة من: الشفع والوتر. الوتر واحد والشفع اثنان، فكأن الـــشفيع يـــضم صـــوته لصوتي لنقضي هذه الحاجة عند فلان، فيتشفع الإنسان بإنسان له جاه عند المـــشفوع عنده حتى ينفذ له ما يطلب، ولكن هذه الوسائل في الآخرة غير موجودة. فـــأنتم إذا أنفقتم اتقيتم ذلك اليوم، فانتهزوا الفرصة من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة. [1]

وهذه هي أبواب النجاة المظنونة عند البشر التي تُغلق في هذا اليوم العظـــيم. وكأن الحق سبحانه وتعالى يقول: خلقي هم الذين ظلموا أنفسهم ووضعوا أنفسهم في هذا الموقف، فأنا لم أظلمهم. لذلك يذيل الحق الآية بقوله: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

ومن اللطائف في هذا النداء ما نقله القرطبي رحمه الله قال: قال عطاء بـــن دينار[2]: والحمد لله الذي قال: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ولم يقل والظـــالمون هـــم الكافرون[3]، أي أن كل كافر هو ظلم لنفسه إذ أوقها في سخط الله وعذابه وأبعـــدها من رحمته وليس كل من وقع في شيء من الظلم في حياته، وقع في كفر بالله .

تشكّل الزكاة أهم دعائم الإسلام الاقتصادية الكبرى، كما أنّها تُكَوِّن موردًا من موارد المالية الّتي لا تنضب على مَرِّ السنين، ووسيلة من وسائله الناجحة لتحقيـــق التّضامن الاجتماعي بين أفراده، ورحمة من رحماته تعالى إلى عباده المؤمنين.

2.1.4 الأمر بالنفقة من الطيبات، وفيه ثلاث نداءات :

دعا الله تعالى كل المؤمنين أن ينفقوا من مـــالهم الحـــلال، ومـــن خيـــرات الأرض بانتقاء أجودها دون رديئها، وبين أن النفقة تعود علبكم بالخير والبركة، وأن الله غني عنكم ويثني على المنفق.

---

(1) انظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج2، ص1085.

(2) هو عطاء بن دينار الهذلي (ت126هـ) بمصر، من رجال الحديث، ولـــه كتـــاب فـــي التفسير، يرويه سعيد بن جبير، (انظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص235).

(3) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص245.

النداء الأول: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(البقرة 267).

قال الْبَرَاءِ بن عازب: "نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي الأَنْصَارِ، كَانَتْ تُخْرِجُ إِذَا كَانَ جُذَاذُ النَّخْلِ مِنْ حِيطَانِهَا أَقْنَاءً مِنَ التَّمْرِ وَالْبُسْرِ، فَيُعَلِّقُونَهَا عَلَى حَبْلٍ بَيْنَ أُسْطُوَانَتَيْنِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْكُلُ مِنْهُ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَعْمَدُ فَيُخْرِجُ قِنْوَ الْحَشْفِ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ جَائِزٌ عَنْهُ فِي كَثْرَةِ مَا يُوضَعُ مِنَ الأَقْنَاءِ، فَنَزَلَ فِيمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ: ﴿وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: 267) يَعْنِي: الْقِنْوَ الَّذِي فِيهِ حَشْفٌ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيْكُمْ مَا قَبِلْتُمُوهُ[1]، والمقصود بالطيّبات أحسن الأموال، فيطلق الطيِّب على الأحسن في نوعه والكَسب ما يناله الإنسان بتعب يده، كالتجارة والزراعة والصناعة والصيد، وما يأخذه من الوظيفة من راتب شهري، وغير ذلك من الكسب الحلال، ويطلق الطيّب على المال المكتسب بوجه حلال لا يخالطه ظلم ولا غشّ[2]، وهو عند الله كقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيّب ولا يقبل الله إلاّ طيّباً تلقّاها الرحمن بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل). [3]

{وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاّ أَنْ تغمضوا فيه}، يعني وطيبات ما أخرجنا لكم من الأرض، وحذف لدلالة ما قبله عليه، وهي النباتات والمعادن، ولا تقصدوا المال الرديء لتقديمه صدقة؛ لأن الصدقة يقصد بها وجه الله فلا تتوجهوا لله بغير الطيب من المال فهو غني عن العالمين وهو الرزاق لكم، وفي الآية الأمر بإنفاق الطيب والنهي عن إنفاق الخبيث، والظاهر من الآية أنها تعم صدقة الفرض والتطوع إذ لا دليل على التخصيص،

([1]) الواحدي، أسباب النزول، ص64.

([2]) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص57.

([3]) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب، حديث رقم 1410.

وتقديم الظرف في قوله: منه تنفقون يفيد التخصيص أي لا تخصوا الخبيث بالإنفاق.[1]

النداء الثاني: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (المائدة:87).

ذكر الواحدي[2] في سبب نزول هذه الآية: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جلس يوماً فذّكر الناس ووصفَ القيامة فرقّ الناس وبكوا واجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم علي وأبو بكر وعبد الله بن مسعود وأبو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة وعبد الله بن عمر والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن ـ رضي الله عنهم ـ واتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الأرض وهم بعضهم أن يجب مذاكيره فبلغ ذلك رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلّم- فأتى دار عثمان فلم يصادفه فقال لامرأته أم حكيم بنت أبي أمية واسمها حولاء وكانت عطارة أحق ما بلغني عن زوجك وأصحابه فكرهت أن تكذب رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلّم- وكرهت أن تبدي على زوجها فقالت يا رسول الله إن كان أخبرك عثمان فقد صدقك فانصرف رسول الله فلما دخل عثمان أخبرته بذلك فأتى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلّم- هو وأصحابه فقال لهم رسول الله أ لم أنبئكم أنكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلّم-، وما أردنا إلا الخير فقال رسول الله إني لم أومر بذلك ثم قال إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء ومن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم وقال ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا أما إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فإنه ليس في ديني ترك اللحم ولا النساء ولا اتخاذ الصوامع وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وحجوا

([1]) الشوكاني، فتح القدير، ص186. وانظر: الألوسي، روح المعاني، ج3، ص39.

([2]) الواحدي ، أسباب نزول القرآن، ص 139.

واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع فأنزل الله الآية. (1)

يا أيّها الّذين صدقوا اللّه ورسوله، وأقرّوا بما جاءهم به نبيّهم صلّى اللّه عليه وسلّم أنّه حقٌّ من عند اللّه لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ اللّه لكم، يعني بالطّيّبات: اللّذيذات الّتي تشتهيها النّفوس وتميل إليها القلوب، فتمنعوها إيّاها، كالّذي فعله القسّيسون والرّهبان، فحرّموا على أنفسهم النّساء والمطاعم الطّيّبة والمشارب اللّذيذة، وحبس في الصّوامع بعضهم أنفسهم، وساح في الأرض بعضهم.

المعنى لماذا تحرموا ما احل الله لكم من المطاعم والمشارب، فإنها نعم أنعم الله بها عليكم، فاحمدوه إذ أحلها لكم، واشكروه ولا تردوا نعمته بكفرها أو عدم قبولها، أو اعتقاد تحريمها، فتجمعون بذلك بين القول على الله الكذب، وكفر النعمة، واعتقاد الحلال الطيب حراما خبيثا، فإن هذا من الاعتداء.

والله قد نهى عن الاعتداء فقال: ﴿وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (المائدة:87) بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم على ذلك.

وهذا المال الذي تقدمونه للصدقة، لو كان لمنفعتكم لا تأخذونه لو وجدتموه في السوق يباع، لهوانه عليكم وقلة اهتمامكم به وعدم منفعته لكم، ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه يقول: أنتم لا تأخذونه إلا بثمن بخس(2) فكيف تعطونه في الصدقة أي لستم بآخذيه إلا على إغماض، وتجد المعنى: إن أغمضتم بعد الإغماض أخذتموه، لأنكم لا تقبلونه حال الإبصار له، واستعير الإغماض هنا ليفيد المسامحة والمساهلة(3)، وغمضت عن فلان إذا تساهلت عليه في بيع أو شراء، ومنه أتاني ذاك على اغتماض أي عفوا بلا تكلف ولا مشقة. (4)

---

(1) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب التفسير، حديث رقم 3054.

(2) الوكس: اتضاع الثمن في البيع، (انظر ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص20).

(3) الألوسي، روح المعاني، ج3، 39.

(4) انظر ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص86.

وخلاصة القول في هذا النداء أنه لا يجوز التقرب إلى الله إلا في أحسن ما اكتُسب ومن أطيب الخارج من الأرض من الثمر والمعادن ولا يجوز قصد الرديء من المال للتقرب إليه تعالى مع إنكم لا تأخذونه في حقوقكم إلا بعد أن تتساهلوا في أخذه وتتسامحوا فيه حتى يهضم لكم من ثمنه شيئاً فأنتم زاهدين فيه أصلاً فهو يدل على عدم التعظيم والاحترام، وأما نوع ما ينفق فهو بعض ما يجنيه المرء بعمله، أو مهنته، أو وظيفته، وبعض ما يخرج من الأرض من غلات مثل: الحبوب وثمر الشجر والمعادن والركاز[1]، وقد أسند الله -تعالى- ما يخرج من الأرض إليه مع أن للإنسان فيه كسبا؛ لأن الأصل فيه فضل الله -تعالى- لا مجرد حرث الإنسان وبذره، أو ما لهم فيه إلا عمل قليل لا يكاد يذكر، وإن تقديم الكسب على ما يخرج الله من الأرض يدل على تفضيله .

ومن أراد الجنة أو أراد سلعة الله فعلية أن ينفق من المال أجوده لقوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾(آل عمران:92).

النداء الثالث: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(البقرة: 172)

آمراً الله تعالى عباده المؤمنين بالأكل من طيبات ما رزقهم، وأن يشكروه على ذلك، إن كانوا عبيده، والأكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة، كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾(المؤمنون:51)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ثم

([1]) والركاز هو: ما كان دفن في الأرض قبل الإسلام، (انظر ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص215).

ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك).[1]

وقد دلت الآية هذه على أن من لم يشكر الله لم يعبده وحده، وأن من شكره شكرًا عمليًّا بتنفيذ جميع أوامره والغضب لحُرماته، فقد عبده.

وكذلك في هذه الآية دليل على أن أكل الطيبات سبب لحصول الأعمال الصالحات وقَبولها، وأن أكل الخبائث وشربها سببٌ للحرمان من ذلك، كما يدل الأمر بالشكر على النعم أن الشكر يحفظ النعم الموجودة، ويجلب المفقودة، وأن عدم الشكر يبعد النعم المفقودة، ويُزيل النعم الموجودة؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(إبراهيم: 7).

فالمؤمن مأمور بالاستمتاع بالطيبات تديُّنًا، ومنهي عن الامتناع عنها تكبُّرًا أو تديُّنًا، أو طاعة لشياطين الإنس والطواغيت الذين يفرضون نفوذهم على الناس.

3.1.4 النهي عن المن والأذى في الصدقة:

حث الله -تبارك وتعالى- عباده على إتمام العمل الصالح وإتقانه، وحذرهم من إبطاله وإفساده؛ بأي مفسد من المفسدات؛ كالمن والأذى في الصدقة، ومراءاة الناس بالعمل والإعجاب به؛ يقول رب العزة والجلال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(البقرة:264).

المن في اللغة: يقول ابن منظور: (والمن هاهنا: أن تمن بما أعطيت وتعتد به كأنك إنما تقصد به الاعتداد، والأذى: أن توبخ المعطى، فأعلم الله أن المن والأذى يبطلان الصدقة. وقوله -عز وجل-: ولا تمنن تستكثر، أي لا تعط شيئا مقدرا لتأخذ بدله ما هو أكثر منه).[2]

([1]) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة، حديث رقم 2989.

([2]) ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص135.

في هذه الآية الكريمة يوجه الله تبارك وتعالى الخطاب إلى عبـاده المـؤمنين؛ فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وتصدير الخطاب بالنداء يدل على الاهتمـام بـه؛ لأن النداء يحصل به تنبيه المخاطب؛ فيدل على العناية بموضوع الخطاب؛ ولهذا قال ابن مسعود: "إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأرعها سمعك: فإنه خير تـؤمر به؛ أو شر تنهى عنه"(1)، وصدق -رضي الله عنه-.

كما أن في توجيه النداء للمؤمنين بوصف الإيمان فوائد عدة: الفائدة الأولـى: الحث على قبول ما يلقى إليهم، وامتثاله؛ وجه ذلك: أنه إذا علق الحكم بوصف كان ذلك الوصف علة للتأثر به؛ كأنه يقول: يا أيها الذين آمنوا لإيمانكم افعلوا كذا، وكذا؛ أو لا تفعلوا كذا. الفائدة الثانية: أن ما ذكر يكون من مكملات الإيمان ومقتـضياته. الفائدة الثالثة: أن مخالفة ما ذكر نقص في الإيمان. (2)

فقد نهى الله عباده في هذه الآية عن إبطال صدقاتهم وإفـسادها بـالمنّ والأذى، فقال تعالى: ﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾ أي أجور صدقاتكم بِالْمَنِّ على السائل، وقال ابـن عباس -رضي الله عنهما- بالمن على الله تعالى وَالْأَذَى لصاحبها والإبطال للشيء يكون بعد وجوده؛ فالبطلان لا يكون غالباً إلا فيما تم(3)، والصدقات جمع صـدقة: وهي ما يبذله الإنسان تقرباً إلى الله. (4)

ثم ضرب الله لذلك مثلا فقال: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ﴾ أي كإبطال الـذي ينفـق ماله: ﴿رِئَاءَ النَّاسِ﴾ أي مراءاة وسمعة ليروا نفقته ويقولوا إنه كـريم سـخي ﴿وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخرِ﴾ أي أنتم وإن قصدتم بذلك وجه الله في ابتداء الأمـر، فـإن المنة والأذى مبطلان لأعمالكم، فتصير أعمالكم بمنزلة الذي يعمل لمراءاة الناس ولا يريد به الله والدار الآخرة، فهذا لا شك أن عمله من أصله مردود، لأن شرط العمل أن يكون لله وحده وهذا في الحقيقة عمل للناس لا لله، فأعماله باطلة وسـعيه غيـر

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص148.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 148.

(3) انظر الرازي، التفسير الكبيـر، ج7، ص49، وانظـر الألوسـي، روح المعـاني، ج3، ص35.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص 365.

مشكور[1]، فمثله المطابق لحاله ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ وهو الحجر الأملس الشديد[2]﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ أي مطر غزير[3]﴿فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾ أي ليس عليه شيء من التراب، فكذلك حال هذا المرائي، قلبه غليظ قاس بمنزلة الصفوان، وصدقته ونحوها من أعماله بمنزلة التراب الذي على الصفوان، إذا رآه الجاهل بحاله ظن أنه أرض زكية قابلة للنبات، فإذا انكشفت حقيقة حاله زال ذلك التراب وتبين أن عمله بمنزلة السراب، وأن قلبه غير صالح لنبات الزرع، بل الرياء الذي فيه والإرادات الخبيثة تمنع من انتفاعه بشيء من عمله، فلهذا ﴿لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ من أعمالهم التي اكتسبوها، لأنهم وضعوها في غير موضعها وجعلوها لمخلوق مثلهم، لا يملك لهم ضرا ولا نفعا وانصرفوا عن عبادة من تنفعهم عبادته، فصرف الله قلوبهم عن الهداية، فلهذا قال: ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أي لا يهدي سبحانه الكافرين هداية توفيق؛ أما هداية الدلالة فإنه سبحانه لم يَدَع أمة إلا بعث فيها نبياً؛ لكن الكافر لا يوفقه الله لقبول الحق؛ و(الْكَافِرِينَ) أي الذين حقت عليهم كلمة الله؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ*وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾.[4](يونس: 96 ،97).

نخلُص من هذه الآية بما ملخصه:

1-تحريم المن والأذى في الصدقة، وأن ذلك يبطل ثوابها؛ لقوله تعالى: ﴿لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى﴾.

2-في هذه الآية دليل على أن الحسنة قد تحبط بالسيئة مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾(الحجرات: 2).

([1]) انظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج2، ص1154.

([2]) انظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص1260.

([3]) انظر الفيروز آبادي، المرجع نفسه، ص1104.

([4]) انظر ابن الخطيب، أوضح التفاسير، ص 57.

3-بلاغة القرآن، حيث جاء النهي عن المنّ، والأذى بالصدقة بهذه الصيغة التي توجب النفور؛ وهي: ﴿لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى﴾ فإنها أشد وقعاً من "لا تَمُنّوا، ولا تؤذوا بالصدقة".

4-أن المنّ والأذى بالصدقة مناف لكمال الإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى﴾ كأنه يقول: "إن مقتضى إيمانكم ألا تفعلوا ذلك؛ وإذا فعلتموه صار منافياً لهذا الوصف، ومنافياً لكماله".

5-تشبيه المعقول بالمحسوس ليقربه إلى الذهن؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾.

6-تحريم مراءاة الناس بالعمل الصالح؛ لقوله تعالى: ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ﴾ والتسميع كالمراءاة؛ والفرق بينهما أن المراءاة فيما يُرى -كالأفعال- والتسميع بما يقال.

7-أن من راءى الناس بإنفاقه ففي إيمانه بالله وباليوم الآخر نقص؛ لقوله تعالى: ﴿وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾؛ لأن الذي يرائي لو كان مؤمناً بالله حق الإيمان لجعل عمله لله خالصاً لله؛ ولو كان يؤمن باليوم الآخر حق الإيمان لم يجعل عمل الآخرة للدنيا؛ لأن مراءاة الناس قد يكسب بها الإنسان جاهاً في الدنيا فقط؛ مع أنه لا بد أن يتبين أمره؛ وإذا تبين أنه مراءٍ نزلت قيمته في أعين الناس.

4.1.4 تحريم قتل الصيد على المحرم:

كان الصيد أحد معايش العرب، وشائعاً عند الجميع، وكان كثير من الناس يعتمدون عليه في طعامهم، فابتلاهم الله فيه مع الإحرام ، كما ابتلى بني إسرائيل في ألا يعتدوا في السبت، فقال تعالى: ﴿يَـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بشيء مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيم﴾ وقال: ﴿يَـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ منكُم مُّتَعَمِّداً فجزاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْل مِّنكُمْ هَدْيَاً بَـلِغَ الْكَعْبَة أَوْ كَفَّـرَةٌ طَعَامُ مَسَـكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللهُ مِنْهُ وَاللهُ عَزِيزٌ ذَو انتِقَام﴾(المائدة: 94 ، 95).

يقول ابن منظور[1]: (لا يقال للشيء صيد حتى يكون ممتنعاً حلالاً لا مالك له)، أي غير أليف، وليس محرّم، وغير مملوك لأحد، أراد الله اختبار المؤمنين ببعض الصيد، فـ (من الصيد)، من للتبعيض، وهو صيد البر خاصة؛ ولم يعم الصيد كله؛ لأن للبحر صيدا[2]، وأراد بالصيد المصيد لقوله: تناله أيديكم بيان لحكم صغار الصيد ورماحكم لكباره.[3]

فالأيدي تنال الفراخ والبيض وما لا يستطيع أن يفر، والرماح تنال كبار الصيد، فكل شيء يناله الإنسان بيده أو برمحه أو بشيء من سلاحه فهو صيد، وقد خص الله تعالى الأيدي بالذكر؛ لأنها أكثر ما يعتمد عليها في الاصطياد وتدخل فيها بقية الجوارح وطرق الصيد، وما عمل باليد من فخاخ وشباك وخص الرماح بالذكر؛ لأنها ما يجرح به الصيد، وفيها يدخل السهم وغير من الأسلحة المستخدمة في الصيد.[4]

أن المراد من التحريم هو اختبار مدى خشية المؤمن لربه، وإظهار لمدى خوفه من الله عز وجل، ومراقبته له، وهذا يعد إعداداً للمؤمن وتهيئة له لأن يطيع ربه في أوامره ونواهيه، تلك الطاعة التي تتوقف عليها سعادته في الدارين، فإن استطاع المؤمن أن يعرض له الصيد، وهو محرم عروضا مغريا، بحيث تناله يده ورمحه فيعرض عنه ولا يلتفت إليه خشية لربه واتقاء لغضب مولاه، فإنه يستطيع بعد هذا أن يعرض عما هو أكبر، كزينة الدنيا وزخارف الحياة.

إن تحريم الصيد على المحرم يعتبر مدرسة لتنمية الخشية في قلب المؤمن، ولتخريج العزائم القوية، هذا ومن المعروف أن الصيد فيه شيء من اللهو، وأن الاشتغال به كثيرا ما يؤدي إلى الغفلة، وأن اللهو والغفلة كلاهما لا يتفق مع ما تلبس به الحاج من عبادة الحج التي هي من أعظم العبادات وأجلها.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب ، ج8، ص 135.

(2) انظر الطبري، جامع البيان ،ج7، ص 48، 49.

(3) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ،ج6، ص227.

(4) انظر القرطبي، المرجع نفسه، ج6، 228.

يقول ابن عاشور -رحمه الله- وقوله: ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي عقاب شديد في الآخرة بما اجترأ على الحرم أو على الإحرام أو كليهما، وبما خالف إنذار الله تعالى، وهذه إذا اعتدى ولم يتدارك اعتداءه بالتوبة أو الكفارة، فالتوبة معلومة من أصول الإسلام، والكفارة هي جزاء الصيد؛ لأن الظاهر أن الجزاء تكفير عن هذا الاعتداء).

في الآية الثانية: قال تعالى: ﴿يَـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ منكُم مُّتَعَمِّداً فجزاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيَاً بَـلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـرَةٌ طَعَامُ مَسَـكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللهُ مِنْهُ وَاللهُ عَزِيزٌ ذَو﴾(المائدة: 95).

الظاهر في الخطاب أنه عام للمسلمين ذكوراً وإناثاً أحراراً وعبيداً، والقتل المقصود في الآية هنا هو: إزهاق الروح، فقد حرم الله على المحرم قتل الصيد، فلفظ الصيد هنا عام حتى جاء قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًـا﴾ (المائدة:96)، فبهذا أباح صيد البحر، ولا جناح على من قتل المؤذي من الدواب لورود ذلك في صحيح السنة فقد جاء عنه عليه أفضل الصلاة وأتم السلام أنه قال: خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور. [1]

فمن قتل صيداً وهو محرم متعمداً غير مخطئ ولا ناسياً فعليه كفارة مثلما قتل من النعم ومثاله: إن في النعامة بدنه[2]، وفي حمار الوحش بقرة، وفي الظبي شاة، وفي الحمام كله قيمته من الطعام إلا حمام مكة ففي الحمامة منه شاة ويحكم بهذا الجزاء اثنان من المسلمين عدول، وأقل الهدي شاة يوزع على فقراء الحرم فإن لم يبلغ ذلك الحد يخير الذي عليه الكفارة بين أن يطعم مسكين، أو يصوم يوم عن الطعام. [3]

([1]) البخاري، صحيح البخاري، ص280، حديث رقم 1829 .

([2]) البدنه: الناقة والبقرة والبعير الذكر مما يجوز في الهدي والأضاحي، ولا تقع على الشاة، سميت بدنه لعظمها وسمنها، وجمعها:البدن.(انظر ابن منظور،لسان العرب،ج2، ص41).

([3]) انظر القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص 230، 231، 232.

يقول الشوكاني[1]: قوله تعالى: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ لإيجــاب الجــزاء؛ أي: أوجبنا ذلك عليه ليذوق وبال أمره، والذوق مستعار لإدراك المــشقة، ومثلــه: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾(الدخان: 49)، والوبال: سوء العاقبة، والمرعى الوبيل: الذي يتأذى به بعد أكله، وطعام وبيل: إذا كان ثقيلاً. [2]

عفا الله عما سلف يعني في جاهليتكم من قتلكم للصيد، وقيل عما سلف قبــل نزول الكفارة ومن عاد إلى ما نهيتم عنه من قتل الصيد بعد هذا البيان فينتقم الله منه والمعنى: إن الله ينتقم منه في الآخرة فيعذبه بذنبه، وينتقم منه بالكفارة. [3]

فالنهي ينصب هنا على قتل المحرم للصيد عمداً، فأما إذا قتله خطأ فلا إثم عليه ولا كفارة، وفي الكفــارة معــنى العقوبة، لأن الذنب هنا مخل بحرمة يــشدد فيهــا الإسلام تشديداً كبيراً، لذلك يعقب عليها بالعفو عمــا سلف والتهديد بانتقام الله ممــن لا يكف، فإذا اعتز قاتل الصيد بقوته وقدرته على نيل هذا الصيد، الذي أراد الله له الأمان، فالله هو القوي القادر على الانتقام.

إن تعظيم المسلم لحرمات الله ينبع من إيمانه العميق بالله وخوفه من عقابه إن عصاه واقترف ما نهاه عنه، وينبع من تقوى الله عز وجل، ومن يعظم حرمــات الله فإنه يبشره بأنه على الخير، قال تعالى ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: 32)، ولذلك على المربين أن يغرسوا في نفوس الأبناء تعظيم حرمــات الله لينالوا الأجر العظيم ويعيشوا في رضوان رب العالمين. [4]

وجاء في الآية التي بعدها ليؤكد استثناء صيد البحر من التحريم فــي قولــه تعالى: ﴿أُحلَّ لكم صيدَ البحرِ﴾ الخطاب لكل مسلم أو للمحرمين خاصة، وصيد البحر ما يصاد فيه، والمراد بالبحر هنا كل ماء يوجد فيه صيد بحري وإن كان نهــراً أو غديراً، أي أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر، وأحل لكم المأكول منه وهو السمك في حال الإجرام.

([1]) الشوكاني، فتح القدير، ص396.

([2]) ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص145.

([3]) الشوكاني، فتح القدير، ص 396.

([4]) سماهر عمر الأسطل، رسالة ماجستير، ص 79.

2.4 النهي عن التعامل بالمال الحرام، والأمر بتوثيق الدين، وفية ثلاثة مطالب:

1.2.4 تحريم الربا وفيه نداءان:

للربا أضرار اجتماعية وخلقية ومالية على الفرد والمجتمع، وقد كان الربا منتشراً بين الناس في الجاهلية وكانوا يعدون التعامل به كالتعامل بالبيع ونظراً لخطورة الربا وعظيم ضرره ونشره للكراهية بين الناس وذلك لأن المرابي يستغل حاجاتهم لمجرد امتلاكه المال ويضمن فيه المرابي من غير جهد أو عمل أو تعريض ماله للمخاطرة كما أنه يؤدي إلى حصر المال في أيدي فئة قليلة من الناس مما يحدث اختلالاً في التوازن الاقتصادي في المجتمع.

النداء الأول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة:278)، الربا في اللغة: ربا: ربا الشيء، يربو ربوا ورباء: زاد ونما. وأربيته: نميته[1]، وشرعاً: زيادة يأخذها المقرض من المستقرض مقابل الأجل.[2]

نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب ورجلٍ من بني المغيرة، كانا شريكين في الجاهلية، يُسلِفان في الرِّبا إلى أناس من ثقيف من بني عمرو ، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا، فأنزل الله " ذروا ما بقي من فضل كان في الجاهلية من الربا. [3] اعلم أن الله قد هيأنا قبل هذا النداء في الآيات التي سبقته في تصوير الربا بأبشع صورة لأهمية هذا الموضوع وعلاقته بحياة الناس الاقتصادية والاجتماعية فقال سبحانه في سورة البقرة : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(275) يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ(276) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ(277) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(278) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ

([1]) انظر ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص62.

([2]) الصابوني، تفسير آيات الأحكام، ج1، ص271.

([3]) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص68، وانظر الصابوني، تفسير آيات الأحكام، ص273.

وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ(279) وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(280) وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ(281)﴾.

فالربا محرم بالقرآن والسنة والإجماع، أما القرآن فقد تقدمت الأدلة على ذلك، وأما السنة فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات).

إنه سبحانه وتعالى لما بين في الآية المتقدمة أن من انتهى عن الربا فله ما سلف، فقد كان يجوز أن يظن أنه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة الغرماء فلذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ ليبين لهم أن ما لم يقبض من الدين فالزيادة التي فيه محرمة، فضلاً عما يريدون مضاعفته قبل التحريم وأنه ليس لهم أن يأخذوا إلا رءوس أموالهم، وإنما شدد الله عليهم في وعيده، لأن المنتظر حلول دينه مدة طويلة يظن أن الزيادة الربوية أصبحت حقاً له عند الحلول الذي طال انتظاره، فيحتاج في منعه عنها وردعه إلى تشديد عظيم في الوعيد، فلهذا ذكرهم الله بالتقوى التي هي اتقاء ما نهى الله عنه واتقاء العذاب الأليم في نيران الجحيم بالتزام الأوامر واجتناب النواهي الإلهية، فبدأ سبحانه بتذكير عباده بالتقوى، ثم أمرهم بترك الباقي من الربا الذي لم يقبضوه بعد أن عفا عنهم ما قبضوه قبل التحريم ليتحقق عندهم أن قبضه محرم، سواء كان بعضه أو جميعه. [1]

فيا له من تعميم إلهي كريم يحصل بتحقيقه طهارة خلق الفرد وغرس المودة بين الجماعة، إذ ما يأكل الربا من له خلق وضمير وما يشيع الربا في الجماعة إلا وتنعدم بينهم المودة ويشيع التنافر وتسود الكراهية، لأن الذي يعطيك ديناراً ليأخذ منك بدله دينارين تعتبره عدواً لك يمتص دمك، فلا يصفو قلبك له أبداً، أما الذي

([1]) انظر الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 322، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص94.

يقرضك القرض الحسن، ويمهلك لتستفيد منه فإن قلبك يحبه وينجذب إليه وتعتبره صاحب معروف، تحرص على مكافأته ومساعدته ومقابلته بالإحسان، وتتمنى أن تسنح فرصة تخدمه بها، هذه طبيعة البشر.

وقد صور الله سبحانه شناعة الربا وسوء حال أهله تصويراً فظيعاً مرعباً مفزعاً، حيث قال في الآيات السابقة: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ وهذا تصوير يحمل التهديد المعنوي المرهف للحس صورة المصر وع الذي به مس من الشيطان. [1]

وأن التخبط عام في الدنيا والآخرة، وأنه في دنياه يتخبط تخبط المجنون بالوساوس التي تساور نفسه في كل لحظة من الحرص على المال والهواجس الربوية التي تخل بحركاته مما هو مألوف عند المرابين يعرفه المتوسمون، ولكي يستجيش الله مشاعر المرابين لم يكتف بهذا التصوير، بل أعقبه بوعيد شديد لم يتوعد به أحداً من العصاة غيرهم وهو الحرب، إذ يقول سبحانه: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾. [2]

ومن اللطائف في هذا النداء ما ذكره الرازي[3] -رحمه الله-:(فإن قيل: كيف قال: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا) ثم قال في آخره (إن كنتم مؤمنين)؟

الجواب: من وجوه:

الأول: أن هذا مثل ما يقال: إن كنت أخا فأكرمني، معناه: إن من كان أخاً أكرم أخاه.

والثاني: قيل: معناه إن كنتم مؤمنين قبله.

الثالث: إن كنتم تريدون استدامة الحكم لكم بالإيمان.

الرابع: يا أيها الذين آمنوا بلسانهم ذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين بقلوبكم.

([1]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص321.

([2]) قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص 324.

([3]) الرازي، التفسير الكبير، ج 6، ص90.

النداء الثاني: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(آل عمران:130).

أكل الربا وهو استغلال للإنسانية وامتصاص لجهودها وأكل لأموالها بالباطل دون أن يبذل المرابون أي جهد في تلك الأموال المستباحة، وفي التعامل بالربا محاربة لله ورسوله في الدنيا وهو من موجبات النار، وكيف لا يكون كذلك والمرابون أشد الناس قسوة وأبعد الناس عن الرحمة بالبشر حيث ينتهزون فرصة إعسار المعسرين وشدة فقرهم وحاجتهم إلى المال فيعطي المائة بمائة وعشرة مثلاً إلى أجل ، فإذا حل الأجل ولم يقم المدين بأداء دينه ربما زاد في الربا وضاعفه عليه أضعافاً، فيلحق بالناس وباقتصادهم من الأضرار والدمار ما لا يعلمه إلا الله.

والمعنى: لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة في إسلامكم بعد إذ هداكم الله، كما كنتم تأكلونه في جاهليتكم. وكان أكلهم ذلك في جاهليتهم أن الرجل منهم يكون له على الرجل مال إلى أجل، فإذا حلّ الأجل طلبه من صاحبه، فيقول له الذي عليه المال: أخّر دينك عنى وأزيدك على مالك، فيفعلان ذلك، فذلك هو الربا أضعافا مضاعفة، فنهاهم الله عز وجل في إسلامهم عنه .

وقال الرازي[1]: كان الرجل في الجاهلية إذا كان له على إنسان مائة درهم إلى أجل، فإذا جاء الأجل ولم يكن المديون واجداً لذلك المال قال الدائن زد في المال حتى أزيد في الأجل، فربما جعله مائتين، ثم إذا حل الأجل الثاني فعل مثل ذلك ثم إلى آجال كثيرة، فيأخذ بسبب تلك المائة أضعافها، فهذا هو المراد من قوله تعالى: أَضْعافاً مُضاعَفَةً، وربا الجاهلية هو ما يسمى في عصرنا بالربا الفاحش وهو ربح مركب، وهذه الزيادة الفاحشة كانت بعد حلول الأجل، ولا شيء منها في العقد الأول، كان يعطيه المائة بمائة وعشرة أو أكثر أو أقل، وكأنهم كانوا يكتفون في العقد الأول بالقليل من الربح، فإذا حل الأجل ولم يقض الدين وهو في قبضتهم اضطروه إلى قبول التضعيف في مقابلة الإنساء، وهذا هو الربا النسيئة، قال ابن عباس: إن نص القرآن الحكيم ينصرف إلى ربا النسيئة الذي كان معروفا عندهم[2]،

([1]) الرازي، التفسير الكبير، ج9، ص3.

([2]) رضا، تفسير المنار، ج4، ص101.

إن الربا الذي كان معروفا في الجاهلية والذي نزلت هذه الآيات وغيرها لإبطاله ابتداء كانت له صورتان رئيسيتان: ربا النسيئة. وربا الفضل، فأما ربا النسيئة: فهو ربا أهل الجاهلية يبيع الرجل البيع إلى أجل مسمى، فإذا حل الأجل، ولم يكن عند صاحبه قضاء زاده وأخر عنه(1)، وقال مجاهد: كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين، فيقول: لك كذا وكذا وتؤخر عني فيؤخر عنه، وهذا معنى قوله تعالى: أضعافاً مضاعفة. (2)

وقال الإمام الرازي(3) في تفسيره: (إن ربا النسيئة هو الذي كان مشهورا في الجاهلية؛ لأن الواحد منهم كان يدفع ماله لغيره إلى أجل، على أن يأخذ منه كل شهر قدراً معيناً، ورأس المال باق بحاله. فإذا حل طالبه برأس ماله. فإن تعذر عليه الأداء زاده في الحق والأجل).

وقد ورد في حديث أسامة بن زيد -رضي الله عنهما -أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: لا ربا إلا في النسيئة(4)، أما ربا الفضل فهو: أن يبيع الرجل الشيء بالشيء من نوعه مع زيادة. كبيع الذهب بالذهب. والدراهم بالدراهم. والقمح بالقمح. والشعير بالشعير.. وهكذا. (5)

يقول لصابوني(6): المراد بالأكل هنا مطلق التصرف وعبر عنه بالأكل؛ لأنه الغرض الأساسي من المال، ...ويقال لمن أخذ مال غيره من غير حق أكله وهضمه، يقول الطبري(7): في قوله: ﴿لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة﴾، قال: كان أبي يقول: إنما كان الربا في الجاهلية في التضعيف وفي السن، يكون للرجل فضل دين،

---

(1) رضا، تفسير المنار، المرجع نفسه ص103.

(2) الطبري، تفسير الطبري، ج7 ، ص204.

(3) الرازي، التفسير الكبير، ج6 ، ص76.

(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب بيع الدينار بالدينار نسأ، حديث رقم 2179.

(5) انظر الصابوني، تفسير آيات الأحكام، ج1، ص 278.

(6) انظر الصابوني، تفسير آيات الأحكام، نفس الصفحة.

(7) الطبري، تفسير الطبري، ج7، ص 205.

فيأتيه إذا حل الأجل فيقول له: تقضيني أو تزيدني؟ فإن كان عنده شيء يقضيه قضى، وإلا حوله إلى السن التي فوق ذلك إن كانت ابنة مخاض يجعلها ابنة لبون في السنة الثانية، ثم حقة، ثم جذعة، ثم رباعياً، ثم هكذا إلى فوق وفي العين يأتيه، فإن لم يكن عنده أضعفه في العام القابل، فإن لم يكن عنده أضعفه أيضاً، فتكون مائة فيجعلها إلى قابل مائتين، فإن لم يكن عنده جعلها أربعمائة، يضعفها له كل سنة أو يقضيه.

وقال أبو بكر الجصاص[1]: (إنه معلوم أن ربا الجاهلية إنما كان قرضا مؤجلا بزيادة مشروطة. فكانت الزيادة بدلا من الأجل. فأبطله الله تعالى).

عندما نعلم ما هي المضار التي يحدثها النظام الربوي فسوف نتساءل عن الحلول الاقتصادية، والناظر إلى تعاطي الإسلام مع المال يجد نظاماً اقتصادياً دقيقاً رحيماً كشركة المضاربة و المرابحة و البيع و الشراء المبنية على الرحمة بين الناس، بينما تجد أن النظام الربوي يزيد الفقير فقراً ويزيد الغني غنى على حساب إفقار الآخرين، ويبني الكراهية والحقد بين الناس وما تراه اليوم من تصدع في البناء الاجتماعي وتردي في الأخلاق إنما هو نتيجة لهذا النظام البغيض الذي دبره اليهود بليل، ولهذا كان لابد من إيجاد مؤسسات اقتصادية يقيمها الغيارى على الدين والأخلاق والأعراض، تقوم على النظام الإسلامي الذي يجعل المرابحة بين الناس تقوية لشوكة المسلمين ورفعاً لشأن دينهم وإعزازاً لمجتمعاتهم بدلاً من أن يصبح المجتمع تبعاً ذليلاً لليهود وأعوانهم الذين يلهثون وراء جمع المال وتوظيفه في تقويض دعائم الإسلام.

2.2.4 الأمر بتوثيق الدين:

امتازت الشريعة الإسلامية بشموليتها، فهي تعالج شؤون الحياة الإنسانية كلها، ولا تترك ناحية من النواحي إلا بحثتها ووجهت الناس إليها، ومن النواحي التي اهتمت الشريعة الإسلامية بها، وعالجتها بطريقة عملية التوثيق، فقد دعت الشريعة الإسلامية إلى توثيق الدين.

---

(1) الجصاص، أحكام القرآن للجصاص، ج2، ص 325.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:282).

الدّين من حيث اللغة: يقول الفيروز ابآدي: ما له أجل، وما لا أجل له فقرض...، وأدنته أعطيته لأجل، واستدان أخذ ديناً، ورجل مديان كثير الدين، وكل ما ليس حاضراً يقال له دين ومنه الموت[1]، ينادي -سبحانه وتعالى- المؤمنين، فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ﴾، أي: إذا داين بعضكم بعضًا في شراء أو بيع أو قرض.

وحقيقة الدين عبارة عن كل معاملة كان أحد العوضين فيها نقدا والآخر في الذمة نسيئة، فإن العين عند العرب ما كان حاضراً، والدين ما كان غائباً. [2]

﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: والأجل مدة من الزمان محدودة النهاية، محددة بالأيام أو الشهور أو الأعوام. ﴿فَاكْتُبُوه﴾: أي وثقوه بالكتابة والإشهاد. [3]

﴿بِالْعَدْلِ﴾:أ ي ليكن فيكم كاتب للديون عادل في كتابته يساوي بين المتعاملين لا يميل إلى أحدهما فيجعل له من الحق ما ليس له ولا يميل عن الآخر فيبخسه من حقه شيئا بلا زيادة أو نقصان، ولا غش أو احتيال، بل بالحق والإنصاف. [4]

---

(1) الفيروز ابآدي، القاموس المحيط، ص 1246.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص343.

(3) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص 99.

(4) انظر ابن عاشور، المرجع نفسه، ج3، ص98.

﴿وَلَا يَأْبَ﴾؛ أي: لا يمتنع الذي يحسن الكتابة أن يكتب. [1]

﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾؛ لأن إملاءه اعترافٌ منه وإقرار بالذي عليه من الحق.[2]

﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾: لا ينقص من الدَّين الذي عليه ولو قل، وليذكره كله. [3]

﴿سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا﴾: السفيه: الذي لا يُحسِن التصرفات المالية، والضعيف: العاجز عن الإملاء؛ كالأخرس أو الشيخ الهرم. [4]

﴿وَلِيُّهُ﴾: مَن يلي شؤونه لعجزه وقصوره. [5]

﴿مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾؛ أي: المسلمين الأحرار، دون الكفار والعبيد. [6]

﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾: تنسى أو تُخطئ لقصر إدراكها ؛لأن النسيان غالب على طبع النساء لكثرة الرطوبة في امزجتهن. [7]

﴿ وَلَا تَسْأَمُوا ﴾: لا تضجروا أو تملوا من الكتابة، ولو كان الدَّين صغيرًا مبلغه. [8]

﴿أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أعدل في حكم الله وشرعه. [9]

﴿ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ ﴾: أثبت لها وأكثر تقريرًا؛ لأن الكتابة لا تُنسى، والشهادة تنسى، أو يموت الشاهد أو يغيب. [10]

﴿وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا ﴾: أقرب أن تشكُّوا، بخلاف الشهادة بدون كتابة. [11]

([1]) انظر: رضا، تفسير المنار، ج3، ص 100.

([2]) انظر: رضا، المرجع نفسه، ج3، ص 101.

([3]) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 513.

([4]) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص513.

([5]) الزمخشري، المرجع نفسه، ج3، ص 513.

([6]) الألوسي، روح المعاني، ج3، ص58.

([7]) الألوسي، روح المعاني ، ونفس الصفحة.

(8) الألوسي، المرجع نفسه، ص61.

(9) أبو السعود، تفسير أبي السعود، ج1، ص 271.

(10) أبو السعود، تفسير أبي السعود، ونفس الصفحة.

(11) أبو السعود، تفسير أبي السعود، ونفس الصفحة.

﴿ تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾؛ أي: تتعاطونها، البائع يعطي البضاعة والمشتري يعطي النقود، فلا حاجة إلى كتابتها ولا حرج أو إثم يترتب عليها. [1]
بها وهو ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

ولا يضار الكاتب فيأبى أن يكتب ولا الشهيد فيأبى أن يشهد ولا يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرف ما أملي عليه ولا الشهيد فيشهد بما لم يستشهد عليه، ومعناه أن يدعو الرجل الكاتب أو الشاهد وهما على شغل مهم فيقولان: نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي: إن الله أمركما أن تجيبا ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن ذلك وأمر بطلب غيرهما (وإن تفعلوا) ما نهيتكم عنه من الضرر (فإنه فسوق بكم) أي معصية وخروج عن الأمر. [2]

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، واتقوا الله؛ في مخالفة أوامره؛ ونواهيه؛ التي من جملتها نهيه عن المضارة؛ ويعلمكم الله؛ أحكامه المتضمنة لمصالحكم؛ والله بكل شيء عليم؛ فلا يكاد يخفى عليه حالكم؛ وهو مجازيكم بذلك؛ كرر لفظ الجلالة؛ في الجمل الثلاث؛ لإدخال الروعة؛ وتربية المهابة؛ وللتنبيه على استقلال كل منها بمعنى على حياله؛ فإن الأولى حث على التقوى؛ والثانية وعد بالإنعام؛ والثالثة تعظيم لشأنه (تعالى). [3]

لَمَّا حث تعالى على الصدقات، وحرَّم الربا، ودعا إلى العفو عن المعسر، والتصدق عليه بإسقاط الدَّين، الأمر الذي يتبادر إلى الذهن أن المال لا شأن له ولا قيمة في الحياة - فجاءت هذه الآية (آية الدَّين) الكريمة لتعطي للمال حقه، وترفع شأنه، فإنه قوام الحياة، فقررت واجب الحفاظ عليه، وذلك بكتابة الديون، والإشهاد عليها بمن تُرضَى عدالتهم، وكون الشاهدينِ رجلينِ مسلمين حرَّين، فإن انعدم رجلٌ من الاثنين، قامت امرأتان مقامه، واستحث الله تعالى مَن يحسن الكتابة أن يكتب إذا كان ذا سَعَة من أمره، وحرَّم على الشهود إذا ما دُعوا لأداء الشهادة أن يتخلَّوا عنها،

---

(1) البغوي، تفسير البغوي، ج1، ص351.

(2) انظر أبو السعود، تفسير أبو السعود، ج1، ص 271.

(3) انظر أبو السعود، المرجع نفسه، ص350.

وحرم على المتداينين ألا يكتبوا ديونهم ولو كانت قليلة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾.

من فوائد الآية: العناية بما ذُكر من الأحكام؛ وذلك لتصدير الحكم بالنداء، ثم توجيه النداء إلى المؤمنين؛ لأنه هذا يدل على العناية بهذه الأحكام، وأنها جديرة بالاهتمام بها، ومنها: أن التزام هذه الأحكام من مقتضى الإيمان؛ لأنه لا يوجه الخطاب بوصف إلا لمن كان هذا الوصف سبباً لقبوله ذلك الحكمَ، ومنها: أن مخالفة هذه الأحكام نقص في الإيمان كأنه قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ لإيمانكم افعلوا كذا؛ فإن لم تفعلوا فإيمانكم ناقص؛ لأن كل من يدَّعي الإيمان، ثم يخالف ما يقتضيه هذا الإيمان فإن دعواه ناقصة إما نقصاً كلياً، أو نقصاً جزئياً، ومنها: بيان أن الدين الإسلامي كما يعتني بالعبادات -التي هي معاملة الخالق- فإنه يعتني بالمعاملات الدائرة بين المخلوقين، ومنها: دحر أولئك الذين يقولون: إن الإسلام ما هو إلا أعمال خاصة بعبادة الله عز وجل، وبالأحوال الشخصية، كالمواريث، وما أشبهها؛ وأما المعاملات فيجب أن تكون خاضعة للعصر، والحال؛ وعلى هذا فينسلخون من أحكام الإسلام فيما يتعلق بالبيوع، والإجارات وغيرها، إلى الأحكام الوضعية المبنية على الظلم، والجهل.

أولى الإسلام الثقة بين المتعاملين أعظم اهتمام، باعتبارها روح المعاملة وقلبها النابض، فحث على الأمانة والصدق، وشنع على الخيانة والكذب، وشرع بعض العقود والتصرفات التي تضفي على المعاملات مزيداً من الأمانة، فشرع الرهن والكفالة والحوالة، كما شرع كتابة الدين والشهادة عليه، وأنزل الله تعالى في ذلك آية المداينة، وهي أطول آية في القرآن الكريم، ووضعها في سورة البقرة التي هي أطول سورة في القرآن الكريم؛ لبيان أهمية الإئتمان في معاملات الناس، وذلك لحبس النفس الظالمة، وضبط الذاكرة الضعيفة، وحفظ المال من الضياع. وشرع الإسلام لذلك: العقود، وأدلة الإثبات، واعتبار عقود التوثيقات، وهي العقود التبعية التي تضمن للدائن استيفاء حقه بسبب مدين منكر، أو معسر، كالكفالة والرهن ونحوها -عقوداً شرعية- ومع كونها عقوداً تبعية، إلا أنها تشترك مع سائر العقود

المعتبرة في الشرعية والتأصيل والطبيعة، وغير ذلك مما يضفي عليها الأهمية والقوة.

3.2.4 النهي عن أكل المال بالباطل، وفيه نداءان:

النداء الأول: أكل أموال الناس بالباطل من صفات اليهود وذكر الله تعالى أنّ أكل الحرام وأموال الناس بالباطل من صفات اليهود الغضوب عليهم فقال تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾(المائدة: 42)، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(المائدة: 62)، وقال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيراً﴾(النساء: 161).

لذلك نهى الله عباده المؤمنين عن أكل المال بغير وجه حق ليتحقق للمسلم الطهارتين المادية والمعنوية فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء:29)، الباطل ضد الحق وهو ذهاب الشيء وقلة مكثه ولبثه، يقال: بطل الشيء يبطل بطلاً وبطولاً. وسمي الشيطان الباطل؛ لأنه لا حقيقة لأفعاله، وكل شيء منه فلا مرجوع له ولا معول عليه.[1]

يقول محمد المحمدي صالح: (وهو اسم لكل ما لا يحل مثل كالربا والرشوة والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة وجحد الحق.[2]

فأكل المال بالباطل يدخل تحته أكل مال الغير بالباطل وأكل مال النفس بالباطل؛ لأن قوله: (أَمْوَالَكُمْ) يدخل فيه القسمان معاً، أما أكل ما النفس بالباطل فهو إنفاقه في معصية الله[3]، وأما أكل مال الغير فقد تقدم في بداية هذه الفقرة، ويؤيد هذا حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص 259.

(2) صالح، أبي عبدالله محمد المحمدي صالح، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، تحقيق أحمد جاد، ط2، دار الكتاب الأندلسية، جدة، 1424هـ، ج2، ص31.

(3) صالح، أبي عبدالله محمد المحمدي صالح، ونفس الصفحة .

هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟" قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: "اللَّهُمَّ اشْهَدْ". ثُمَّ قَالَ: "إِنَّكُمْ رَأَيْتُمُونِي وَسَمِعْتُمْ مِنِّي، وَسَتُسْأَلُونَ عَنِّي، أَلا فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، أَلا فَإِنِّي فَرَطُكُمْ، وَمُنْتَظِرُكُمْ إِلَى الْحَوْضِ، وَمُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَلا فَلا تُسَوِّدُوا وَجْهِي، وَيُبْعَدُ عَنِّي أَقْوَامٌ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. [1]

قال ابن كثير[2]: الاستثناء هنا منقطع، أي لا تتعاطوا الأسباب المحرمة في اكتساب الأموال، لكن بالتجارة المشروعة التي تكون عن تراضي بين البائع والمشتري، افعلوها وتسببوا بها في تحصيل الأموال.

فمن صور أكل الأموال بالباطل:

الأولى: أن يأكل أموال الناس بطريق التعدي والنهب، والسرقة وقطع الطريق، والظلم، والخداع والحيل. [3]

الثانية: أن يأكله بطريق اللهو كالقمار، والرهان كالمغالبة بعوض، والميسر بأنواعه، والمراهنات المشتملة على المخاطرة والغرر والجهالة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "القمار هو المخاطرة الدائرة بين أن يغنم باذل المال أو يغرم أو يسلم. [4]

الثالثة: ما كان من طريق الرشوة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لعنة الله على الراشي والمرتشي). [5]

الرابعة: ما يأخذه الحاكم ونحوه من المحكوم عنوة. [1]

([1]) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب رب مبلغ أوعى من سامع، حديث رقم 67.

([2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 478.

([3]) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص331، وانظر الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص120، وانظر: صالح، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ج2، ص33،32.

([4]) انظر البعلي، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن علي الحنبلي (ت 777هـ) ، مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، تحقيق عبد المجيد سليم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص529.

([5]) الترمذي ، سنن الترمذي ، كتاب الأحكام ،باب ما جاء في الراشي والمرتشي،حديث رقم 1337.

الخامس: أخذ الغني والقادر القوي المكتسب الزكاة أو الصدقة على كسب يكفيه. (2)
السادسة: ما كان من الربا أو من عقوده، والأموال التي تكون منه وتتولد عنه. (3)
السابعة: ما أخذ عن طريق الغصب. (4)

وأضيف صوراً أخرى لأكل المال بالباطل :

الأولى: ما جاء عوضًا لكتم حق وإخفائه أو لإظهار باطل وإعلانه ونحو ذلك من المحرمات، وكل ما أعان على الصد عن طاعة الله عز وجل.

الثانية: القضاء بين الناس بغير إعطاء صاحب الحق حقه المعين له في الشريعة.

الثالثة: أكل أموال اليتامى، وأموال الأوقاف، والصدقات.

الرابعة: جحد الحقوق، وما لا تقوم به بينة من الأمانات عن أربابها أو عن ورثتهم، وسائر الأموال التي إذا جحدها، حكم بجحوده فيها؛ كالودائع والعارية ونحوها.

الخامسة: الغش والاحتيال من مثل ما يقع من بعض السماسرة فيما يذهبون فيه من مذاهب التلبيس والتدليس؛ إذ يزينون للناس السلع الرديئة، ويسولون لهم فيورطونهم، وكل من باع أو اشترى مستعيناً بإيهام الآخر ما لا حقيقة له ولا صحة، بحيث لو عرف الخفايا وانقلب وهمه علمًا لما باع أو لما اشترى، فهو آكل لماله بالباطل.

وبذلك نكون قد ذكرنا جملة من الصور التي يكون فيها المسلم قد أكل أموال الناس بالباطل، وتكون هذه الآية الكريمة قد رسمت لنا طريق الحق في هذا؛ فيجب أن نسير عليه في هذا الباب قال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: 42).

النداء الثاني: تتضح النزعة المادية التي اتصف بها اليهود من حب المال وأكل أموال الناس بالباطل بعدة أوجه كما ذكر المفسرون بهذا الشأن، وهو وسيلة مهمة لإغواء الآخرين والسيطرة عليهم. فاليهود يدركون تماما أن عصب الحياة المادية هو المال، لذا استغلوه أبشع استغلال في السيطرة والنفوذ، ليس على الناس العاديين

([1]) صالح، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، مرجع سابق، ج2، ص 34.

([2]) الحصني، كفاية الأخيار في جل غاية الاختصار، ج1، ص131.

([3]) انظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج4، ص2144.

([4]) ابن الخطيب، أوضح التفاسير، ج1، ص98.

فحسب، بل على أصحاب القرار كما يحدث الآن في أمريكا والعـــالم الغربـــي. ولا يخفى على أحد أن المال اليهودي والإعلام، الذي يمتلكونه بالمال أيضاً، يلعب دورا بارزا على الانتخابات الرئاسية في دول الغرب، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يـــدل على أن هذه الدول لم تتحرر بعد وأنها لا تملك قرارها بنفسها إنما تحكمهـــا إرادات غيرها من أرباب المال وهو ما يسمى باللوبي الصهيوني، والذي أصبح يعتبر مـــن بديهيات اللعبة السياسية في العالم الغربي.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(التوبة:34).

الأحبار: جمع حبر وهم علماء اليهود، والرهبان عبّاد النصارى والعلماء هم القسسيسون[1]، كانوا يأخذون من أموال أتباعهم ضرائب وفروضا باســم الكنـــائس وغير ذلك، مما يوهمونهم أن النفقة فيه من الشرع والتزلف إلى الله تعـــالى، وهـــم خلال ذلك يحجبون تلك الأموال، وكانوا يأخذون من غلاتهم ضرائب باسم حمايـــة الدين والقيام بالشرع، وكانوا يرتشون في الأحكام، وقوله: (بالباطل) يجمع ذلـــك كله.[2]

والمعنى العام لأكل أموال الناس بالباطل هو أخذها بغير وجه شـــرعي مـــن الوجوه التي يبذل الناس فيها هذه الأموال بحق يرضاه الله عز وجل وهـــو أنـــواع: (منها) ما يبذله كثير من الناس لمن يعتقدون أنه عابد قانت لله زاهد في الدنيا؛ ليدعو لهم ويشفع لهم عند الله في قضاء حاجاتهم وشـــفاء مرضـــاهم؛ لاعتقـــادهم أن الله يستجيب دعاءه ولا يرد شفاعته، أو لظنهم أن الله تعالى أعطاه سلطاناً وتصرفاً فـــي الكون فهو يقضي الحاجات من دفع الضر عمن شاء، وجلب الخير لمن شاء متـــى شاء.

([1]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص350.

([2]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 8، ص57.

يقول رضا[1]: ومن جملة ما يأكل بالباطل عند اليهود والنصارى ما يأخــذه سدنة قبور الأنبياء والصالحين والمعابد التي بنيت بأسمائهم من الهــدايا والنــذور، والنصارى يبنون الكنائس والأديار بأسماء القديسين والقديــسات، فتحــبس عليهــا الأراضي والعقارات، وتقدم لها النذور والهدايا تقربا إلى تلك الأسماء أو المسميات، وهذا وما قبله مما اتبع المسلمون فيه سننهم شبراً بشبر وذراعاً بــذراع ، والوقــف على الدير أو الكنيسة عندهم كالوقف على المسجد عندنا قربة حقيقية، فأخذ المــال وإعطاؤه في بناء المعابد حق في أصل كل دين سماوي، وإنما البدع الوثنيــة فــي المعابد هي المتعلقة بعبادة من ينسب إليه المعبد، ويوضع له فيه قبر أو صــورة أو تمثال فيدعى فيه مع الله تارة، ومن دونه تارة، وينذر له وحده آونة، ومع الله آونة، فهذه بدع تتبرأ منها أديان الأنبياء الموحاة إليهم من الله عز وجل، والنفقة فيها كلهــا من الباطل، وآكلوها من رؤساء الدين، وسدنة المعابد من الذين يأكلون أموال الناس بالباطل.

ويضيف رضا[2]: ومنها ما هو خــاص بالنــصارى بــل بــبعض فــرقهم كالأرثوذكس والكاثوليك، وهو ما يأخذونه جعلا على مغفرة الذنوب أو ثمنــا لهــا، ويتوسلون إليها بما يسمونه سر الاعتراف، وهو أن يأتي الرجل أو المرأة القسيس أو الراهب المأذون له من الرئيس الأكبر بسماع أسرار الاعتراف، ومغفــرة الــذنوب فيخلو به أو بها؛ فيقص عليه الخاطئ ما عمل من الفواحش والمنكرات بأنواعهــا؛ لأجل أن يغفرها له؛ لأن من عقائد الكنيسة أن ما يغفره هؤلاء يغفره الله تعالى، وقد كان لبيع البابوات للغفران نظام متبع في القرون الوسطى للنصرانية، وكان الــثمن يتفاوت بقدر ثروة المشترين من الملوك والأمراء والنبلاء وكبــار الأغنيــاء فمــن دونهم، وكانوا يعطون بالمغفرة صكوكا يحملونها؛ ليلقوا الله تعالى بها، وكان هــذا الخطب الكبير من غلو الكاثوليك في استغلال سلطتهم الدينية أعظم أسباب الخروج عليهم، والانقلاب الكبير الذي يسمونه الإصلاح (البروتستانت) إذ ترتب عليه فــساد

---

(1) رضا، تفسير المنار، ج10، ص344.

(2) رضا ، تفسير المنار ،ج10، ص344.

كبير في استباحة الفواحش وكبائر المعاصي. والاعتراف في الأصل لم يوضع له ثمن، ولكن سوء استعمال بعض رجال الدين له أغراهم بجعله وسيلة لسلب المال.

عن ابن عباس -رضي الله عنه-، قوله: والذين يكنزون الذهب والفضة قال: هؤلاء الذين لا يؤدون الزكاة من أموالهم، وكل مال لا تؤدى زكاته كان على ظهر الأرض أو في بطنها فهو كنز، وكل مال أديت زكاته فليس بكنز، كان على ظهر الأرض أو في بطنها. [1]

قال البغوي[2]: وقوله تعالى: ﴿وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ﴾ ولم يقل: ولا ينفقونهما، وقد ذكر الذهب والفضة جميعاً. قيل: أراد الكنوز وأعيان الذهب والفضة. وقيل: رد الكناية إلى الفضة لأنها أعم ، كما قال تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة﴾ (البقرة: 45)، رد الكناية إلى الصلاة لأنها أعم، وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ (الجمعة : 11) رد الكناية إلى التجارة لأنها أعم ، ﴿فبشرهُم بِعَذابٍ أليم﴾ أي: أنذرهم.

3.4 الوفاء بالعقود، والتدرج في تحريم الخمر، وفيه مطلبان:

1.3.4. التدرج في تحريم الخمر:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(المائدة: 90).

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إنما الخمر: وهي كل مسكر يغطي العقل[3]، والميسر: وهو القمار[4]، وذلك يشمل المراهنات ونحوها، مما فيه عوض من الجانبين، وصدٌّ عن ذكر الله، والأنصاب: وهي الحجارة التي كان المشركون يذبحون عندها تعظيمًا لها[5]، وما ينصب للعبادة تقربًا إليه، والأزلام:

([1]) الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص570.

([2]) البغوي، تفسير البغوي، ج4، ص 43.

([3]) انظر ابن منظور، لسان العرب،ج5، ص154.

([4]) انظر ابن منظور، المرجع نفسه، ج15، ص316.

([5]) انظر ابن منظور، المرجع نفسه، ج14، ص267.

وهي القِداح التي يستقسم بها الكفار قبل الإقدام على الشيء، أو الإحجام عنه[1]، إن ذلك كله إثمٌ مِن تزيين الشيطان، فابتعدوا عن هذه الآثام، لعلكم تفــوزون بالجنـــة، ووجه اتصال هذا النداء بما قبله أنه تعالى قال فيما تقــدم: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة :87) إلى قوله: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾(المائدة: 88)، ثم لما كان من جملة الأمور المستطابة الخمر والميسر، لا جرم أنه تعالى بين أنهما غير داخلين في المحللات، بل في المحرمات. [2]

تدرج القرآن الكريم في تحريم الخمر ولم يحرمه دفعة واحدة قال القرطبي- رحمه الله-:(وإنما نزل تحريم الخمر في سنة ثلاث بعد وقعة أُحُدٍ، وتحريم الخمـــر كان بتدريج ونوازل كثيرة، فإنهم كانوا مُولَعين بشربها، وأول ما نزل فـــي شـــأنها: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّـــاسِ وَإِثْمُهُمَـــا أَكْبَـــرُ مِـــنْ نَفْعِهِمَا﴾(البقرة: 219)؛ أي: في تجارتهم، فلما نزلت هذه الآية تركها بعض النـــاس وقالوا: لا حاجة لنا فيما فيه إثم كبير، ولم يتركها بعض الناس، وقالوا: نأخذ منفعتَها ونترك إثمها، فنزلت هذه الآية: ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾(النـــساء: 43)، فتركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة، وشـــربَها بعـــض الناس في غير أوقات الصلاة حتى نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْـــرُ وَالْمَيْـــسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الـــصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾(المائدة: 90، 91). [3]

إن الله تعالى وصف هذه الأقسام الأربعة بوصفين، الأول: قولـــه: (رجـــس) والرجس في اللغة كل ما استُقذر من عمل، يقال: رجس الرجل رجـــساً: إذا عمـــل عملاً قبيحاً، وأصله من الرجس بفتح الراء، وهو شـــدة الـــصوت، يقـــال: ســـحاب

---

(1) انظر ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص53.

(2) انظر الرازي، التفسير الكبير، ج10، ص67.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص 283، والجـــصاص، أحكـــام القـــرآن، ج1، ص392.

رجاس: إذا كان شديد الصوت بالرعد، فكان الرجس هو العمل الذي يكــون قــوي الدرجة كامل الرتبة في القبح.[1]

الوصف الثاني يقول الرازي[2] قوله: ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ وهذا أيــضا مكمــل لكونه رجساً؛ لأن الشيطان نجس خبيث لأنه كافر، والكافر نجس لقوله: ﴿يَــا أَيُّهَــا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾(التوبة: 28) والخبيــث لا يدعو إلا إلى الخبيث؛ لقوله: ﴿الخبيثاتُ للخبيثين﴾(النور: 26)، وأيضا كل ما أضيف إلى الشيطان فالمراد من تلك الإضافة المبالغة في كمال قبحه. قال تعالى: ﴿فَــوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾(القصص: 15)، ثم إنــه تعــالى لمــا وصف هذه الأربعة بهذين الوصفين قال: (فاجتنبوه) أي كونوا جانباً منه.

أن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام كلها رجس مــن عمــل الــشيطان. والرجس هو الشيء الرديء الخبيث القذر، والقذارة والخبث هما من الأمور التي قد تكون حسية مثل الخمر، وقد تكون معنوية كالأنصاب والأزلام؛ وجمع الحق سبحانه في هذه الآية الأمرين معًا، ولم يقل إن الخمر هي عصير العنب أو عصير التفــاح، إنما جاء بالخمر التي تشمل كل ما يخامر العقل ويستره.[3]

ولنرى دقة الاسم الذي اختاره الله للقمار، إنه الميْسر ولم يسمه المعسر، ذلك أن أحدًا لا يقبل على الميسر وهو يظن أنه سوف يخسر، وكل من يلعبون القمار إنما يفعلون ذلك على أمل الكسب؛ لذلك جاء بالاسم الذي يعبر عن حالة اللاعب للقمــار إنه يلعب على وهم الكسب، وإن كسب فالمكسب يُغْريه بالمزيد من اللعب.[4]

الأزلام هي نوع من الميسر؛ فقد كانوا يحضرون الناقة أو الجزور ويذبحونها ويقسمونها إلى ثمانية وعشرين قسمًا ويخصصون لإنسان نصيبًا وللثــاني نــصيبين وللثالث ثلاثة أنصبة، وللرابع أربعة أنصبة وللخامس خمسة أنصبة، وللسادس ســتة أنصبة، والسابع له سبعة أنصبة. وكانوا يأتون بالقِداح السبعة ،قدح اسمه الفذ ويأخذ

(1) الرازي، التفسير الكبير، ج10، ص67.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج5، ص 3366، 3367 .

(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج5، ص 3368.

(4) الشعراوي، المرجع نفسه، ج5، ص 3369.

الفائز به نصيبًا، والقدح الثاني: التوأم ويأخذ نصيبين، والقدح الثالث اسمه الرقيب يأخذ ثلاثة، والقدح الرابع اسمه المُسْبِل ويأخذ ستة، والسابع اسمه المُعَلَّى ويأخذ سبعة أنصبة، وهناك ثلاثة قداح هي المنيح والسفيح والوَغْد، وهؤلاء الثلاثة لا يأخذون شيئاً، بل يدفعون ثمن الذبيحة، وذلك رجس من عمل الشيطان. [1]

إن الشارع الحكيم أعلمُ بطبائع الأشياء وخصائصها، ومن خصائص الخمر أنها تُؤثِّر على العقل، وقد سُمِّيت خمرًا لمخامرتِها العقل[2]، ولها سلطان عليه، ومن الصعب العسير أن يتخلَّى عنها شاربُها أو مدمنُها دفعة واحدة، فكان لا بد من التدريج لتهيئة النفوس لقَبول الحكم؛ ولهذا مر تحريم الخمر بعدة مراحل ذكرها المفسرون، لكني أختار ما ذكره القرطبي - رحمه الله تعالى - في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(المائدة: 90).

هذه السنة الإلهية في رعاية التدرج، ينبغي أن تتبع في سياسة الناس، وعندما يراد تطبيق نظام الإسلام في الحياة، واستئناف حياة إسلامية متكاملة، فإذا أردنا أن نقيم "مجتمعًا إسلاميًّا حقيقيًّا"، فلا نتوهم أن ذلك يتحقق بجرَّة قلم، أو بقرار يصدر من ملك أو رئيس، أو مجلس قيادة أو برلمان؛ إنما يتحقق ذلك بطريقة التدرج؛ أي بالإعداد والتهيئة الفكرية والنفسية، والأخلاقية والاجتماعية، وهو نفس المنهج الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم لتغيير الحياة الجاهلية إلى حياة إسلامية. [3]

إن العلاج يبدأ من داخل النفس، فلم يتكلم في بداية الأمر عن تحريم الخمر، ولم يجعلها قضية تستحق البحث في هذه المرحلة من بداية الدعوة، فكانت العناية متَّجِهة نحو تصحيح العقيدة، والدعوة إلى توحيد الله تعالى وتعظيمه، فلما صار حبُّ الله تعالى أعظمَ الأمور، صغُر أمرُ الخمر وتضاءل، فلما أمرهم بالتحريم شيئًا فشيئًا

([1]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص221.

([2]) الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، 1406هـ، ص 166.

([3]) القرضاوي، يوسف عبدا لله القرضاوي، الأحكام العامة للإسلام، ط5، مكتبة وهبة، 1420هـ، ص 167.

كانت الاستجابة للأمر، وانتهى الناس عن تعاطيها، بل صاروا يكرهونها، ويكرهون شربها وشاربها وبائعها، وصنعها وصانعها وربحها، وكل ما يتصل بها. [1]

هكذا يتأكد أن خاصية التدرج هي من أهم الخصائص في الدعوة والتشريع، فإذا أردنا أن نأخذ بأيدي الناس إلى معرفة الله -عز وجل- وتوحيده، فلا بد أن نبدأ معهم بالأدلة العقلية على إثبات التوحيد، وذلك بالنظر في آيات الله الكونية والإنسانية، ثم بالنظر في الآيات القرآنية، والتدبر في إعجاز القرآن وعظمته وحكمته، فإذا استقر الإيمان بالله -عز وجل- في القلوب، تبدأ مرحلة تالية، وهي إعداد النفوس لتقبُّل الأحكام، ثم نتبع ذلك ببيان الأحكام وإعلام الناس بها، وتبليغهم إياها خطوة خطوة، ونقبلُ منهم اليسير أولاً، ثم نتدرَّج بهم شيئًا فشيئًا إلى درجات الكمال، والأخذ بتعاليم الإسلام كلها، لا نأخذ ما يعجبنا ويوافق هوانا ونترك غير ذلك، فالإسلام كلٌّ لا يتجزأ، ولكن هي مراحل وخطوات وأولويات!

2.3.4 الوفاء بالعقود:

أكدت تعاليم الإسلام على الوفاء بالعهود والمواثيق تأكيداً شديداً، وجُعلت من ألزم صفات المؤمن الصادق أنه إذ وعدَ أوفى وإذا عاهدَ صدقَ، وبالمقابل نعتت المنافق بأنه إذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر، ولقد جعل الإسلام حفظ العهود وصيانتها شيئاً مقدساً على المسلمين، والقرآن الكريم والسنّة النبوية فيهما من الآيات والأحاديث ما يؤكد حفظ العهود والمواثيق التي تجعل منها عقداً محترماً مقدساً. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾(المائدة:1).

العقود: هي العهود[2]، وقال الزمخشري[3] العقد: هو العهد الموثق، وقال السيوطي[1]: العقود بالعهود، ما أحل الله وما حرم، وما فرض وما حد في القرآن كله، لا تغدروا، ولا تنكثوا.

([1]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص221.

([2]) الطبري، جامع البيان، ج9، ص 450.

([3]) الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 190.

فالعقود التي أمر الله بالوفاء بها: قال الحسن البصري[2]: (يعني بذلك عقود الدين وهي ما عقده المرء على نفسه؛ من بيع وشراء وإجارة وكراء ومناكحة وطلاق ومزارعة ومصالحة وتمليك وتخيير وعتق وتدبير وغير ذلك من الأمور، ما كان ذلك غير خارج عن الشريعة؛ وكذلك ما عقده على نفسه لله من الطاعات، كالحج والصيام والاعتكاف والقيام والنذر وما أشبه ذلك من طاعات ملة الإسلام).

عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر. [3]

وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾، والبهيمة اسم لكل ذي أربع في البر أو البحر، وكل حي لا يميز[4]؛ سميت بذلك لإبهامها من جهة نقص نطقها وفهمها وعدم تمييزها وعقلها والأَنْعَامِ: الإبل والبقر والغنم، سميت بذلك للين مشيها؛ قال الله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (النحل: 5) وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾(الأنعام: 142) يعني كبارا وصغارا؛ ثم بينها فقال: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾(الأنعام: 143) وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾(النحل :80).

يعني الغنم، (وَأَوْبَارِهَا) يعني الإبل (وَأَشْعَارِهَا) يعني المعز؛ فهذه ثلاثة أدلة تنبئ عن تضمن اسم الأنعام لهذه الأجناس؛ الإبل والبقر والغنم[5]، فالأنعام محللة إلا ما جاء الدليل على تحريمه، ونهى كذلك عن التعرض لصيد البر حال الإحرام وذيل بأن الله يحكم ما يريد من الأحكام حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة.

---

(1) السيوطي، الدر المنثور، ج5، ص 160.

(2) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص6، وانظر الصابوني، تفسير آيات الأحكام، ج1، ص373.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق ، حديث 34.

(4) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص 1121.

(5) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص7.

4.4 النداءات المتعلقة بعلاقة المسلمين مع غيرهم، والجهاد في سبيل الله

1.4.4 في السّلم وتحريم موالاة الكافرين وطاعتهم، ومعنى نجاسة الكافر، وفيه

1.1.4.4 السّلم، وفيه نداءان:

أولاً : قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾(البقرة:208).

السّلم في اللغة: من السلام وهو: اسم مصدر من سلَّم يسلِّم تسليماً، كالكلام والطلاق، وهو بمعنى النجاة والتخلص مما لا يُرغب فيه ، يقال: (سلم من الأمر) إذا نجا منه، وهذه المادة (السين واللام والميم) تفيد معنى التخلص من الآفات والنجاة منها، فهو بمعنى السلامة، ومن ذلك السُّلّم: وهو ما يتوصل به إلى الأماكن العالية؛ لأن الصاعد عليه أو النازل يرجى له السلامة به، ومن ذلك أيضًا: السِّلام: وهو الحجارة الصلبة؛ سميت بذلك لسلامتها من الرخاوة فتكون بذلك أبعد شيء في الأرض من الفناء والذَّهاب. [1]

ورد هذا المعنى في كتاب الله تعالى في أكثر من موضع كلها متقاربة في المعنى فمثلاً قال تعالى : ﴿وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾(النساء:90) والمعنى هنا المسالمه والاستسلام، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(الأنفال:٦١)، أي: المسالمة و المصالحة، والسلم والسلامة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة، قال: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(الشعراء:89)، أي: خالي من الدغل في الباطن، وقال تعالى: ﴿مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾(البقرة:71)، أي: لا عيب فيها، فهذا في الظاهر، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الأنفال:43) وقال: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ. وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾(الحجر:46)، أي: سلامة، نزلت هذه الآية في عبد الله بن سَلاَم وأصحابه من اليهود لما عظموا السبت وكرهوا الإبل بعد قبول الإسلام، قالوا: يا رسول الله، يوم السبت يوم نعظمه، فدعنا فلنُسبت

---

(1) انظر ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص90، وانظر ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص289.

فيه، وإن التوراة كتاب الله، فدعنا فلنقم بها بالليل، فنزلت[1]، أمر الله عباده المؤمنين به المصدقين برسوله: أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمـــل بجميـــع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك، والدخول في السلم كافة يعني: الإسلام كله، وترك ما كانوا عليه من دين قبل دخولهم في الإســـلام؛ لأن الإســـلام منهاج حياة كامل لا يقبل التجزئة. [2]

أما الحديث عن معنى خطوات الشيطان فقد سبق عرضه في ثنايا الرسالة. [3]

ثانياً : قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: 94).

قال الواحدي: عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال : لحق المسلمون رجلا في غنيمة فقتلوه وأخذوا غنيمته. [4]

وضرب في الأرض يضرب ضرباً ومضرباً: خرج فيها تاجراً أو غازياً، أو أسرع فيها، أو سار في ابتغاء الرزق، والطير الضوارب: التـــي تطلـــب الـــرزق. وضربت في الأرض أبتغي الخير من الرزق. [5]

المقصود من هذه الآية: أن من ألقى تحية الإسلام ليعبر عن إسلامه يحـــرم قتله، وأمر المجاهدين بالتثبت فيه؛ لئلا يسفكوا دما حراماً بتأويل ضعيف .

يا أيها الذين صدقوا الله وصدقوا رسوله فيما جاءهم به من عنـــد ربهـــم، إذا ضربتم في سبيل الله، إذا سرتم مسيرا لله في جهاد أعدائكم: فتأنوا في قتل من أشكل عليكم أمره فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره، ولا تعجلوا فتقتلوا من التبس علـــيكم أمره، ولا تقدموا على قتل أحد إلا على قتل من علمتمـــوه يقينـــا عـــدواً لكـــم ولله

---

(1) انظر الواحدي، أسباب النزول، ص50.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1.

(3) ص 84.

(4) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص 119، أخرجه البخاري، كتاب التفسير، بـــاب وَلَـــا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ، حديث 4591.

(5) ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص 27.

ولرسوله، ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم مظهرا لكم أنه مـــن أهـــل ملـــتكم ودعوتكم، لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا، فتقتلوه ابتغاء عرض الحياة الدنيا أي: طلبا لمتاعها الذي هو عرض زائل، وما أذن الله لكم في قتال الذين يقـــاتلونكم لتكونوا مثلهم في أطماعهم الدنيوية، بل للدفاع عن الحق وإعلاء كلمته ونشر هدايته فعند الله مغانم كثيرة، من رزقه نعمه. (1)

فعند الله مغانم كثيرة خير مما رغبتم فيه من عرض الحياة الدنيا الذي حملكم على قتل مثل هذا الذي ألقى إليكم السلام، وأظهر إليكم الإيمـــان، فتغـــافلتم عنـــه، واتهمتموه بالمصانعة؛ لتبتغوا عرض الحياة الدنيا، فما عند الله من المغانم الحـــلال خير لكم من مال هذا، فقد كنتم من قبل هذه الحال كهذا الذي يسر إيمانه ويخفيه من قومه.(2)

لأن القتال في حد ذاته ليس غاية، وإنما هو وسيلة لتحقيق مراد الله في هـــذه الحياة وهو تحقيق العبودية لله وحده، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وإقامة العدل والمساواة بين الناس في الحياة الدنيا وفق مـــنهج الله تعـــالى، ومحاربة الظلم والجهل .

2.1.4.4 تحريم موالاة الكافرين وفيه سبعة نداءات:

أولاً: قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(آل عمران: 118).

البطانة في اللغة: من البَطنُ وهو خلاف الظهر، وهو في الناس أبناء الرجل دون القبيلة، وبَطَنَ خفي نقول: أنت أبطن بهذا الأمر أي أخبر بباطنـــه. وتبطنـــت الأمر: علمت باطنه، وبطنت الوادي: دخلته، وبطنت هذا الأمر: عرفت باطنه، ومنه الباطن في صفة الله عز وجل. (3)

---

(1) رضا، المنار، ج 5، ص 284.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 386.

(3) انظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 1227.

والخبال: هو فساد الأعضاء، والإختبال هو الجنون وهو فساد العقل. (1)

يقول الشعراوي(2) -رحمه الله-: إن الحق حين يقول: يا أيها الذين آمَنُواْ فهــو سبحانه يخاطب بالتكليف المؤمنين به، وهو لا يكلف ب (افعل) و(لا تفعل) إلا مــن آمن، أما من لم يؤمن فيناديه الله ليدخل في حظيرة الإيمان، فإذا ما دخل الإنسان في حظيرة الإيمان فالحق سبحانه وتعالى يكرم هذا المؤمن بــالتكليف ب (افعــل) و(لا تفعل) وما دام العبد قد آمن بالإله القادر الحكيم الخالق، القيوم، فليسمع من الإله مــا يصلح حياته.

أما الدون فقد ورد في أكثر من موضع في القرآن الكريم كلها بمعنى القاصر عن الشيء، أو من الدنو بمعنى: القرب، ومنه وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّــهَ لا يَغْفِــرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشاءِ﴾(النساء:48)، أي: ما كان أقل من ذلك، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِــن دُونِ اللّهِ﴾(المائدة: 116)، أي: غير الله، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(الأنعام: 51)، ﴿وَمَا لَكُم مِّــن دُونِ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾(العنكبوت: 22)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾(الأنعام: 71)، وقد شاع بين الناس هذا اللفظ فنقول دونك الطعام ونقصد قريباً منك أو تناوله.

نــزلت هذه الآية في قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين ويواصــلون رجالا من اليهود لما كــان بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع، فأنــزل الله تعالى هذه الآية ينهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم. (3)

وأما المعنى: فهو نهي المؤمنين أن يتخذوا لأنفسهم بطانة من الكافرين ممــن هم دونهم في الدين، والنهي خاص بمن كانوا في عداوة المؤمنين، وهــو أنهــم لا يألونهم خبالاً وإفساداً لأمرهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا وقولــه -عــز وجــل-:

---

(1) انظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 1016.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي ، ج3، ص 1703.

(3) انظر الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص 86.

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ﴾، أي تمنوا عنتكم، أي وقوعكم في الضرر الشديد والمشقة، قوله: قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، أي قد ظهرت علامات بغضائهم لكم من كلامهم، فهي لشدتها مما يعجزهم كتمانها ويعز عليهم إخفاؤها، على أن ما تخفي صدورهم منها أكبر مما يفيض على ألسنتهم من الدلائل عليه، وهذا النوع من البغضاء والعداوة مما يلقاه القائمون بكل دعوة جديدة في الإصلاح ممن يدعونهم إليه؛ ولذلك قال: قد بينا لكم الآيات يعني بالآيات هنا: العلامات الفارقة بين من يصح أن يتخذ بطانة ومن لا يصح أن يتخذ لخيانته وسوء عاقبة مباطنته، أي إن كنتم تدركون حقائق هذه الآيات والعلامات الفارقة بين الأعداء والأولياء فاعتبروا بها ولا تتخذوا أولئك بطانة. [1]

ثانياً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾(النساء: 144).

في اللغة هو اسم علم مذكر معناه: الحجة، القدرة، التسلط، الملك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾(إبراهيم: 22): أي: من حجة. [2]

تشابه كبير في المعنى بين هذه الآية والآية التي سبقت فقد تحدثت الآية السابقة عن النهي عن اتخاذ بطانة من الكافرين، في حين نهت هذه الآية عن موالاتهم وأنه تعالى لما ذكر أن من صفات المنافقين اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، نهى عباده المؤمنين أن يتصفوا بهذه الحالة القبيحة، وأن يشابهوا المنافقين، فإن ذلك موجب لأن تجعلوا لله عليكم حجة واضحة على عقوبتكم، فإنه قد أنذرنا وحذرنا منها، وأخبرنا بما فيها من المفاسد، فسلوكها بعد هذا موجب للعقاب، وفي هذه الآية دليل على كمال عدل الله، وأن الله لا يُعَذِّب أحداً قبل قيام الحجة عليه، وفيه التحذير من المعاصي؛ فإن فاعلها يجعل لله عليه سلطاناً مبيناً. [3]

([1]) رضا، تفسير المنار، ج4، ص 68، وانظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج3، ص1710.

([2]) انظر ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص232.

([3]) انظر الرازي، التفسير الكبير، ج 11، ص 86، وانظر الزمخشري، الكشاف، ج1، ص580، وانظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص190.

ويضيف الرازي[1]: فإن حملنا الآية على النهي عن موالاة الكفار كان المعنى: أتريدون أن تجعلوا لله سلطاناً على كونكم منافقين، وإن حملنا الآية على المنـــافقين كان المعنى: أتريدون أن تجعلوا لله حجة على عقابكم بسبب موالاتكم للمنافقين.

ثالثاً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَـــاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة:51).

إن الله تعالى نهى المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله وغيرهم، وأخبر أنه من اتخذهم نصيراً وحليفاً وولياً من دون الله ورسوله والمؤمنين، فإنه منهم في التحزب علـــى الله وعلـــى رســـوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان.

ذكر الطبري[2] -رحمه الله-: أن سبب نزول هذه الآية أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن لي موالي من يهود كثير عددهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود، وأتـــولى الله ورسوله. فقال عبد الله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر، لا أبـــرأ مـــن ولايـــة موالي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن أبي: يا أبا الحبـــاب، مـــا بخلت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو إليك دونه؟ قال: قـــد قبلـــت. فأنزل الله الآية.

وأما معنى بعضهم أولياء بعض: أن بعض اليهود أنـــصار بعـــضهم علـــى المؤمنين، ويدٌ واحدة، وأن النصارى كذلك، بعضهم أنصار بعض على من خـــالف دينهم وملتهم معرفاً بذلك عباده المؤمنين: أن من كان لهم أو لبعضهم ولياً، فإنما هو وليهم على من خالف ملتهم ودينهم من المؤمنين، كما اليهود والنصارى لهم أعداء، فقال تعالى للمؤمنين: فكونوا أنتم أيضا بعضكم أولياء بعض، ولليهودي والنصراني أعداء كما هم لكم أعداء، وبعضهم لبعض أولياء، لأن من والاهم فقد أظهـــر لأهـــل الإيمان الحرب، ومنهم البراءة، وأبان قطع ولايتهم.[3]

---

(1) انظر الرازي، التفسير الكبير، ج 11، ص87.

(2) الطبري، تفسير الطبري، ج10، ص397.

(3) الطبري، تفسير الطبري، ج10، ص 398.

ومن سنة النبي ما رواه مسلم عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا قَالَتْ (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ بَدْرٍ فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذْكَرُ مِنْهُ جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَوْهُ فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ لَا قَالَ فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ قَالَتْ ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ قَالَ فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ قَالَ ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْطَلِقْ). (1)

وذيل الله الآية بأن الله لا يهدي القوم الظالمين كأنّ الذي يوالي اليهود والنصارى قد ظلم نفسه بهذه الموالاة وأخرج نفسه ممن هداهم الله إلى الحق .

رابعاً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة:57).

الاستهزاء لغة: مصدر من قولهم: استهزأ يستهزئ، وهو مأخوذ من مادة (هـ-زأ) التي تدل على السخرية، أو على السخرية واللعب. (2)

ذكر القرطبي في سبب نزول هذه الآية أن قوماً من اليهود والمشركين ضحكوا من المسلمين وقت سجودهم، فأنزل الله هذه الآية. (3)

في الآية تحذير من موالاة أهل الكتاب ليظهر تميز المسلمين، وهذه الآية تحذير من موالاة اليهود والمشركين الذين بالمدينة، ولا مدخل للنصارى فيها، إذ لم يكن في المدينة نصارى فيهزءوا بالدين. (4)

---

(1) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الاستعانة بالمشركين، حديث رقم 3388.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج6، ص52.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص223.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج6، ص 242.

والدين هو ما عليه المرء من عقائد وأعمال ناشئة عن العقيدة، فهو عنـــوان عقل المتدين ورائد آماله وباعث أعماله، فالذي يتخذ دين امرئ هزؤا فقد اتخذ ذلك المتدين هزؤا ونظرا إليه بعين الاحتقار، إذ عد أعظم شيء عنده سخرية، فمـــا دون ذلك أولى، والذي ينظر الى دينك هذه النظرة ليس جـــديرا بـــالموالاة، لأن شـــرط الموالاة التماثل في التفكير، والاستهزاء والاستخفاف احتقـــار، والمـــودة تـــستدعي تعظيمها. [1]

ومن صور الاستهزاء في هذا العصر، إن الإسلام لا يصلح للقرن العشرين، وإنما يصلح للقرون الوسطى، وإنه تأخر ورجعية، وأن فيه قـــسوة ووحـــشية فـــي عقوبات الحدود والتعزير، وأنه ظلم المرأة حقوقها حيـــث أبـــاح الطـــلاق وتعـــدد الزوجات؟ وقولهم: الحكم بالقوانين الوضعية أحسن للناس مـــن الحكـــم بالإســـلام، ويقولون في الذي يدعو إلى التوحيد هذا متطـــرف، أو يريـــد أن يفـــرق جماعـــة المسلمين، وما أشبه هذه الأقوال التي كلها سب للدين وأهلـــه واســـتهزاء بالعقيـــدة الصحيحة.

إن الاستهزاء بالدين وأهله خلق ذميم، بل إنه صفة من صفات المنافقين، وقد توعد الله المنافقين وعيداً شديداً، وأرداهم في الدرك الأسفل من النار، فقال تعـــالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾(النساء: 145). وأخبـــر أنه سيخرج ما في قلوبهم من الاستهزاء والكيد بالمسلين، فقال عـــز وجـــل: ﴿قُـــلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: 64) وقال : ﴿أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾(التوبة: 65-66).

خامساً: قال تعالى: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُـــونَ إِلَـــيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾(الممتحنة:1).

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص 241.

أراد النبي -عليه الصلاة والسلام- عقِب أن نقضت قريش عهدها في صـــلح الحديبية أن يتوجَّه إلى مكَّة فاتحاً، وقد أَسَرَّ بذلك إلى بعض أصـــحابه المُقَـــرَّبين ومنهم حاطب بن بلتعه[1]، الذي حدث أن هذا الصحابي الذي كان من الذين يـــسِرِّ لهم النبي ببعض أموره أرسل كتاباً مع امرأةٍ مشركةٍ إلى زعماء قريش يخبرهم فيه بعزم النبي على فتح بلدهم، وكان من دعائه: اللهمَّ عمِّي عنهم أخبارنا جاء الـــوحي النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وأخبره أن صاحبك حاطب بن بلتعه- قد أرسل كتاباً مع امرأة مشركة يُخْبِرُ فيها قريشاً أنك ستغزوهم، فما كان من النبـــي عليـــه الـــصلاة والسلام بعد أن أُخْبِرَ من الوحي هذا الخبر أن طلب إلى عليٍّ كرَّم الله وجهه وبعض أصحابه أن يذهبا إلى موضعٍ بين مكَّة والمدينة اسمه الروضة، وأن يأخذا كتاباً من امرأةٍ مشركةٍ ويعودا به إلى النبي عليه الصلاة والسلام، توجَّه الإمام عليٌّ كـــرَّم الله وجهه إلى موضع الرَوْضة ولقيا امرأةً تركب ناقةً، أوقفاها وأنزلاها عـــن ناقتهـــا وطلبا منها الكتاب، فأنكرت، قالا: لتلقين الكتاب أو لنفعل كذا وكذا، فلمَّا رأت أنهما جادَّان في طلب الكتاب ألقت إليهما الكتاب، حملا الكتاب وأوصلاه إلى النبي عليـــه الصلاة والسلام، فُتِحَ الكتاب فإذا به: " من حاطب بن بلتعة إلى قريش، إنَّ مُحَمَّـــداً سيغزوكم فخذوا حذركم. [2]

وقوله تلقون إليهم بالمودة : معناه تلقون إليهم أخبار النبـــي -صـــلى الله عليـــه وسلم- وسره بالمودة التي بينكم وبينهم وقد كفروا بما جاءكم من الحـــق يعنـــي: القرآن يخرجون الرسول وإياكم من مكة؛ بسبب إيمانكم بالله رباً وبـــالقرآن كتابـــاً وبمحمد -صلى الله عليه وسلم- نبياً ورسولا، وتسرون إليهم بالنصيحة، والله مخرج

---

(1) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي صحابي جليل من قبيلة لخم الكهلانية القحطانية، دخل في قريش بحلفه مع بني أسد بن عبد العزى ويقال أنه حالف الزبير بن العوام، وكان تـــاجرا في الطعام، له عبيد . وكان من الرماة الموصوفين. (انظر الذهبي، سير أعلام النـــبلاء، ج2، ص44.)

(2) انظر الواحدي ،أسباب النزول، ص267، الحديث في صحيح البخاري، كتاب التفـــسير، باب(لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء) حديث 4890، وانظر الزمخشري ، الكشاف ، ج4، ص510.

سركم إلى الرسول ليعلمه به، ومن يفعل ذلك منكم فقد أخطأ وضل عن طريق الهدى. [1]

الأسرار من الأمانات، والأسرار تتفاوت فيما بينها من حيث التغليظ في إفشائها إذ منها ما يكون ضرره عاما وعظيما كإفشاء سر إلى الكفار يكون به هزيمة المسلمين أو فوات النصر عليهم وهو ما يصطلح عليه حديثاً باسم الخيانة العظمى ومنها ما هو دون ذلك من مثل ما يكون ضرره خاصاً، إلا أن كلَّها تشترك في كونها خيانة للأمانة.

سادساً: **قال تعالى**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(التوبة:23)

أمر الله تعالى بمخالفة الكفار به، وإن كانوا آباء أو أبناء، ونهى عن موالاتهم إذا اختاروا الكفر على الإيمان، وتوعد على ذلك كما قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: 22).

كان من آمن قبل فتح مكة لم يتم إيمانه إلا بأن يهجر أقاربه الكفرة، ويقطع موالاتهم، فقالوا: يا رسول الله، إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا، وذهبت تجارتنا، وهلكت أموالنا، وخربت ديارنا، وبقينا ضائعين فنزلت، فجعل الرجل يأتيه ابنه، أو أبوه، أو أخوه، أو بعض أقاربه، فلا يلتفت إليه، ولا ينزله، ولا ينفق عليه، ثم رخص لهم بعد ذلك[2]، وعن النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن

([1]) انظر البغوي، تفسير البغوي، ج8، ص 91، وانظر أبي السعود، تفسير أبي السعود، ج8، ص235.

([2]) انظر الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 26.

يلقى في النار) [1] ولعلم المسلم قوة دينه من خلال ما يجد عنده من التصلب في ذات الله، والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء، والأبناء، والإخوان، والعشائر، والمال والمساكن، وجميع حظوظ الدنيا، ويتجرد منها لأجله.

كان المؤمنون في أول الإسلام قلة، ولا يكون للقلة قوة إلا إذا تضامت وتوالت، وجعلت الولاية لأنفسهم دون غيرهم، ولذلك كانت الهجرة واجبة حتى تتجمع قوة الحق وتتآزر وتكون لها ولاية مستقلة عن ولاية أهل الشرك ومناصرتهم، والولاية هي النصرة والسلطان وأن تكون الموالاة لدولة مسلمة.

قال ابن عاشور[2]: (فجعل الإسلام جامعة الدين هي الجامعة الحقّ للمسلمين، ما عداها من الجوامع جوامع فرعية، فجعل رابطة دينه الحق رابطة مقدسة، تصغر أمامها الروابط كلها، ودعا الناس لإتباعه ليكونوا أمة واحدة، تجمعها وحدة الاعتقاد والتفكير والعمل الصالح، وقوله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(الحجرات: 10)، أي: في الدين والحُرمة، لا في النسب، ولهذا: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب. [3]

سابعاً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾(الممتحنة : 13).

ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة كما نهى عنها في أولها فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: اليهود والنصارى وسائر الكفار، ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يئسوا من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله عز وجل، ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ

---

(1) البخاري، صحيح البخاري ، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، حديث 6941.

(2) ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ط2، الدار التونسية للنشر، 1985، ص 108.

(3) انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القران ،ج19، ص 322.

﴿الْقُبُورِ﴾ كما يئس الكفار الأحياء من أقربائهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك؛ لأنهم لا يعتقدون بعثا ولا نشوراً، فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه.

يقول ابن عاشور[1]: (بعد أن استقصت السورة إرشاد المسلمين إلى ما يجب في المعاملة مع المشركين، جاء في خاتمتها الإرشاد إلى المعاملة مع قوم ليسوا دون المشركين في وجوب الحذر منهم وهم اليهود، فالمراد بهم غير المشركين إذ شبه يأسهم من الآخرة بيأس الكفار، فتعين أن هؤلاء غير المشركين لئلا يكون من تشبيه الشيء بنفسه).

وقد وصفهم الله بأنهم قوم غضب الله عليهم، وهذه صفة تكرر في القرآن إلحاقها باليهود كما جاء في سورة الفاتحة أنهم المغضوب عليهم .

وتشبيه إعراضهم هذا بيأس الكفار من أصحاب القبور وجهه شدة الإعراض وعدم التفكر في الأمر، شبه إعراضهم عن العمل لنفع الآخرة بيأس الكفار من حياة الموتى والبعث وفيه تشنيع المشبه، والكفار: المشركون.

وذكر الواحدي[2] في أسباب النزول: أنها نزلت في ناس من فقراء المسلمين يعملون عند اليهود ويواصلونهم ليصيبوا بذلك من ثمارهم، وربما أخبروا اليهود بأحوال المسلمين عن غفلة وقلة حذر فنبههم الله إلى أن لا يتولوهم.

3.1.4.4 النهي عن طاعة الكافرين، وفيه نداءان:

أولاً : قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾(آل عمران:149).

أما الطاعة فقد تقدم الحديث عنها من حيث اللغة والاصطلاح في ثنايا الرسالة.[3]

والرد: صرف الشيء بذاته، أو بحالة من أحواله، يقال: رددته فارتد[1]، ورد لفظ الرد أكثر من موضع في القرآن الكريم منها قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص 170.

([2]) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص 270.

([3]) ص 22.

ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾(الأنعام: 147)، ومن الـرد قولـه تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(الأنعام: 28)، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ (الإسراء:6).

ومعنى على أعقابكم أي: يرجعونكم إلى أول أمركم وهو الشرك بالله، فتنقلبوا خاسرين فتصيروا خائبين من الدنيا والآخرة في المغفرة والجنة. [2]

لقد انتهز الكفار والمنافقون واليهود في المدينة ما أصاب المسلمين من الهزيمة والقتل والقرح يوم أحد ليثبطوا عزائمهم ويخوفوهم عاقبة السير مع محمد ويصوروا لهم مخاوف القتال وعواقب الاشتباك مع مشركي قريش وحلفائهم وجو الهزيمة هو أصلح الأجواء لبلبلة القلوب وخلخلة الصفوف وإشاعة عدم الثقة في القيادة والتشكيك في جدوى الإصرار على المعركة مع الأقوياء وتزيين الانسحاب منها ومسالمة المنتصرين فيها، مع إثارة المواجع الشخصية والآلام الفردية، وتحويلها كلها لهدم كيان الجماعة ثم لهدم كيان العقيدة ثم للاستسلام. [3]

لذلك حذر الله الذين آمنوا أن يطيعوا الذين كفروا، فطاعة الذين كفروا عاقبتها الخسارة المؤكدة وليس فيها ربح ولا منفعة، إنما فيها الانقلاب على الأعقاب إلى الكفر فالمؤمن إما أن يمضي في طريقه يجاهد الكفر والكفار ويكافح الباطل والمبطلين وإما أن يرتد على عقبيه كافراً -والعياذ بالله- فلابد للمؤمن أن يبرهن على طاعته هل هي لله ورسوله أم للكافرين الذين نهى الله تعالى عن موالاتهم وطاعتهم وأخذ مشورتهم.

يقول ابن عاشور[4]: يحتمل أن يراد من الطاعة القول والإشارة، أي الإمتثال، وذلك قول المنافقين للمؤمنين لو كان محمد نبياً ما قتل -عندما شاع قتل النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد- فأرجعوا إلى ملتكم والرد على الأعقاب يحصل مباشرة في حال طاعة الكافرين.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص 133.

(2) انظر الألوسي، روح المعاني، ج3، ص 87.

(3) انظر الألوسي، المرجع نفسه، ج3، ص87.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص 122.

ثانياً: **قال تعالى**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾(آل عمران: 100).

تحدثت في النداء السابق[1] عن معنى كلمة الرد من حيث اللغة وأمثلتها في القرآن الكريم.

ومما قاله أبو السعود في تفسير هذه الآية: وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم وإيجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية، فإنه في قوة أن يقال: لا تطيعوا فريقاً. [2]

وتأمل قوله تعالى: إِن تُطِيعُواْ.. (فإن هذا الفعل جاء مطلقاً، فحذف المتعلق المعمول فيه، ليفيد تعميم المعنى[3]، فالآية الكريمة تحذر أيّما تحذير عن طاعة أهل الكتاب -فضلاً عن غيرهم من أصناف الكفار- في جميع الأحوال وسائر شؤون الحياة.

الآية خطاب للأوس والخزرج على ما يقتضيه سبب النزول ، ويدخل غيرهم من المؤمنين في عموم اللفظ، وخاطبهم الله تعالى بنفسه بعد ما أمر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بخطاب أهل الكتاب إظهارا لجلالة قدرهم وإشعارا بأنهم هم الأحقاء بأن يخاطبهم الله تعالى ويكلمهم فلا حاجة إلى أن يقال المخاطب الرسول بتقدير قل لهم. [4]

نادى الله تعالى المؤمنين ليخبرهم محذرا لهم من طاعة بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فإنهم إن أطاعوهم كفروهم بردتهم عن الإسلام، فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا (إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) وهم الحاقدون على الإسلام والمسلمين المعارضون لظهور الإسلام وانتشار نوره في المشرق والمغرب، إن تطيعوهم فيما يزينون لكم ويحسنون من الباطل والكفر الخفي، وفيما يقبحون لكم من أحكام الإسلام، وعباداته،

---

(1) ص 181.

(2) أبي السعود، تفسير أبي السعود، ج1، ص 523.

(3) الألوسي، روح المعاني، ج3، ص 16.

(4) انظر الألوسي، المرجع نفسه، ج3، ص16 .

وآدابه، وأخلاقه، بدعوى أنها منافية للديمقراطية والحرية الشخصية، أو أنها تعـوق عن التقدم الحضاري، أو أنها كانت فيما مضى صالحة، أما اليوم فنحن في عـصر الذرة وغزو الفضاء، فإنها تُخلف أصحابها وتقعد بهم دون الحضارة والتقدم، هؤلاء وهم طائفة اليهود والنصارى ممن يدعون العلم والمعرفة، وهـم يحملـون العـداء للإسلام وأهله، هؤلاء إن تطيعوهم فتعتقدوا صحة ما يزينون لكم، وتأخـذون بمـا يقدمون لكم من توجيهات وإرشادات ظاهرها أنها في صالحكم وباطنها فيه خزيكم، وذلكم هؤلاء إن تطيعوهم يردوكم بعد إيمانكم كـافرين إذا فالحـذر الحـذر أيهـا المؤمنون، وخذوا بهذه النصائح القرآنية الغالية، فإنكم تنجون مـن كيـد أعـدائكم الماكرين بكم، الطالبين بعدكم عن مصدر عزكم وقوتكم وسيادتكم وقيادتكم .

4.1.4.4 **نجاسة الكافر**:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(التوبة : 28).

قال ابن منظور[1]: النجس: القذر من الناس ومن كل شيء قذرته، ونجـس الشيء، بالكسر، ينجس نجساً، فهو نجس، ورجل نجس، والجمع أنجاس والـنجس يكون للواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد ، رجل نجس ورجلان نجس وقوم نجس، ويضيف الراغب[2]: (النجاسة القذارة وذلك ضربان: ضرب يدرك بالحاسة، وضرب يدرك بالبصيرة. والثاني: وصف الله به المشركين فقال: إنما المـشركون نجس ويقال: نجسه إذا جعله نجساً، ونجسه أيضا أزال نجسه، ومنه تنجيس العرب، وهو شيء كانوا يفعلونه من تعليق عوذة على الصبي ليدفعوا عنه نجاسة الشيطان، والناجس والنجيس داء خبيث لا دواء له.

لا يزال العرب في البدو والحضر يقولون: فلان نجس بمعنى خبيث ضـار مؤذ. كما أن الجاهلين منهم بالإسلام لا يزالون يعلقـون والتعاويـذ علـى الأولاد

---

(1) انظر ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص99.

(2) الأصفهاني، المفردات، ج2، ص 624.

لوقايتهم من الجن والعين الخبيثة من الإنس، وكذلك يسمون الداء العضال نجساً وشفاءه طهارة.

يا معشر المؤمنين إنما المشركون رِجْس وخَبَث فلا تمكنوهم من الاقتراب من الحرم بعد هذا العام التاسع من الهجرة، وإن خفتم فقرًا لانقطاع تجارتهم عنكم، فإن الله سيعوضكم عنها، ويكفيكم من فضله إن شاء، إن الله عليم بحالكم، حكيم في تدبير شؤونكم، أخبر تعالى عنهم بالمصدر(نجس) للمبالغة كأنهم عين النجاسة، وذوو نجس لخبث بواطنهم وفساد عقائدهم و معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة له. (1)

وبعد ذلك خاف الناس الفقر بسبب منع المشركون من دخول البيت مما يترتب على ذلك من كساد التجارة، وذلك أن الناس قالوا: لتنقطعن عنا الأسواق، ولتهلكن التجارة وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق فقال الله تعالى في الآية التي تليها: قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة:29)، فهم في نفس الأمر لما كفروا بمحمد -صلى الله عليه وسلم- لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد من الرسل، ولا بما جاءوا به، وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآباءهم فيما هم فيه، لا لأنه شرع الله ودينه؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم إيماناً صحيحاً لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد، صلوات الله عليه، لأن جميع الأنبياء بشروا به، وأمروا بإتباعه.

فعوضهم الله بما قطع عنهم من أمر الشرك، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب، من الجزية.

---

(1) الألوسي، روح المعاني، ج 10، ص 77.

2.4.4 الجهاد في سبيل الله تعالى:

1.2.4.4 النفير في سبيل الله تعالى، وفيه أربعة نداءات:

أولاً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(آل عمران:156).

الضرب في اللغة: السفر، والطير الضوارب: التي تطلب الرزق. وضربت في الأرض أبتغي الخير من الرزق، ضرب في الأرض إذا سار فيها مسافراً فهو ضارب[1]، غُزى: من غزا الشيء غزواً: أراده وطلبه، وغزوت فلاناً أغزوه غزواً، والغزوة: ما غزي وطلب. [2]

نهى تعالى عباده المؤمنين عن مشابهة الكفار في اعتقادهم الفاسد، الدال عليه قولهم عن إخوانهم الذين ماتوا في الأسفار وفي الحروب: تركوا ذلك لما أصابهم ما أصابهم، السفر للتجارة ونحوه، أو كانوا غزى أي: في الغزو، لو كانوا في البلد ما ماتوا في السفر ولا قتلوا في الغزو. [3]

وقوله: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: خلق هذا الاعتقاد في نفوسهم ليزدادوا حسرة على موتهم وقتلهم ،ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ رداً عليهم بيده الخلق وإليه يرجع الأمر، ولا يحيا أحد ولا يموت إلا بمشيئته وقدره، ولا يزاد في عمر أحد ولا ينقص منه إلا بقضائه وقدره، والله بما تعملون بصير وعلمه وبصره نافذ في جميع خلقه، لا يخفى عليه من أمورهم شيء. [4]

إن كُلَّ إنسانٍ مات قتل أو حرق أو غرق أو بأَيِّ حتف هلك بأجله لم يستأخر عنه ولم يستقدم طرفة عين، وأن ذلك السبب الذي كان هو فيه حتفه هو الذي قدره الله تعالى: عليه وقضاه عليه ولم يكن له بد منه ولا مفر له ولا مهرب. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾(آل عمران:145)، وقال تعالى:

---

(1) انظر ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص27.

(2) انظر ابن منظور، المجع نفسه، ج11، ص 47.

(3) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 419.

(4) انظر الألوسي، روح المعاني، ج 3، ص 101.

﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾(آل عمران: 154)، وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(النساء:78).

فلنعلم أن الشجاعة لا تقدم الأجل ولا الجبن يؤخره فالآتي لا بد منه آت .

ثانياً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ (النساء: 71).

قال ابن فارس[1]: مادة (نفر) أصلها يدلُّ على تجافٍ وتباعدٍ، ومن ذلك نَفَر الحيوان وغيره، بمعنى تجافيه وتباعده عن مكانه، ونَفَرَ يَنْفِر نُفُورًا ونِفارًا: إذا فَرَّ وذهب، والنَّفْر: التَّفرُّق، ونَفَرَ الظَّبْيُ نَفْرًا: شَرَدَ.

خذوا حذركم: عدتكم من السلاح، ثبات: عصباً، يعني: سرايا متفرقين، أو انفروا جميعا يعني: كلكم، ثبات عشرة فما فوق ذلك. [2]

قال أبو حيان[3]: (مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر طاعته وطاعة رسوله، وكان من أهم الطاعات إحياء دين الله أمر بالقيام بإحياء دينه، وإعلاء دعوته، وأمرهم أن لا يقتحموا على عدوهم على جهالة فقال: خذوا حذركم. فعلمهم مباشرة الحروب، ولما تقدم ذكر المنافقين ذكر في هذه الآية تحذير المؤمنين من قبول مقالاتهم وتثبيطهم عن الجهاد... ومعنى خذ حذرك: أي استعد بأنواع ما يستعد به للقاء من تلقاه، فيدخل فيه أخذ السلاح وغيره، ويقال: أخذ حذره إذا احترز من المخوف، كأنه جعل الحذر آلته التي يتقي بها ويعتصم، والمعنى: احترزوا من العدو، ثم أمر تعالى بالخروج إلى الجهاد جماعة جماعة، وسرية بعد سرية، أو كتيبة واحدة مجتمعة.

والحذر الاحتراز والاستعداد لاتقاء شر العدو وذلك بأن نعرف حال العدو ومبلغ استعداده وقوته، وإذا كان الأعداء متعددين فلا بد من أخذ الحذر من معرفة ما

([1]) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5، ص 459.

([2]) انظر السيوطي، الدر المنثور، ج4، ص 534.

([3]) أبو حيان، البحر المحيط، ج3، ص 291.

بينهم من الوفاق والخلاف، وأن تعرف الوسائل لمقاومتهم إذا هجمــوا، وأن يعمــل بتلك الوسائل، وذلك أن العدو إذا أنس غرة منــا هاجمنا، وإذا لم يهاجمنا بالفعل كنا دائما مهددين منه، فإن لم نهدد في نفس ديارنا كنا مهددين في أطرافها، فإذا أقمنــا ديننا أو دعونا إليه عند حدود العدو فإنه لا بد أن يعارضنا في ذلك، وإذا احتجنا إلى السفر إلى أرضه كنا على خطر، وكل هذا يدخل في قوله: خذوا حذركم. [1]

لقد تنوعت أساليب أعداء المسلمين في محاولات شتى للقضاء علــى ديننــا، ووجهوا إلينا ألواناً من الأسلحة وغزو المسلمين من كل جهة، وأنا أذكر هنا أنواعــاً من أسلحتهم التي غزوا بها المسلمين: غزوا المسلمين بالسلاح العسكري، الفكــري، الخلقي، العاطفي، فأعلنوا الحرب على المسلمين وشنوا الغارة عليهم بأقوى الأسلحة التي تمكنوا من استعمالها.

ثالثاً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْــآَخِرَةِ إِلَّــا قَلِيــلٌ﴾ (التوبة:38).

لقد تقدم معنى النفير في النداء الذي سبق، وفي نهي عن الرضا بالحياة الدنيا والقعود عن الجهاد في سبيل الله تعالى؛ لأن الدنيا زائلة والآخرة باقية.

قال الواحدي[2]:(نزلت في الحث على غزوة تبوك، وذلــك أن رســول الله- صلى الله عليه وسلم- لما رجع من الطائف وغزوة حنين أمر بالجهاد لغزو الروم، وذلك في زمان عسرة من الناس وجدب من البلاد و شدة الحر، حين أخرفت النخل وطابت الثمار فعظم على الناس غزو الروم و أحبو الظلال و المقام فــي المــساكن والمال، وشق عليهم الخروج إلى القتال، فلما علم الله تثاقل الناس أنزل هذه الآية).

غزوة تبوك هي الغزوة التي خرج الرسول -صلى الله عليه وسلم- لهــا فــي رجب من العام التاسع الهجري بعد العودة من حصار الطائف بنحو ستة أشهر. [3]

([1]) رضا، تفسير المنار، ج5، ص 205.

([2]) الواحدي ، أسباب نزول القران ، ص 164.

([3]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج4، ص125.

تُعد غزوة تبوك هي أخر الغزوات التي خاضها الرسول -صلى الله عليه وسلم- إذ بدأت تداعيات تلك الغزوة عندما قرر الرومان إنهاء القوة الإسلامية التي أخذت تهدد الكيان الروماني المسيطر على المنطقة، فخرجت جيوش الروم بقوى رومانية وعربية تقدر مئتا ألف مقاتل قابلها ثلاثين ألف من الجيش الإسلامي، انتهت المعركة بلا صدام أو قتال وتبدد الجيش الروماني وتشتت في البلاد خوفًا من المواجهة مما رسم تغيرات عسكرية في المنطقة، جعلت حلفاء الروم يتخلون عنها ويحالفون المسلمين كقوة أولى في المنطقة، لذلك، حققت هذه الغزوة الغرض المرجو منها بالرغم من عدم الاشتباك الحربي مع الروم الذين آثروا الفرار شمالًا فحققوا انتصارًا للمسلمين دون قتال، حيث أخلوا مواقعهم للدولة الإسلامية، وترتب على ذلك خضوع النصرانية التي كانت تمت بصلة الولاء لدولة الروم الى دولة الإسلام. (1)

وقد عاتب القرآن الكريم من تخلف عن تلك الغزوة عتابًا شديدًا، وتميزت غزوة تبوك عن سائر الغزوات بأن الله حث على الخروج فيها وعاتب من تخلف عنها.

يوبخ الله تعالى من رضي بالدنيا بدل الجهاد، أرضيتم بالحياة الدنيا وغرورها بدل الآخرة ونعيمها الدائم، فما فوائدها ومقاصدها أو فما التمتع بها وبملذاتها في جنب الآخرة مستحقر لا يعبأ به، وفي ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شأن الآخرة ورفعتها. (2)

يقول الله تعالى في الآية 41 من سورة التوبة: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

هو أمر يشمل الجميع على اختلاف أشكالهم، أي: أنها تحمل أمراً عاماً لكافة المسلمين. ولكن هناك قول آخر في سورة التوبة، استثنى الله غير القادر على القتال، فيقول سبحانه: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضعفآء وَلاَ على المرضى وَلاَ عَلَى الذين لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ

(1) الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، دار الفكر المعاصر، ط1، 1419هـ ، صنعاء، ص 209.

(2) الألوسي، روح المعاني، ج10، ص95.

حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ للَّه وَرَسُوله مَا عَلَى المحسنين من سَبيلٍ والله غَفُورٌ رَّحيمٌ وَلاَ عَلَى الذين إِذَا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدمع حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنْفِقُونَ﴾(التوبة: 91-92).

بمعنى ليس على هؤلاء أي حرج في أن يقعدوا عن القتال، وكان هذا هو الاستثناء من القاعدة العامة التي فرضت على كل مؤمن أن يقاتل في سبيل الله.

يقول الشعراوي[1] رحمه الله في قوله تعالى: ﴿انفروا خِفَافاً وَثِقَالاً وجاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ الله﴾ (والمال هو الذي يجعلك تُعدُّ السلاح للحرب، وحين يذهب الجيش إلى القتال لابد أن يكون مُزوَّداً بالسلاح، وبالمركبات وهي مثل الخيل على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأيضاً لابد من الزاد الذي يكفي لأيام القتال، لذلك جاء الله سبحانه وتعالى بذكر المال أولاً، ثم بعد ذلك ذكر الأنفس والأرواح، ومن يملك القوة والمال فعليه أن يجاهد بهما، ومن يملك عنصراً من الاثنين؛ القوة أو المال، فعليه أن يجاهد به، فإن كان ضعيفاً فعليه أن يعين بماله القوي القادر على القتال بأن يوفر له الأسلحة والخيول والدروع وغير ذلك من وسائل القتال) .

قال تعالى: ﴿وجاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ الله﴾ وسبيل الله هو: الطريق الموصل إلى الغاية التي هي رضا الله والجنة، ثم يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ذلكم خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، و(ذا) اسم إشارة ويشير إلى المفرد المستفاد من قوله تعالى: {وجاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ} ذا تشير إلى الجهاد بالمال والنفس، و(لَّكُمْ) تشير للخطاب؛ لأن الحق سبحانه وتعالى يخاطب جماعة، وقوله تعالى: (ذلكم خَيْرٌ).. عن أي خير يتحدث سبحانه؟ إن نفرتم وجاهدتم بأموالكم وأنفسكم فهو خير، ولابد أن يكون خيراً من مقابل له، والمقابل له هو القعود عن الجهاد بأموالكم وأنفسكم.

إذن: فالجهاد خير من القعود. [2]

---

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي ، ج8، ص 5200.

(2) الشعراوي، المرجع نفسه، ج8، ص 5210.

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن الذي يجاهد بماله ونفسه يكون قد اقتنع بيقين أنه سوف يحصل من الجهاد على ما هو خير من المال والنفس.، وأيضاً: إن قُتل فهو باستشهاده صار أسوة حسنة لمن يأتي بعده.

رابعاً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(الصف: 10).

قد أرشد الله إلى أن طريق الفلاح وهو التقوى، والتقرب إليه والجهاد في سبيله، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(المائدة: ٣٥)، إن المسلم يؤمن بأن الأعمار بيد الله؛ فمتى انتهى الأجل قبضت الروح وصعدت إلى بارئها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الزمر: ٤٢).

يقول الألوسي -رحمه الله- هل أدلكم على تجارة رفيعة الشأن تنجيكم من عذاب يوم القيامة (تؤمنون بالله وتجاهدون في سبيله) هي الإيمان والجهاد والمداومة عليهما والجمع بينهما أي بين تكميل النفس وتكميل الغير. [1]

قوله تعالى هل أدلكم يعطي معنى عميقاً يوجب على الخلق أن يتفكروا فيه فالله يسأل المؤمنين إن كانوا يريدونه أن يكون دليلاً لهم فالله سبحانه وتعالى وضع ذاته العلية موضع الدليل الذي يدل الناس التائهة في الصحراء فيدلهم على الطريق الصحيح الموصلة إلى الغاية فيهديهم سواء السبيل فالله عندما يهدي ويدل ، يدلك على كل نافع وينجيك من كل ضار. [2]

ولهذا يعيب القرآن على الكفار قولهم بأن خروج إخوانهم إلى القتال، أو في ابتغاء الرزق هو السبب في موتهم، وينهى المؤمن صاحب العقيدة الصحيحة أن يعتقد اعتقادهم أو يقول قولهم فالأمر كله الله.

([1]) الألوسي، روح المعاني، ج 27، ص 89.

([2]) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج24، ص 15220.

إنها دعوة من الله -سبحانه وتعالى- للتجارة معه تجارة لا تخسر ولا تبور يبيع فيها المؤمن نفسه وماله لله سبحانه، والله يشتري الأنفس والأموال من عباده المخلصين الصادقين المؤمنين، والسلعة هي الجنة، وإنَّه لجزاء كبير، وفوز عظيم، يتحصَّل عليه المؤمنُ المجاهِد بنفْسه وماله في الآخرة، أمَّا في الدنيا فيبشر الله هؤلاء المخلصين بالنصر القريب منه، وإنما قال سبحانه: وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا؛ لأنَّها غير داخلة في الفوز العظيم، وإنَّما هي مِن فوز الدنيا الذي يمتنُّ الله به على عبادِه الباحثين عن فوزِ الآخرة.

2.2.4.4 الثبات عند لقاء العدو، وفيه أربعة نداءات:

أولاً : قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(الأنفال :45).

والفئة: الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد[1]، وهي جماعة اختصت بخوض المعارك في ميدان القتال، فليست مطلق جماعة، بل هي جماعة مترابطة من المقاتلين؛ لأن كل مقاتل يفيء لغيره من زملائه، أي جماعة أخرى غير مترابطة تستطيع تفريقهم بصرخة أو عصا، أما المقاتلون فأنت لا تصرفهم إلا بقوة أكبر منهم، ويحاول كل منهم أن يحمي زميله، إذن فكل منهم يفيء إلى الآخرين.[2]

ورد لفظ فئة في القران الكريم في أكثر من موضع منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾(البقرة: 249).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التقتا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وأخرى كَافِرَةٌ﴾(آل عمران: 13)، وقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ﴾ (الأنفال: 45).

([1]) انظر ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص 248، وانظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص41.

([2]) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج8، ص 4718.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ﴾ أي أن المسألة قد وصلت إلى الواجهة مع الكفار ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فاثبتوا﴾ والثبات هنا معناه المواجهة الشجاعة، لأن الإنسان إذا كان ثابتاً في القتال، فالعدو يخشاه ويهابه[1]، ولذلك لابد من التدريب على الثبات والقتال، وهذا هو الإعداد المسبق للحرب؛ بالتدريب القوي والتخطيط الدقيق.

السبب الذي دعا إلى تقييد الذكر "بالكثير"، هو تجدّد روح التقوى عند المجاهدين كلّما لاح لهم ما يصرف نفوسهم إلى حبّ الحياة الفانية، والتمتّع بزخارفها، والخواطر النفسانية التي يلقيها الشيطان بتسويله، فالمداومة على ذكر الله تجدّد روح التقوى كلّ لحظة في قلوبهم، وتعمل على التقليل من شأن الأهوال والمخاطر التي يتعرض لها المقاتل في ميدان المعركة، لأن ظرف القتال والميدان ليس فيه إلا إزهاق النفوس، وسفك الدماء، ونقص الأطراف، وكل ذلك يهدد الإنسان بالفناء عما يحبه، فذكر الله يعينه على جهاده، والتثبت بفكرته بالظفر على عدوه الذي يهدده، لعلكم تفوزون بالنصر والمثوبة. [2] [3]

ثانياً : قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ (الأنفال: 15).

والزحفُ في اللغة: من زَحَفَ: وهي الجماعة تزحف إلى العدو. والصبي يزحف على الأرض قبل المشي. [4]

والتولي: قد يكون وليت الشيء ووليت عنه بمعنى: تكون التولية إقبالاً، ومنه قوله تعالى: ﴿قدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ﴾(البقرة: 144)، أي وجه وجهك

([1]) لشعراوي، تفسير الشعراوي، ج8، ص 4719.

([2]) الشعراوي، المرجع نفسه، ج8. ص4719

([3]) انظر الزمخشري، الكشاف، ج2، ص226.

([4]) ابن منظور، لسان العرب ،ج7، ص 20.

نحوه وتلقاءه، والتولية تكون انصرافاً؛ قال الله تعالى: ثم وليتم مدبرين؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ هي هنا انصراف. [1]

ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما أخبر أنه سيلقي الرعب في قلـــوب الكفار وأمر من آمن بضرب فوق أعناقهم وبنانهم حرضهم على الصبر عند مكافحة العدو ونهاهم عن الانهزام، أي إذا لقيتموهم وهم جمع كثير وأنتم قليل فـــلا تفـــروا، فضلاً عن أن تدانوهم في العدد وكان ذلك إشعاراً بما سيكون منهم يوم حنين حـــين انهزموا وهم اثنا عشر ألفا بعد أن نهاهم عن الفرار يومئذ ويراد بالزحف متقـــابلي الصفوف والأشخاص، أي: يزحف بعضهم إلى بعض. [2]

يقول الشعراوي[3]: (ما دمت قد آمنت بالإله، لابد أن تدافع عن منهج الإلـــه؛ لأن هذا أيضاً لمصلحتك؛ لأنك بإيمانك بالله أيها المؤمن ينتفع المجتمع كله بخيرك، ولن يأمرك سبحانه إلا بالخير، فلن تسرق، ولن تزني، ولن تـــشرب خمـــراً، ولـــن تعربد في الناس، ولن ترتشي، وبكل ذلك السلوك ينتفع المجتمع؛ لأن المجتمع يضار حين يوجد به فريق غير مهتدٍ. وأنت حين تقاتل لتفرض الكلمة الإيمانية على هؤلاء، فهذا يعود إلى مصلحتك، ولذلك فإن اتصافك بالإيمان لا يتحقق إلا إن عديته لغيرك، ومن حبك لنفسك، أن تعدى الإيمان بالقيم التي عندك إلى غيرك لتنتفع أنت بـــسلوك من يؤمن، وينتفع غيرك بسلوكك معه، ومن مصلحتك أن يؤمن الجميـــع). وحـــين يكلفك الحق تبارك وتعالى بالجهاد في سبيل الله فأنت تفعل ذلك لصالحك.

قال أبو زهرة[4]: (النداء للمؤمنين بوصف كونهم مؤمنين، والإيمـــان صـــبر وفداء، فالنداء بالذين آمنوا تحريض على الصبر واللقاء والثبات، وذكر لقاء الكافرين وهم كانوا يتمنون لقاءهم لينتصروا لله منهم، وليردوا كيدهم، فكان نداء أهل الإيمان بعنوان الإيمان تحريضاً على الثبات والمجاهدة، وكان ذكر لقاء الكافرين تحريـــضاً

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص 185.

(2) انظر الأندلسي، البحر المحيط، ج4، ص 475.

(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج 8، ص4608.

(4) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى (ت 1394هـــ)، زهرة التفاســـير، دار الفكـــر العربي، ج6، ص 3048.

أشد؛ لأنهم الذين آذوهم وأخرجوهم من ديارهم وظاهروا على إخراجهم؛ ولذا كـــان النهي بعد التمهيد، فقال: فلا تولوهم الأدبار، وعبر سبحانه وتعالى عن النهي عـــن الفرار بقوله تعالى: فلا تولوهم الأدبار ومعنى تولي الدبر، أي: أن يتركوا ظهورهم للسيوف تضرب في أدبارهم)، وذلك منظر هو من أقبح المناظر وأقـــبح تـــصوير للفرار من الميدان بضرب السيف في دبره وقفاه، وإن من يقتل في صدره لا يقتـــل إلا بعد أن يقتل من الأعداء، أما من يقتل في ظهره فإن دمه يذهب هدراً، لا يثـــأر لنفسه.

ثالثاً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: 123).

أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار الأقرب فالأقرب إلى دولة الإسلام؛ ولهذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلمـــا فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة، والطائف، واليمن واليمامة، وهجر، وخيبر، وحضرموت، وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب، ودخل الناس من ســـائر أحيـــاء العرب في دين الله أفواجاً، شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب، وأولى الناس بالدعوة إلى الإســـلام لكـــونهم أهـــل الكتاب، فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهد الناس وجدب البلاد وضيق الحال، وكان ذلك سنة تسع من هجرته، عليه السلام. [1]

ونعلم أن هناك أولويات في القتال، وقتال الكفار القريبين منك لتأمين دولـــة الإيمان؛ لذلك جاء الأمر بقتال الأقرب؛ لأنه قتال لن يتطلـــب رواحـــل ولا مؤونـــة للسفر البعيد، كما أن العدو القريب منك أنت أعلم بحال من الكفار البعيدين عنـــك؛ لذلك فأنت تعلم مواطن قوتهم وضعفهم، وكيفية تحصيناتهم. فإذا تيسر أمـــر قتـــال العدو الأقرب كان ذلك طريقاً لمجابهة العدو الأبعد، بدلاً من أن تواجه العدو البعيد؛

([1]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 401، 402، وانظر الزمخـــشري، الكـــشاف، ج3، ص 109، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 63.

فيتفق مع العدو القريب، ويصنع لك الاثنان تحالفاً لا تستطيع مجابهتــه، فلابــد أن تحمي ظهرك أولاً، من شر العدو الأقرب. [1]

وليجد الكفار منكم شدة عليهم في القتال، فإن المؤمن الكامل: هو الذي يكون رفيقا لأخيه المؤمن، غليظاً على عدوه الكافر[2]، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾(المائدة: 54)، وقــال تعــالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُوْلُ اللهِ وَالَّذِيْنَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفــتح: 29)، وقــال تعالى: ﴿يأَيُّها النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفّار والْمُنافِقِين وأغلظ علــيْهِمْ ومــأْواهُمْ جهــنّمُ وبِــئْس الْمصِير﴾(التحريم:9)، وقوله: واعلموا أن الله ناصركم فتوكلوا على الله، واعلموا أن الله معكم إن اتقيتموه وأطعتموه.

رابعاً : قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْــسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(المائدة: 11).

ذكر أبو حيان في سبب نزول هذه الآية[3] قال : أتى رسول الله -صــلى الله عليه وسلم- بني قريظة ومعه أبو بكر وعمر وعلي -رضي الله عنهم- يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ حسبهما مشركين، فقالوا: نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك، فأجلسوه بنية الغدر به، وعمد أحدهم إلى رحى عظيمة يطرحها عليه، فأمسك الله يده، ونزل جبريل، عليه السلام، فأخبره فخرج.

أما الذكر فقد سبق تعريفه اللغوي والاصطلاحي في ثنايا الرسالة[4] والنعمــة (نِعْمَتَ الله) هنا جاءت مفردة ولم تجمع؛ لأن كل نعمة على انفراد تستحق أن نشكر الله عليها، وهناك قبض لليد وبسط لليد، وفي الآية تكون النعمة هي كــف أيــدي

---

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج8، ص 5581.

(2) الشعراوي، المرجع نفسه، ج12، ص 5584.

(3) أبو حيان، البحر المحيط، ج3، ص 442.

(4) ص 113.

الكافرين، ذلك أن أيديهم كانت ممدودة بالسوء والشر؛ لأننا حين نتابع قراءة الآيـــة، نعرف أن كف أيديهم هو النعمة، فهؤلاء القوم أرادوا أن يبسطوا أيديهم بالإيذاء. (1)

والهم في الآية(إِذْ هَمَّ قَوْمٌ) أي مجرد تفكيرهم الإيذاء فإن الله مطلـــع عليـــه وكاشفه، وردت كلمة الهم في القرآن الكريم في اكثر من موضع منها قوله تعـــالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾(يوسف: 24) أي أن امرأة العزيـــز هـــي التـــي بـــدأت المراودة ليوسف عليه السلام فهل تم نزوع إلى العمل؟. لا، لأن النزوع إلى العمـــل يقتضي أن يشارك فيه سيدنا يوسف. إذن ف (همت به) أي صارت تحب أن تصنع العملية النزوعية وجاء المانع من سيدنا يوسف. ونضرب لذلك مثلاً حتى نفهم هذا؛ إذ قال لك قائل: أزورك لولا وجود فلان عندك، هذا يعني أن القائـــل لـــم يـــزرك، وبالقياس نجد أن يوسف عليه السلام رأى البرهان فلم يهم. فمن أراد أن ينزه يوسف حتى عن حديث نفسه نقول: الأمر بالنسبة لها أنها همت به، وحتى يتحقق الفعل كان لابد من قبول لهذا الأمر، وصار الامتناع لكنّه ليس من جهتها بل جاء الامتناع من جهته. (2)

لقد أخبر الحق نبيه بما يبيتون قبل أن يتمكنوا من الفعل، و(الهمّ) هو حـــديث النفس، فإذا ما خرج إلى أول الفعل فذلك هو القصد، و(الهم) هو الشيء الذي يغلب على فكر الإنسان في نفسه .

وجاءت الآية بـــ إليكم و عنكم وكلاهما ضمير يعود على المـــؤمنين مـــع النبي-صلى الله عليه وسلم-، فالمؤمنون ملتحمون بمنهج النبي -صـــلى الله عليـــه وسلم-، فإذا همّ قوم أن يبسطوا أيديهم إلى رسول الله، ففي ذلك إســـاءة للمـــؤمنين برسول الله؛ لأن كل شيء يصيب رسول الله، يصيب المؤمنين أيضاً. (3)

---

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج 5، ص 2981.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج5، ص 2981.

(3) الشعراوي، المرجع نفسه، ج5، ص2983.

3.2.4.4 الهجرة الى الله تعالى، وفيه نداءان:

النداء الأول: قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(الممتحنة: 10).

قال الواحدي[1] عن ابن عباس -رضي الله عنه-: إن مشركي مكة صالحوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عام الحديبية على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم، ومن أتى أهل مكة من أصحابه فهو لهم، وكتبوا بذلك الكتاب وختموه، فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية[2] بعد الفراغ من الكتاب - والنبي-صلى الله عليه وسلم -بالحديبية- فأقبل زوجها، وكان كافراً، فقال: يا محمد رد علي امرأتي، فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أي إذا جاءكم أيها المؤمنون النساء اللاتي نطقن بالشهادة ولم يظهر منهن ما يخالف ذلك - مهاجرات من بين الكفار فاختبروا حالهن، وانظروا هل توافق قلوبهن ألسنتهن، أو هنّ منافقات، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة: بالله

---

(1) الواحدي، أسباب النزول، ص 269.

(2) أم معبد الخزاعية، صحابية جليلة، لم تكن من النساء ذوات الشهرة في الجاهلية، بل كانت امرأة بدوية لا تتعدى شهرتها خيمتها أو أهلها، وقد هبطت عليها البركة عند نزول النبي صلى الله عليه وسلم ضيفاً عليها عند هجرته إلى المدينة حتى غدت بذلك إحدى شهيرات النساء في الإسلام.

اسمها عاتكة بنت خالد بن منقذ أخت حبيش بن خالد الخز اعي الكعبي الصحابي، وهو صاحب حديث أم معبد الخزاعية رضي الله عنها،(انظر الزهري، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري (ت 230هـ)، الطبقات الكبرى ،ط1 ، 1968م ، دار صادر، بيروت، لبنان ،ج8 ، ص 288).

الذي لا إله إلا هو، ما خرجت من بغض زوج، بالله ما خرجت رغبة بأرض عن أرض، بالله ما خرجت التماساً لدنيا، بالله ما خرجت إلا حبّاً لله ورسوله. (1)

ثم ذكر جملة معترضة بين ما قبلها وما بعدها ليتبين أن الامتحان يفيد معرفة الظاهر فحسب فقال:﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ﴾ منكم وهو يتولى السرائر، وفى هذا بيان أنه لا سبيل إلى ما تطمئن إليه النفس من الإحاطة بحقيقة إيمانهن، فإن ذلك مما استأثر الله بعلمه، ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ أي فإن غلب على ظنكم إيمانهن بالحلف وغيره مما يورث اطمئنان قلوبكم على إسلامهن، فلا تردوهن إلى أزواجهن المشركين، ثم بيّن العلة في النهي عن إرجاعهن بقوله: ﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ أي لا المؤمنات حلّ للكفار، ولا الكفار يحلون للمؤمنات. ﴿وَآتُوهُمْ ما أَنْفَقُوا﴾ أي وأعطوا أزواجهن مثل ما أنفقوا من المهور. (2)

الله يحكم به بينكم فلا تخالفوه، والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في أقواله وأفعاله.

نهى الله تعالى عن نكاح الكافرة في الآية في قوله تعالى : ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ كما أن هناك نصوص أخرى تقرر نفس الحكم ومنها قوله تعالى: ﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (البقرة: 221).

أن المشركة قد يكون فيها خير حسي من جمال، ونحوه؛ ولذلك قال تعالى: {ولو أعجبتكم}؛ فبين سبحانه وتعالى أن ما قد يعتقده ناكح المشركة من خير فيها فإن نكاح المؤمنة خير منه.

ثم بين الله بعد ذلك أن لا يجوز لنا أن نزوج المشركين عموماً بمسلمة، فقال تعالى: ﴿وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ قال ابن كثير(3) -رحمه الله-: "أي لا

(1) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص 156.

(2) انظر ابن عاشور، المرجع نفسه، ج27، ص 157.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، 257.

تُزَوّجوا الرجال المشركين النساء المؤمنات؛ كما قال تعالى: ﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ (سورة الممتحنة: 10) ففيها النهـي لنـا بـأن لا نـزوج المـشركين بالمؤمنات المسلمات.

يقول عمر بن أبي ربيعة[1]:

أيها المنكح الثريا سـهيلاً	عمرك الله كيف يلتقيان؟!
هـي شامية إذا ما استقلت	وسهـيل إذا استقل يمان

فقد حرم الإسلام على المسلم الزواج من الكافرة والمرتدة والملحدة وكل مـن على شاكلتهما لعدم إمكان التلاقي بين الإسلام والوثنية، فعقيدة التوحيـد الخـالص، تناقض عقيدة الشرك المحض، ثم إن الوثنية ليس لها كتاب سماوي معتبر، ولا نبي معترف به، فهي والإسلام على طرفي نقيض.

ثانيـاً: قـال تعـالى:﴿يـا عِبَـادِيَ الَّـذِينَ آمَنُـوا إِنَّ أَرْضِـي وَاسِـعَةٌ فَإِيَّـايَ فَاعْبُدُونِ﴾(العنكبوت:56).

والمقصد المتبادر للهجرة: هو الانتقال من بلد الكفر والشرك إلى بلد الإسلام، أو الفرار بالدين من الفتن إلى محل يأمن فيه المسلم من الإثم، أو من بلد يفتن فيـه المسلم عن دينه ويؤذى بسبب اعتقاده يقول ابن كثير[2]:(وهذا أمرٌ من الله تعـالى لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين، إلـى أرض الله الواسعة، حيث يمكن إقامة الدين).

يقول الله تعالى، أنتم عبادي وهذه أرضي، وهي واسعة فسيحة تسعكم ، فما الذي يمسككم في مقامكم الضيق، الذي تفتنون فيه عن دينكم، ولا تملكون أن تعبدوا الله مولاكم غادروا هذا الضيق يا عبادي إلى أرضي الواسعة، ناجين بدينكم، أحرارا في عبادتكم، إن هاجس الأسى لمفارقة الوطن هو الهاجس الأول الذي يتحرك فـي النفس التي تدعى للهجرة، ومن هنا يمس قلوبهم بهاتين اللمستين: بالنـداء الحبيـب

([1]) المصدر : poetsgate.com بوابة الشعراء.

([2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص 419.

القريب: ياعبادي وبالسعة في الأرض، وما دامت كلها أرض الله، فأحب بقعة منها إذن هي التي يجدون فيها السعة لعبادة الله وحده دون سواه. [1]

ثم يمضي يتتبع هواجس القلوب وخواطرها؛ فإذاً الخاطر الثاني هو الخوف من خطر الهجرة ،خطر الموت الكامن في محاولة الخروج، وقد كان المشركون يمسكون بالمؤمنين في مكة، ولا يسمحون لهم بالهجرة عندما أحسوا بخطرهم بعد خروج المهاجرين الأولين، ثم خطر الطريق لو قدر لهم أن يخرجوا من مكة. [2]

إن المقصد الشرعي الأساس من الهجرة، أن تكون فرارًا إلى الله، سواءً كان ذلك على مستوى النفس أو على مستوى المكان ،حتى ولو لم يغير موقعه، لأنه مارس هجرة نفسية وذلك بالانخلاع من الواقع الثقافي الجاهلي والوثني الذي تسوده العبودية لغير الله، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾(المدثر:5).

إن من يرى ويشاهد ما يقع لإخوتنا في بورما من تقتيل وحرق وتهجير وانتهاك لكرامة الإنسان بسبب تمسكهم بدينهم الإسلامي وخذلان حكومات المسلمين لهم وخصوصا المجاورة، يرى حقيقة العداء للدين فحسب لذلك انتهك الأعداء الحرمات ولم يعبئوا بأحد بل لم يجدوا من يردعهم عن فعلهم بسبب ما نحن فيه من فرقة وخلاف، وأقل ما يجب على الدول الإسلامية الكبرى، أن تبذل جهوداً دبلوماسية وسياسية، للضغط على تلك الحكومات التي تستضعف المسلمين، وتفعل بهم الأفاعيل وتفتح لهم فرص اللجوء إليها وتمكنهم من العمل وتقدمهم على غيرهم.

4.2.4.4 النصر من عند الله تعالى وفيه نداءان :

أولاً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (الأحزاب :9).

وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفرا من يهود بني النضير، الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من المدينة إلى خيبر، خرجوا إلى مكة واجتمعوا بأشراف قريش، وألبوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(1) قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص 2749.

(2) قطب، المرجع نفسه، ج5، ص 2749.

ووعدوهم من أنفسهم النصر والإعانة. فأجابوهم إلى ذلك، ثم خرجوا إلى غطفـان فدعوهم فاستجابوا لهم أيضاً، وخرجت قريش، ومن تابعها، وقائدهم أبـو سـفيان، والجميع قريب من عشرة آلاف، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة مما يلي الشرق، وذلـك بإشـارة سـلمان الفارسي، فعمل المسلمون فيه واجتهدوا ، ونقل معهم رسول الله -صـلى الله عليـه وسلم- التراب وحفر، وكان في حفره ذلك آيات بينات ودلائل واضحات. [1]

وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة قريبا من أحد، ونزلت طائفة منهم في أعالي أرض المدينة، وخرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومـن معـه مـن المسلمين، وهم نحو ثلاثة آلاف ، وأسندوا ظهورهم إلى جبل سلع ووجـوههم إلـى نحو العدو، والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم وبين العدو يحجب الخيالة أن تـصل إليهم، وجعل النساء والذراري في آطام المدينة، وكانت بنو قريظة -وهم طائفة من اليهود - لهم حصن شرقي المدينة، ولهم عهد من النبي -صلى الله عليـه وسـلم- وذمة، وهم قريب من ثمانمائة مقاتل فذهب إليهم حيي بن أخطب النضري، فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد، وانظموا الأحزاب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فعظم الخطب واشتد الأمر، وضاق الحال، كما قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾. [2][3]

أرسل الله عز وجل على الأحزاب ريحا شديدة الهبوب قوية، حتى لم تبق لهم خيمة ولا شيء ولا توقد لهم نار، ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾(الأحزاب: 9)

فالنعمة المذكورة هي: النصر على الأحزاب والريح جند من جنـود الله هبـت لنصرة رسوله والجنود التي لم يروها هي الملائكة والله اعلم.

([1]) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج 3، ص144، 145.

([2]) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص 470.

([3]) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص 133.

ثانياً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(محمد:7).

يقول الشوكاني في تفسير هذه الآية[1]: إن تنصروا نبي الله ينصركم الله ويثبت أقدامكم عند القتال وتثبيت الأقدام عبارة عن النصر، والمعونة في مواطن الحرب، وقيل: على الإسلام، وقيل: على الصراط).

هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره[2]. هذه الآية العظيمة خطاب لجميع المؤمنين أوضح فيها سبحانه أنهم إذا نصروا الله نصرهم سبحانه وتعالى.

من خلال ما سبق يتضح أن نصر الله من المؤمنين هو: إتباع شريعته ونصر دينه والقيام بحقه، وليس هو سبحانه في حاجة إلى عباده بل هم المحتاجون إليه كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ فالناس كلهم جنهم وإنسهم ملوكهم وعامتهم كلهم في حاجة إلى ربهم وكلهم فقراء إلى الله والله سبحانه هو الغني الحميد، فنصره سبحانه هو نصر شريعته وهو نصر دينه هذا هو نصره، نصر ما بعث به رسوله وأنزل به كتابه الكريم، فإذا قام المسلمون بنصر دينه والقيام بحقه ونصر أوليائه نصرهم الله على عدوهم ويسر أمورهم وجعل لهم العاقبة الحميدة كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ والصبر والتقوى يكونان: بنصر الله، والقيام

([1]) الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص 1373، وانظر الزمخشري، الكشاف، ج4، ص318، وانظر الألوسي، روح المعاني، ج25، ص 43.

([2]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 751.

بدينه سبحانه، والتواصي بذلك في السر والجهر في الشدة والرخاء في حال الجهــاد وما قبله وما بعده وفي جميع الأحوال.

وكم نحن في أمس الحاجة في هذا الزمان لأن ننصر الله في إتباع دينه ليطهرنا من الرذائل التي عمت المجتمعات الإسلامية وأسقطتنا من هرم الأخلاق الفاضلة إلى أسفل قعر الوحل وقد سلبت منا مقدساتنا ومكانتنا وهيبتنا وأصبحنا بلا قيمة.

جعل الله جل وعلا للنصر أسباباً وجعل للخذلان أسباباً، فالواجب على أهل الإيمان في جهادهم وفي سائر شئونهم أن يأخذوا بأسباب النصر ويستمسكوا بها في كل مكان في المسجد وفي البيت وفي الطريق وفي لقاء الأعداء وفي جميع الأحوال، فعلى المؤمنين أن يلتزموا بأمر الله، وأن ينصحوا لله ولعباده، وأن يحذروا المعاصي التي هي من أسباب الخذلان، ومن المعاصي التفريط في أسباب النصر الأسباب الحسية التي جعلها الله أسباباً لابد منها، كما أنه لابد من الأسباب الدينية، فالتفريط في هذا أو هذا سبب الخذلان والله جل وعلا يقول في كتابه العظيم وهو أصدق القائلين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد:7). [1]

هذه الآية العظيمة خطاب لجميع المؤمنين أوضح فيها سبحانه أنهم إذا نصروا الله نصرهم سبحانه وتعالى.

ونصر الله من المؤمنين هو: اتباع شريعته ونصر دينه والقيام بحقه، وليس هو سبحانه في حاجة إلى عباده بل هم المحتاجون إليه كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾(فاطر: 15،16) فالناس كلهم جنهم وإنسهم ملوكهم وعامتهم كلهم في حاجة إلى ربهم وكلهم فقراء إلى الله والله سبحانه هو الغني الحميد، فنصره سبحانه هو نصر شريعته وهو نصر دينه هذا هو نصره، نصر ما بعث به رسوله وأنزل به كتابه الكريم، فإذا قام المسلمون بنصر دينه والقيام بحقه ونصر أوليائه نصرهم الله على عدوهم ويسر أمورهم وجعل لهم العاقبة الحميدة كما قال تعالى:﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود:49) وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا

([1]) مقالة للشيخ عبد العزيز بن باز http://www.binbaz.org.sa/node/8355

يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾(آل عمران:20) والصبر والتقوى يكونان: بنصر الله، والقيام بدينه سبحانه، والتواصي بذلك في السر والجهر في الشدة والرخاء في حال الجهاد وما قبله وما بعده وفي جميع الأحوال .

فهذه أسباب النصر، وهذه أسباب النجاة من الأعداء، وهذه أسباب السلامة من مكائد الأعداء جنهم وإنسهم، حضرهم وبدوهم، قريبهم وبعيدهم، وهي أسباب النصر عليهم، والسلامة من مكائدهم وهي أن تتقي الله في جميع الأحوال، وأن تحافظ على دينه، وأن تحذر معصيته أينما كنت في الجهاد وغيره، هذه أسباب حفظ الله لك، وحفظ الله لدينه بك، ونصر الله لك على عدوك وخذلان عدوك، ومتى فرط المؤمنون في هذه الأمور فهم في الحقيقة ساعون في تأييد عدوهم في نصره عليهم، والمعنى أن معاصي الجيش عون لعدوهم عليهم كما جرى يوم أحد فعلى المؤمنين جميعاً في أي مكان أن يتقوا الله، وأن ينصروا دينه، وأن يحافظوا على شرعه، وأن يحذروا من كل ما يغضبه في أنفسهم، وفيمن تحت أيديهم وفي مجتمعهم كل على حسب طاقته. (1)

3.4.4 الردة، وتحريم مشابهة الكفار، وفيه مطلبان:

1.3.4.4 الردة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة:54).

يقول تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة أن من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته، فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه وأشد منعة وأقوم سبيلاً كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾(محمد: 38)، وقال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾(النساء:

---

(1) مقالة للشيخ عبد العزيز بن باز http://www.binbaz.org.sa/node/8355

133)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّماوات وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(إبراهيم: 19).

الردة: هي مصطلح يشير إلى ترك الإسلام بعد الدخول فيه ،وهي الرجوع عن دين الإسلام إلى الكفر، والمرتد على الحقيقة: هو الذي يكفر بعد إسلامه كفراً بواحاَ، ظاهراً بقول أو فعل أو اعتقاد، مثاله: أن ينكر معلوما من الدين بالضرورة، كأن ينكر فرض الصلوات الخمس؛ فيرفع إلى القاضي الشرعي، وهو وحده المخول بتنفيذ الأحكام الشرعية. [1]

وفي نزول هذه الآية في أواخر حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم- إيماء إلى ما سيكون من ارتداد كثير من العرب عن الإسلام مثل أصحاب الأسود العنسي باليمن، وأصحاب طلحة بن خويلد في بني أسد، وأصحاب مسيلمة بن حبيب الحنفي باليمامة، ثم إلى ما كان بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- من ارتداد قبائل كثيرة مثل فزارة وغطفان وبني تميم وكندة ونحوهم. [2]

وقوله تعالى: (بقوم) هم الذين دخلوا في الإسلام بعد ذلك مثل عرب الشام من الغساسنة، وعرب العراق ونبطهم، وأهل فارس، والقبط، والبربر، وفرنجة إسبانية، وصقلية، ومثل الترك والمغول، والتتار، والهند، والصين، والإغريق، والروم، من الأمم التي كان لها شأن عظيم في خدمة الإسلام وتوسيع مملكته بالفتوح وتأييده بالعلوم ونشر حضارته بين الأمم العظيمة، أما المؤمنون الذين كانوا من قبل وثبتوا فأولئك أعظم شأنا وأقوى إيمانا فأتاهم المؤيدون زرافات ووحدانا. [3]

يقول الشوكاني[4] -رحمه الله-: (هذا شروع في بيان أحكام المرتدين بعد بيان أن موالاة الكافرين من المسلم كفر، وذلك نوع من أنواع الردة، والمراد بالقوم الذين وعد الله سبحانه بالإتيان بهم هم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجيشه من الصحابة والتابعين الذين قاتل بهم أهل الردة ، ثم كل من جاء بعدهم من المقاتلين

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص 236.

(2) ابن عاشور، المرجع نفسه، ج6، ص 236.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص 237.

(4) الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص 378.

للمرتدين في جميع الزمن، ثم وصف سبحانه هؤلاء القوم بهذه الأوصاف العظيمة المشتملة على غاية المدح ونهاية الثناء من كونهم يحبون الله وهو يحبهم، ومن كونهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم والأذلة: جمع ذليل، والأعزة: جمع عزيز؛ أي: يظهرون العطف والحنو والتواضع للمؤمنين ويظهرون الشدة والغلظة والترفع على الكافرين، ويجمعون بين المجاهدة في سبيل الله وعدم خوف الملامة في الدين، بل هم متصلبون لا يبالون بما يفعله أعداء الحق وحزب الشيطان بأهل الدين وقلب محاسنهم مساوئ ومناقبهم مثالب حسداً وبغضاً وكراهة للحق وأهله.

أنّ أهم مقصد جاء الإسلام بتحقيقه في الناس هو تحقيق توحيد الله والإيمان به ونفي الشرك والكفر والتحذير منهما، وقد جاء أيضاً بحفظه في نفوس من اعتنقه؛ وذلك أن العالَم لا يستقيم بدونها، فضياعها مهلك للبشر، وإذا تأمل الإنسان حال البشريّة عند بعثة المصطفى -عليه الصلاة والسلام- فسيجد أنّه بُعِثَ على فترةٍ من الرسل في زمن تخبطت فيه البشريّة.

ولذا صار الشرك بالله -تعالى- أعظم الذنوب. عن عبد الله ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله! أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله نِدّاً وهو خلقك قلت: ثم أيّ؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت: ثم أيّ؟ قال: أن تزاني حليلة جارك. [1]

وعند تأمُّل حال أمة ليس فيها سلطان للدين ولا رقيب منه، وكيف يتسلط بعضهم على بعض عند ذلك؛ لأن أهواء الناس تتفاوت وتختلف، وكل شخص سيفعل ما يراه مصلحةً له بحسب هواه، وإن منعه وازع من السلطان في العلن، فلن يتحفظ في السرّ، وعند ضعف الوازع السلطاني عن الاعتداء على الأموال والأنفس والأعراض، فترى النفوس تُغتال، والأموال تُختلَس والأعراض تُنتهَك، والشاهد الجلي لهذا حال الدول غير المسلمة إذا ضعفت فيها السلطة، فتحصل الاغتيالات وانتهاب الأموال وانتهاك الأعراض.

([1]) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (فلا تجعلوا لله انداداً) حديث 4477.

والتساهل في هذه العقوبة يؤدي إلى زعزعة النظام الاجتماعي القائم على الدين، فكان لا بد من تشديد العقوبة لاستئصال المجرم من المجتمع منعاً للجريمة وزجراً عنها. وشدة العقوبة تولّد في نفس الإنسان من العوامل الصارفة عن الجريمة ما يكبت العوامل الدافعة إليها، ويمنع من ارتكاب الجريمة في أغلب الأحوال.

2.3.4.4 تحريم التشبه باليهود:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (الأحزاب: 69).

أما أذى بني إسرائيل لموسى -عليه السلام- فقد قال البخاري[1] عند تفسير هذه الآية: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إن موسى كان رجلاً حيياً وذلك قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ كما وأخرج في كتاب أحاديث الأنبياء[2]: عن أبي هريرة قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إن موسى عليه السلام كان رجلاً حيياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما يتستر هذا التستر إلا من عيب في جلده إما برص وإما أدرة وإما آفة وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام فخلا يوماً وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول : ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملإٍ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله عز وجل وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوا الله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثةً

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله (لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ)، حديث 4799.

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ذكر موسى عليه السلام، حديث 3404.

أو أربعاً أو خمساً قال فذلك قوله تعــالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّــذِينَ آَذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾(الأحزاب: 69).

وأما أذى المسلمين للنبي -صلى الله عليه وسلم- كمــا أخرجــه البخــاري[1] أيضاً: قسم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات ىوم قسما فقــال رجــل مــن الأنصار إن هذه القسمة ما أرىد بها وجه الله قال فقلت ىا عدو الله أمــا لأخبــرن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بما قلت فذكرت ذلك للنبــي -صــلى الله عليــه وسلم- فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال: (يرحم الله موسى قــد أوذي بأكثر من هذا فصبر).

وقوله: (وَجِيهًا) والوجيه هو الرجل الذي له وجه، أي معروفــاً بــالخير، ذا وجاهه ومنزلة عند الله تعالى فلا يوصف بنقيصة[2]، ذا خصال حميدة يعــرف ولا ينكر.

قال الرازي[3] عن أذى بني إسرائيل لموسى: أن قارون قرر مع إمراة فاحشة من بني إسرائيل أن تقول: إن موسى زنى بي، فلما حضرت لم تستطع أن تقول ما لقنت، وذلك أن الله ألقى في قلبها الصدق.

3.3.4.4 الإنسان لا يحاسب بضلال الغير:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(المائدة: 105).

بين الله تعالى بطلان التقليد وهو أن يتبع المرء غيره من الناس في فهمه للدين ورأيه فيه بغير علم ولا حجة، وأمر المؤمنين بصيغة الإغراء بأن يهتموا بإصــلاح أنفسهم بالعلم الصحيح والعمل الصالح الذي يعد رشدا وهدى، وبين لهــم أنهــم إذا أصلحوا أنفسهم وقاموا بما أوجب الله عليهم من علم وتعليم وعمــل وإرشــاد، فــلا

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، حديث 3405.

(2) انظر الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص 563، وانظر الرازي، التفــسير الكبيــر، ج25، ص233.

(3) انظر الزمخشري، المرجع نفسه، ص233.

يضرهم من ضل من الناس، عن صراط العمل الصالح بالفسق والإفساد في وقال الزموا إصلاح أنفسكم، وتزكيتها بما شرع الله لكم، لا يضركم ضلال غيركم إذا اهتديتم، إذ لا تزر وازرة وزر أخرى، ومن أصول الهداية: الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذن لا تكونون مهتدين إلا إذا بلغتم دعوة الحق والخير، وعلمتم الجاهلين ما أعطاكم الله من العلم والدين، وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، فلا تكتموا الحق والعلم كما كتمه من كان قبلكم، إليه وحده رجوعكم ورجوع من ضل فينبئكم عند الحساب بما كنتم تعملون في الدنيا ويجزيكم به.[1]

قال الترمذي[2]: عن أبي أمية الشعباني[3] قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني[4] فقلت: (ما تصنع في هذه الآية ؟ قال : أية آية؟ قلت: قول الله تعالى قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(المائدة: 105)، قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أياما الصابر فيهن مثل القابض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون كعملكم" قال عبد الله بن المبارك وزاد غير عتبة قيل: "يا رسول الله أجر خمسين رجلا منا أو منهم؟ قال: لا بل أجر خمسين منكم).

إن من أسمائه الحسنى -سبحانه العدل-، والعدل أساس الشرائع السماوية، وعليه قامت السماوات والأرض، وقاعدة الشريعة أن الإنسان خُلق مكلفًا، ومحاسبًا

---

(1) رضا، تفسير المنار، ج7، ص 176.

(2) الترمذي سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة المائدة، حديث 3058، ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

(3) هو أبو أمية الشعباني، واسمه يُحْمِد، وقيل: عبد الله بن آخامر، انظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج15، ص 534.

(4) هو جرهم بن ناشم، نزل الشام. انظر الزركلي، ج 2، ص569.

على عمله، ويتبع هذه القاعدة، أن الإنسان لا يحمل تبعات غيره، ولا يعاقب على ما فعله الآخرون، فليس مما يقتضيه الشرع، ولا مما يقبله العقل، أن يحمل الإنسان تبعات أعمال، لم يكن له فيها ناقة ولا جمل.

الخاتمة:

الحمد لله حمداً يسعد به الحامدون، ويسمو به المؤمنون، حمداً كثيراً كما هو أهله ومستحقه، حمداً يوازي حمد ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين، وعباده الصالحين، حمداً من نشأة الخلائق الى بقاء الخالق. وصلى الله على البشير النذير، والسراج المنير، الذي ابتعثه للعالمين رحمة، وللمتقين هدى، وللمحرومين كهفاً وملاذاً، وللمذنبين شفيعاً وأملاً، محمد سيد المرسلين وعلى آل بيته الدعاة الى الله، الأمناء على رسالاته، المخلصين في طاعته، سادات المجاهدين، وقادة الصالحين، وأئمة المسلمين وبعد.

بعد قرابة عام كامل ونيف من البحث المتواصل والجهد المضني والساعات الطوال في العمل، بإشراف أستاذي الفاضل الدكتور طالب الصرايرة، الذي ما بخل علي يوماً في النصح والإرشاد، أشارف على إنهاء عملي في البحث في النداء القرآني بـ -يا أيها الذين آمنوا- في القرآن الكريم دراسة تفسيرية، واعترافاً مني بتقصيري وقلة حيلتي؛ ولأن الكمال لله وحده سبحانه، فإني لا ادعي الكمال فلسنا أهله، ولكني عملت جهدي في النداءات التسعين محاولاً إخراجها للقارئ بشكل يجعله يراجع نفسه عندما يمر على أي من النداءات أثناء تلاوته لكتاب الله تعالى.

النتائج:

بعد إنهاء بحثي بحمد الله خرجت بمجموعة من النتائج وهي:

1-اهتمت النداءات القرآنية بشكل كبير بموضوع التأدب مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مثل منع التعريض بخطابة والتأدب عند دخول بيته وطاعته والإيمان به وعدم طلب مناجاته من غير ضرورة لذلك.

2-أولت النداءات القرآنية عناية كبيرة لجانب العبادات لما لها من أهمية في حياة المسلم، فذكرت أنواع خاصة من العبادات مبدوءة بنداء مثل: الصيام والركوع والسجود وصلاة الجمعة.

3-اعتنت آيات النداء القرآني بالقيم التربوية الأخلاقية فركزت على جوانب عدة مثل: الصدق، تحري السداد في القول والعمل، التثبت من خبر الفاسق، تحريم سوء الظن، والنهي عن السخرية والأمر بالفسحة في المجالس، والأمر بالتوبة وعدم إتباع الشيطان، والنهي عن الخيانة.

4-ركزت النداءات على موضوع كيفية التعاطي مع المال في حياة المسلم وتحري الحلال منه وتجنب الكسب غير المشروع ومثال ذلك: تحريم الربا وأكل أموال الناس بالباطل، وجوب الإنفاق على المعوزين من الناس من المال الطيب قبل الممات.

5-ثم نظمت النداءات القرآنية علاقة المسلم بغيره من الناس وحثت على جهاد الأعداء فالجهاد في سبيل الله، وقتال الكفار بشدة، والبراءة من أعداء الله، وعدم موالاة أهل الكتاب، والثبات عند لقاء الأعداء، وذكر الله كثيراً عند ملاقاتهم.

التوصيات:

ثم خرجت بمجموعة من التوصيات:

1-أوصي المدرسين والدعاة الى الله و أئمة المساجد الى ضرورة إعادة النظر بتوجيه المسلمين الى الاهتمام النداءات القرآنية وتحويلها الى واقع عملي ملموس لأن المقصود من كتاب الله كله العمل به وليس مجرد العلم والتلاوة.

2-أوصي الباحثين بضرورة إفراد كل فصل من فصول هذه الدراسة في بحث مستقل.

3-كما وأوصي جميع المسلمين بضرورة التركيز على فهم هذه النداءات فلأهميتها خصها الله تعالى وبدئها بنداء.

قائمة المصادر والمراجع

الأثير، علي بن محمد عز الدين أبو الحسن الجزري (ت 630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط1، دار ابن حزم، 2012م.

الأسطل، سماهر عمر، القيم التربوية في النداء القرآني، رسالة ماجستير، جامعة غزه، 1428هـ .

الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن.

الألباني، محمد ناصر الدين الألباني (ت 1999)، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط3، 1985، المكتب الإسلامي، دمشق.

الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني (ت 1270 هـ)، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، بيروت، لبنان.

الأندلسي، أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت745هـ) البحر المحيط، دار الكتب العلمية، 1413هـ، ط1.

البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، صحيح البخاري، مكتبة فياض، القاهرة.

البعلي، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن علي الحنبلي (ت 777هـ) ، مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، تحقيق عبد المجيد سليم ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

البغدادي، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن احمد الحنبلي (795هـ)، جامع العلوم والحكم، دار الفكر، 1412هـ .

البغوي، الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشامي (ت 516هـ)، معالم التنزيل، ط3، 1413هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان

البقاعي، إبراهيم بن عمر برهان الدين (ت 890هـ) ،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، 1984.

البيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمد (ت791هـ) ،أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، دار الرشيد، بيروت، لبنان.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت 279هـ)، سنن الترمذي، ط2، دار الفجر للتراث، القاهرة، 1434هـ .

الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف (ت 816هـ)، التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية– بيروت ،لبنان،1403هـ.

الجزائري، أبو بكر جابر الجزائري (ت 1426هـ)، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، مكتبة العلوم والحكم، ط3، 1415هـ .

الجصاص، أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت 370هـ)، أحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، 1412هـ.

الجوازنة، فارس خلف، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، 1435هـ، مرويات السمع، والطاعة لأولياء الأمور.

الحاكم، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري أبو عبد الله، (ت405هـ) المستدرك على الصحيحين، ط2، دار الكتب العلمية، 1422، بيروت، لبنان.

الحسيني، تقي الدين بن محمد الحصني الشافعي، (ت 829هـ)، كفاية الأخيار في جل غاية الاختصار، دار صعب، بيروت.

الحواري، الدراية وكنز الغناية في منتهى الغاية وبلوغ الكفاية، تحقيق وليد عوجان، من منشورات جامعة مؤتة، 1414هـ .

الخازن، أبو الحسن علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر(ت 741هـ)، باب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق محمد علي شاهين، الطبعة الأولى، 1415 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

الخطيب، محمد بن عبد اللطيف بن الخطيب (ت1401هـ)، أوضح التفسير، المطبعة المصرية، القاهرة، 1356هـ.

خلكان، أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر (ت 381هـ) ، وفيات الأعيان عن أنباء أبناء الزمان، ط1، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر، بيروت، لبنان ، 1392هـ.

ديوان شعر لبيد بن ربيعة، (النت ،www.adab.com › الأولى › العصر الجاهلي.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبو عبد الله شمس الـــدين (ت 748هـــــ) سير أعلام النبلاء، المحقق: شعيب الأرناؤوط، بشار معروف، مؤسسة الرسالة، 1402هـ.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت 606هــــ)، التفسير الكبير، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، طهران.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بـــن عبـــد القـــادر الحنفـــي(ت 666هـ)، مختار الصحاح ، مكتبة لبنان، 1406هـ .

الرازي، غرائب أي التنزيل، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 1،1990.

رضا، محمد رشيد(ت 1354 هـ)، تفسير المنار، الهيئة المصرية للكتاب.

رويحة، الدكتور أمين رويحة، التداوي بالأعشاب، ط7، 1410هـــ ، دار القلـــم، بيروت، لبنان.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمـــد بـــن علـــي (ت 1976 م)، دار العلـــم للملايين، ط15، 2003.

الزعارير، غالب محمد رجا، السماء في القـــران الكـــريم، ط1، 1430هـــ، دار الزمان.

الزمخشري، محمود بن عمر (ت 528هـ)،الكشاف عن حقائق غـــوامض التنزيـــل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ط3، سنة الطبع 1987، دار النشر دار الريان للتراث، مصر، مصر الجديدة.

زهرة، محمد بن احمد بن مصطفى (ت 1394هـ)، زهرة التفاســـير، دار الفكـــر العربي.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط1، 1424هـ، دار ابن حزم، بيروت-لبنان.

السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي(ت 951هـ) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 1414هـ، دار إحياء التراث، بيـــروت، لبنـــان، ط4.

سميح عاطف الزين، الإسلام وثقافة الإنسان، ط5، 1398هـ، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت 911هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط1، 1411هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة،، دار الفكر المعاصر، ط1، 1419هـ، صنعاء.

شرح العقيدة الطحاوية، لإبن أبي العز الحنفي (ت792هـ)، ط8، 1404هـ، المكتب الإسلامي، بيروت .

الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت1419هـ)، تفسير الشعراوي.

الشوكاني، بدر الدين محمد بن علي بن محمد بن عبد اللّه(ت 1250هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، دار المعرفة، 1423هـ .

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (1250هـ)، تحفة الذاكرين، ط1 ، 1408هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الصابوني، محمد بن علي، تفسير آيات الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

صالح، أبي عبدالله محمد المحمدي صالح، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، تحقيق أحمد جاد، ط2، دار الكتاب الأندلسية جدة، 1424هـ.

صحيفة شارلي إبدو، (بالفرنسية: Charlie Hebdo بمعنى «شارلي الأسبوعية») هي صحيفة سياسية هزلية أسبوعية فرنسية. يرأس تحريرها منذ 2009 إلى غاية 7 يناير 2015 ستيفان تشاربونيير، وسبقه في هذا المنصب فرانسوا كافانا (1969–1981) وفيليب فال (1992–2009). تتصف المجلة بأسلوب هجائي حاد وبنزعة يسارية ، وقد نشرت الصحيفة صفحتها الأولى في 3 نوفمبر 2011 رسمًا كاريكاتوريًا مسيئة لمحمد -صلى الله عليه وسلم- انظر النت، https://www.google.jo/webhp?sourceid=chrome-instant&ion

الطبري، محمد بن جرير الطبري(ت923هـ)، جامع البيان، ط1، دار إحياء التراث، مصر، 1421هـ.

عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الدار التونسية للنشر، ط2، 1985.

عاشور، محمد بن محمد الطَّاهر بن عاشور (ت1394 هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984.

عباس، فضل حسن عباس (ت 1431هـ)، إعجاز القرآن الكريم.

عبد الباقي، محمد فؤاد عبد الباقي ،المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم.

عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد الأندلسي (ت 463هـ)، الاستذكار ، ط1، تحقيق أمين قلعجي، دار قتيبة دمشق، دار الوعي حلب.

عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ، الطبعة الأولى.

الغزالي، أبو حامد محمد الغزّالي الطوسي النيسابوري(ت505هـ)، إحياء علوم الدين، ط1، دار ابن حزم، 1426هـ.

فارس، أحمد بن فارس بن زكريا،(ت 395هـ) معجم مقاييس اللغة، ط1، 1991، دار الفكر، بيروت.

الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم (ت 718هـ)، القاموس المحيط، ط1، 1430هـ، القدس للنشر.

قتيبة، مشكل القران، شرح أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 1393هـ.

قدامه، عبد الله بن محمد بن أحمد (620هـ)، المغني، 1426هـ، دار عالم الكتب، الرياض، ط5.

القرضاوي، يوسف بن عبدا لله القرضاوي ،الأحكام العامة للإسلام، ط5، مكتبة وهبة، 1420هـ .

القرطبي، محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت 627هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق احمد عبد العليم، 1965.

قطب، سيد إبراهيم الحاج قطب، (ت 1385هـ)، في ظلال القرآن.

قيم الجوزية، الروح، تحقيق محمد أجمل أيوب، دار عالم الفوائد .

القيم الجوزية، الروح، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، دار عالم الفوائد.

قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن ابي بكر المعروف بابن القيم (ت 751هـ)، التبيان في أقسام القران، تحقيق، عصام الحرستاني، 1414هـ، مؤسسة الرسالة، ط 1.

القيم، الأذكار، 1427هـ ، دار البيت العتيق الإسلامية، ط1، عمان .

كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث، القاهرة.

الكفوي، أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت 1094هـ)، الكليات ، ط3، 1419هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه (ت 273هـ)، سنن ابن ماجة.

المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، (ت 1271هـ)، تفسير المراغي، ط1، مطبعة الحلبي، مصر، 1946.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري،(ت261هـ)، صحيح مسلم، مكتبة فياض، القاهرة.

المعجم الوسيط، جماعة من العلماء، ط2، الناشر المكتبة الإسلامية.

المقدسي، عبد الله محمد بن مفلح بن محمد (ت 763هـ)، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ط3، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، 1412هـ .

منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، 2003م .

النايف، سمية فؤاد مجيد، رسالة ماجستير، منهج القران في تقرير مفهوم الأولويات في مجال الأخلاق والدعوة، جامعة العلوم الإسلامية، 1435هـ.

النبهاني، يوسف بن إسماعيل بن يوسف (ت 1350هـ)، أفضل الصلوات على سيد السادات، دار قباء.

النسائي، أحمد بن شعيب النسائي (ت 303هـ)، سنن النسائي، دار الفجر للتراث، القاهرة، 1431هـ .

نوح، السيد محمد السيد نوح ، توجيهات نبوية على الطريق، ط1، 1420هـ، دار اليقين للنشر.

هشام، عبد الملك بن هشام المعافري (ت 213هـ)، السيرة النبويـــة، دار الفكـــر، 1418هـ، تحقيق محمد سعيد اللحام، ط2.

الهندي، علي بن عبد الملك حسام الدين (ت 975هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، كتاب التوبة فصل (التوبة فضلها والترغيب فيها).

الواحدي، علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن النيـــسابوري (ت468هــــ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق رضوان جامع رضوان، الطبعـــة الأولـــى 1996، مكتبة الإيمان المنصورة، ص262.

الوادعي، مقبل بن هادي، الصحيح المسند من أســـباب النـــزول، ط3، 2004، دار صنعاء الأثرية.

المعلومات الشخصية:

الاسم: فواز فارس الطراونة

الكلية: الشريعة

الدرجة العلمية: ماجستير

التخصص: اصول دين

السنة:2015